الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أحمد بن بلة ، وهران1



كلية الآداب والفنون

قسم اللغة العربية وآدابها

رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم

تخصص: اللسانيات

بعنوان:

البعد التداولي في العملية التواصلية
شعر الأمير عبد القادر الجزائر ي - أنموذجا -

إعـداد الطالب:

- عيسى بربار

إشراف الأستاذ الدكتور

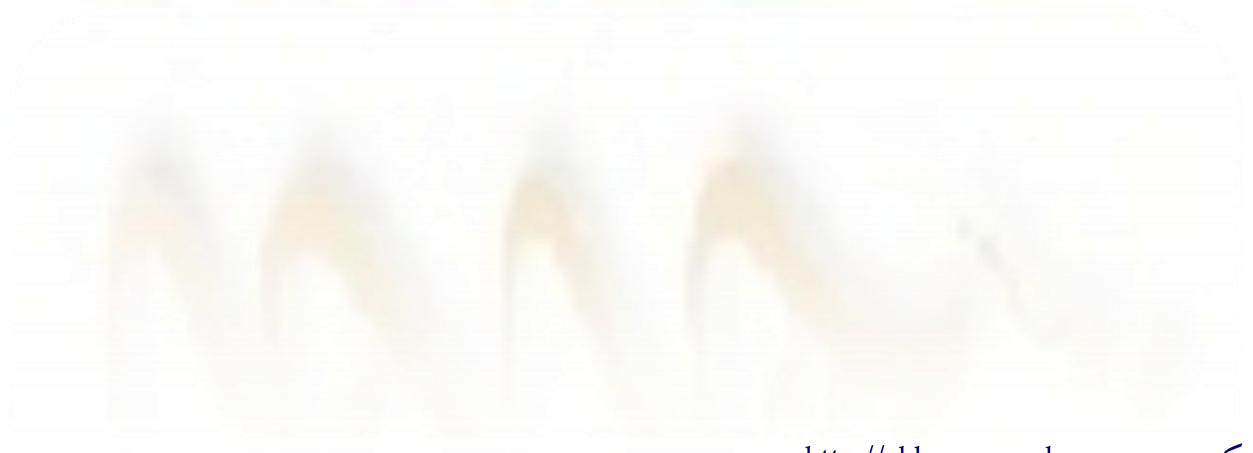
محمد ملياني

أعضاء لجنة المناقشة

أ.د. ناصر اسطنبول	رئيسا	جامعة وهران
أ.د. محمد ملياني	مشرفا ومقررا	جامعة وهران
أ.د. أحمد مسعود	مناقشا	جامعة وهران
أ.د. العربي عميش	مناقشا	جامعة الشلف
أ.د. إبراهيم عبد النور	مناقشا	جامعة بشار
أ.د. كاملي بلحاج	مناقشا	جامعة بلعباس

السـنة الجامعية 2016.2015

بسم الله الرحمن الرحيم



الإهداء

إلى أعز ما في الوجود .... والدي مصطفى

إلى رفيقة دربي ....أمّ مصطفى

إلى أطفالي مصطفى ، إسلام ، آية ، خولة

إلى أخي محمد وأخواتي

الطالب: عيسى برбار

كلمة شكر

أتقدّم بفائق الشكر والإمتنان إلى الأستاذ المشرف:

أ. د. محمد ملياني

على ما بذله من جهد وإخلاص في توجيهاته الثمينة التي أفضت إلى ميلاد هذا العمل المتواضع على شكله النهائي.

كما أتقدّم أيضا إلى: أ. د. مسعود أحمد

الذي آزرني وساعدني بكل أشكال الدّعم المادي والمعنوي.

وإلى كلّ من ساعدني من قريب أو من بعيد في إنجاز هذا البحث العلمي.

عيسى بربار.

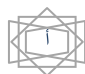
مــــــــقدّمة

مقـــدمة:

ساد في الساحة الأدبية والنقديّة في العقود الأربعة الأخيرة طرحا جديدا تجاوز الدراسات السابقة التي عكفت على مقاربة النصوص بعيدا عن سياقاتها الخارجية التي أنتجتها، ونظرت إلى الجملة أو العبارة الكلامية على أنّها مجرد كلمات، وهي بهذه النظرة تفصلها عن وظيفتها، في حين نظر إليها من تبنّوا الطرح الجديد على أنّها فعل لغوي وموقف إزاء موقع معين، ونقل لتجارب طرفي العملية التواصلية (المتكلم/المتلقّي). وكل دراسة صرفت عنايتها أثناء التحليل إلى جميع عناصر العملية التواصلية من **المتكلم** وقصده و**المخاطَب**، ومدى استجابته وإدراكه للرسالة و**السياق** الذي يجري فيه الحدث الكلامي كانت جديرة أن يطلق عليها اسم "**التداولية**"، والتي تعني في أبسط تعاريفها دراسة اللغة في التواصل. ودراسة اللغة أثناء الاستعمال أو في التواصل ليست وليدة هذا العصر؛ بل تمتدّ جذورها في عمق التراث النحوي والبلاغي، ولعل تنظيرات وتخريجات علماء العرب القدامى خير شاهد على ذلك؛ فالنّحاة اعتمدوا في تقعيداتهم وتوجيهاتهم النحوية على جميع عناصر العملية التواصلية، وأولوا اهتماما كبيرا بطرفيها (**المخاطِب/المخاطَب**)، وشكّل حضورهما ضرورة في التعامل مع مسائلهم النحوية، واهتمّوا بالسياق بشقّيه اللغوي والحالي (الموقف)، ولم يغيّب البلاغيون عناصر التواصل حينما دأبوا إلى تفسير الظواهر اللغوية والآليات التي يعمد إليها المتكلم (البليغ) للتأثير على المتلقي.

وإنّ هذا التقارب بين الدراسات الحديثة والدراسات العربية القديمة كان دافعا لينهض هذا البحث، ويكشف عن أهمّ نقاط التّقاطع بينهما، ويحاول تسليط الضوء على تخريجات وتنظيرات علماء العرب التي حملت في طيّاتها أبعادا تداولية.

ولقد عنيت قبل أن أضع خطة هذا البحث ودخول معترك تنظيراته وتطبيقاته بكتاب يحمل عنوان "التداولية اليوم علم جديد للتواصل" لـ "روبول آن" و "موشلار جاك"، وزاد اهتمامي به حينما تجاوز المؤلفان ما اعتمدنا عليه في بحثنا السابق المعدّ لنيل شهادة "الماجيستر"، والموسوم بـ "لغة شعر عفيف الدين التلمساني وأثرها في البعد التواصلي"، وانتهى بنتائج تجاوزتها الدراسات المعاصرة،



فنمت بداخلنا رغبة في مواكبتها ومسايرتها، والعمل بالنظريات المعاصرة المطروحة في السّاحة النقدية، فوقع اختيارنا على هذا العنوان:

"البعد التداولي في العملية التواصلية، شعر الأمير عبد القادر الجزائري (أنموذجا)"

أمّا عن أسباب وقوع اختيارنا على مدونة "الأمير عبد القادر" الشعرية كنموذج للدراسة فهي كالآتي:

- يمثّل "الأمير عبد القادر" مرحلة مهمّة من مراحل التاريخ الجزائري الحديث (1832.1847) فهو مؤسّس الدولة الجزائرية الحديثة وقائد المقاومة ضد المستدمر الفرنسي، فسخّر سيفه وقلمه للدّفاع عن بلاده، فحُقّ له أن ينال من البحث كمجاهد وأديب وصوفي.

- يعدّ "الأمير عبد القادر الجزائري" خير ممثل لمرحلة الإحياء الأدبي في المغرب العربي بصورة عامّة والجزائر بصورة خاصّة؛ إذ أنّ شعره كان امتدادا للشعر العربي القديم فهو لا يقلّ شأنا عنه، لذا كان جديرا أن يقارب بمناهج حديثة -كالتداولية مثلا- باعتباره خطابا تربط ملفوظاته بالوظيفة التي أنيطت له.

- ينطوي أدب "الأمير عبد القادر الجزائري" ـ وخاصة شعره ـ على رؤية شاملة لها صلات وجذور اجتماعية وثقافية ودينية وفكرية في البيئة التي عاش فيها.

والبحث انطلق من إشكاليتين متمثّلتين في:

- هل اعتمد علماء العرب القدامى الأسس نفسها والمفاهيم التي اعتمدها التداوليون المعاصرون في دراسة اللغة ورصد خصائصها؟

- وإذا صحّ ذلك، فما هي الآليات اللغوية وغير اللغوية التي تسمح لنا بالكشف عن الأبعاد التداولية في التراث البلاغي والنحوي؟

وللإجابة عن هذين السؤالين استقام البحث على مقدمة وأربعة فصول وخاتمة.

أمّا **الفصل الأول**: فقد وسمناه بـ :"**اللسانيات من الوصف والتفسير إلى الوظيفية**"، وقسّمناه إلى مبحثين:

المبحث الأول: ركّزنا فيه اهتمامنا بالحديث عن المرحلتين اللتين مرّت بها اللسانيات الحديثة:

– اللسانيات البنوية: وتشمل عدة تيارات لسانية بدءا من دي سوسير إلى تيارات أخرى تظهر بعده كالشكلانيين، و المدرسة الجلوسيماتكية.

– اللسانيات ما بعد البنيوية: وأهم تياراتها المدرسة التوليدية التحويلة، ومدرسة براغ الوظيفية، والنحو الوظيفي ولسانيات النص.

المبحث الثاني: وتحدّثنا فيه عن اللّسانيات والمنحى الوظيفي الجديد، والمتمثل في التداولية فتطرقنا إلى مرجعياتها الفكرية، وإلى أهمّ النظريات التي شكّلت جهازها المفاهيمي.

و**الفصل الثاني**: عنوناه بـ : "**العملية التواصلية، المفاهيم والعناصر والكفايات**"، واستقام على مبحثين:

المبحث الأول: ضمّن مفاهيم التواصل في المعاجم العربية والغربية، وفي الدرس اللغوي الحديث عند علماء الغرب والعرب المحدثين.

المبحث الثاني: وخصّصناه للكفايات كالكفاية اللغوية التي نادى بها "تشومسكي"، والكفاية التّواصلية التي جاءت لتسد ثغرات الكفاية اللغوية، والكقاية التفسيرية والتي كان أبرز مهامها تقديم الوصف و التفسير الكافي للمادة اللغوية.

بالنسبة **للفصل الثالث**: جاء تطبيقيا، وقد عنوناه بـ :"**الأبعاد التداولية بين الاختيار الصرفي للصّيغ ومعياريّة المسائل النحوية**". وجعلناه في مبحثين:

المبحث الأول: وخصّصناه للكشف عن الملامح والأبعاد التداولية في العملية التواصلية من خلال اختيار الصيغ الصرفية.

المبحث الثاني: واهتمّ بالكشف عن الملامح والأبعاد التداولية في العملية التواصلية من خلال تقعيد وتوجيه المسائل النحوية.

أمّا **الفصل الرابع**: فاهتم بالشّق البلاغي وعنوناه بـ "**:الأبعاد التداولية في العملية التواصلية من خلال الآليات البلاغية**"، وقسمناه إلى مبحثين:

المبحث الأول: تعلّق برصد الأبعاد التداولية من خلال مباحث علم المعاني كـ:"الخبر والإنشاء، الفصل والوصل، التكرار والحذف".

المبحث الثاني: وخصصناه للكشف عن الأبعاد التّداولية في علم البيان كـ:"التشبيه، الإستعارة، الكناية والبديع كـ:" الإلتفات، التضمين والاقتباس".

أمّا **الخاتمة**: فعرضنا فيها أهمّ النتائج المتمخّضة عن هذا البحث.

والبحث اعتمد على مصادر ومراجع كـ "معجم مقاييس اللغة" لابن فارس، و"لسان العرب" لابن منظور، "الكشاف" و"أساس البلاغة" للزمخشري، و"الكتاب" لسيبويه، و"البيان والتبيين" للجاحظ، و"الخصائص" لابن جني، و"أسرار البلاغة" و"دلائل الإعجاز" لعبد القاهر الجرجاني، و"مفتاح العلوم" للسكاكي، و"تلخيص المفتاح" للقزويني، "الصناعتين" لأبي هلال العسكري، و"البديع" لعبد الله بن معتز، و"منهاج البلغاء" لحازم القرطاجني، ومراجع غربية حديثة متجرمة كـ "محاضرات في الألسنية العامة" لفردينان دي سوسير، و"الإتجاهات الأساسية في علم اللغة" لرومان ياكبسون، و"المقاربة التداولية" لفرانسواز أرمينكو، و"التداولية من أوستين إلى غوفمان" لفيليب بلانشيه، و" أوجه النظرية التركيبية" لنعوم تشومسكي، "نحو الكفاية التواصلية" لدال هايمز، ومن المراجع العربية الحديثة" دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي"، الوظائف التداولية في اللغة العربية" و"مسائل النحو العربي في قضايا نحو الخطاب الوظيفي" لأحمد المتوكل ، و"التداولية عند العلماء العرب" لمسعود صحراوي ، و"في اللسانيات التداولية" لخليفة بوجادي، و"استراتيجيات الخطاب" لعبد الهادي بن ظافر الشهري، و"الأمير عبد القادر وأدبه" لعبد الرزاق بن سبع، و"الأمير عبد القادر" لبشير بويجرة، و"المجمل في المباحث الصوتية من الآثار العربية" لـدرار مكّي، و"الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري سريته الذاتية وجهاده" لـيحيى بوعزيز.

كما اعتمد البحث على دراسات سابقة تمثلت في مجموعة من الأطاريح، كـ: يحي بعيطيش الموسومة بـ :"نحو نظرية وظيفية للنحو العربي"، وأطروحة مسعود صحراوي المعنونة بـ:"الأفعال المتضمّنة في القول بين الفكر المعاصر والتراث العربي"، و بحث إبرير بشير الموسوم بــ:"توظيف النظرية التبليغية في تدريس النصوص و محمد ملياني المعنونة بـ :"ظاهرة الحذف في الدراسات اللسانية الحديثة"، و"الخطاب التداولي في الموروث البلاغي العربي من القرن الثالث هجري إلى القرن السابع هجري" للباحث أحمد واضح.

واستفاد البحث من مجموعة من المقالات المبثوثة في مجلات أكاديمية محكّمة كمقال: "نظرية التبليغ بين الحداثة العربية والتراث العربي" لعبد المالك مرتاض المنشور في مجلة تجليات الحداثة، و مقال "الوصف في شعر الأمير عبد القادر الجزائري" من مجلة دراسات جزائرية لـمحمد برونة، و"عملية التبليغ عند العلماء العرب" ، من مجلة المبرز لعبد الرحمان حاج صالح، ومجلّات وطنية أخرى.

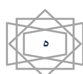
أمّا المنهج الذي اعتمدناه بالدّرجة الاولى في الدراسة والتحليل هو المنهج التداولي الذي يتناسب مع طبيعة البحث ومتطلباته، والمنهج الوصفي الذي يقوم على استقراء المادة العلمية ورصد مواقف العلماء القدماء و المحدثين من خلالها.

ومن الأهداف التي نرمي إليها من خلال الدراسة هي:

- الرّجوع إلى التراث اللغوي العربي ـالنحوي والبلاغيـ بآليات ووسائل حديثة يوفّرها المنهج التداولي ويكشف من خلالها عن قيم النّص المختلفة.

- العمل على مدّ الجسور بين التراث اللغوي العربي والنظريات اللسانية الحديثة، كنظرية "النّحو الوظيفي"، و"لسانيات النص" و"الاتجاه التداولي" بغية تأسيس "درس تداولي عربي".

- العمل على اختيار المدوّنات الأدبية الجزائرية وخاصّة الشعرية منها، ودراستها وتحليلها للكشف عن جماليّتها وعن مدى استجابة أساليب أصحابها للمقاييس النقدية الحديثة، كما هو الحال عند شاعرنا "الأمير عبد القادر".



وفي الأخير أتقدم بالشكر الجزيل إلى أستاذي الفاضل **الأستاذ الدكتور محمد ملياني**، وذلك لما تفضّله به علينا من دعم و توجيه، فلم يبخل علينا بعلمه و نصحه فنشكر له تعاونه معنا وله فائق الشكر و التقدير و الجزاء.

والله الموفّـق.

الفصل الأوّل

اللسانيّات من الوصف والتفسير والتجريب إلى الوظيفية

المبحث الأول: اللسانيات البنيوية وما بعد البنيوية

تمهيد

1. اللسانيات البنيوية.

   1.1 دي سوسير وعلم اللغة.

   2.1 إسهامات فلاديمير بروب وليفي شتراوس.

   3.1 الجلوسيماتيكية (السوسيرية الحديثة)

   4.1 البنيوية الأميركية (علم اللغة الوصفي).

2. اللسانيات ما بعد البنيوية

   1.2 النحو التوليدي التحويلي

   2.2 النحو الوظيفي

   3.2 علم لغة النص (اللسانيات النصية)

المبحث الثاني: اللسانيات والمنحى الوظيفي الجديد

تمهيد

1. المرجعية الفكرية للتداولية

2. مفهوم التداولية

3. أقسام التداولية وأشكالها

4. محاور التداولية

المبحث الأول: اللسانيات البنيوية وما بعد البنيوية

1. تمهيد:

لقد مرّ الدرس اللغوي الحديث بثلاث مراحل أساسية، كانت الأولى منها عندما ظهر "المنهج المقارن" نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر على يد مجموعة من المقارنين نذكر منهم "رسموس راسك"(Rasmus Rask)(1787–1852)و"فرانز بوب"(Franz Bopp)(1791–1867) و"جاكوب غريم"(Jakob Grime)(1785-1863)، وكانت مهامهم وضع تاريخ للتطور اللساني بواسطة التقاربات بين لغات تبدو مختلفة نسبيا، ويعتمد فيه المقارن على ملاحظة الظواهر اللغوية وتحديدها بدقة ليميز بين الظواهر الفيزيولوجية والفيزيائية، وهو ما يعرف بأصوات اللغة، وأهمل في أحايين كثيرة المسائل الأخرى كالنحو مثلا، ولكنه ربط الأصوات بالمعجم وبدراسة المفردات.

أمّا المرحلة الثانية فكانت في بداية القرن العشرين عندما خالف "فرديناند دي سوسير" زعم أنصار المنهج المقارن، حيث أكّد على أنّ اللغة ظاهرة اجتماعية، وليست كائنا حيا، فهي تخضع لنفس الذي تخضع له علوم الاجتماع، وتبنى المنهج التزامني وعدّه ضروريّا في استكشاف نظام اللغة الذي تحكمه علاقات تحدد القيمة اللغوية أو الوظيفة اللغوية، ووصف هذا المنهج بالبنائي أو البنيوي.

أمّا المرحلة الثالثة، فيمكن أن نحددها من بداية الستينيات القرن الماضي، وعودة الدرس اللغوي إلى الحقل الفلسفي، وظهور النحو الوظيفي الذي يسعى إلى بناء نظرية لسانية تصف اللغات الطبيعية من وجهة نظر وظيفية؛ فالوظيفة هي التي تحدد البنية وليس العكس، كما شهدت هذه المرحلة منحى وظيفي جديد، تمثّل في معرفة قواعد التداولية.

وستهتمّ الدراسة في هذا المبحث بالمرحلتين الأخيرتين: **الثانية** وشهدت بداية اللسانيات الحديثة وامتدّت لخمسة عقود، واعتمدت الدراسات فيها على الوصف والتفسير والتجريب، وأطلق عليها اسم "اللسانيات البنيوية". **والثالثة** اعتمدت على المعطيات اللسانية السوسيرية واستندت إلى مقولات الفلسفة اللغوية، وأطلق عليها اسم "اللسانيات ما بعد البنيوية"، على أن نخصّص المبحث الثاني للمنحى الوظيفي الجديد المتمثّل في التداولية.

2. اللسانيات البنيوية:

ينضوي تحت اللسانيات البنيوية عدة تيارات لسانية ومناهج نقدية، انطلاقا من "فردينان دي سوسير" إلى التيارات المختلفة التي تظهر بعده، وشكّلت تصوّراته وأفكاره التي ضمّها كتابه المشهور "محاضرات في اللسانيات العامّة"، وتبنّاها أتباعه بعده، القاعدة الأساسية التي بني عليها مشروعه البنيوي.

1.2 دي سوسير* و علم اللغة :

عدّ كتاب "محاضرات في اللسانيات العامة " المصدر الأساسي للدرس اللغوي المعاصر في الفترة الممتدة بين (1916-1957) حيث ظهرت مناهج لغوية جديدة نتيجة لما يحمله هذا الكتاب من أفكار وتصورات ومفاهيم كانت ضرورية لكل من يسعى إلى فهم البنيوية أو يرغب في الاطلاع على أي نشاط من نشاطاتها الفكرية والفنية المختلفة .[1]

لقد تبنّى "فرديناد دي سوسير" المنهج التزامني في دراسة اللغة، وعّده ضروريّا في استكشاف نظام اللغة ووصفه بمنظور كلي شامل وأسلوب علمي دقيق، وبهذه الخطوة وضع القطيعة الابستمولوجية مع الدراسات السابقة فكان رائد المنهج الوصفي البنيوي.فهو رائد المنهج الوصفي البنيوي، و يرتبط اسمه بها ارتباط الفرع بالأصل بعد أن نشأت البنيوية من دعوته المشهورة إلى التمييز بين الدراسات التعاقبية، و الدراسات التزامنية، و تشديد على مفهوم البنية و النظام في اللغة. [2]

ويلحّ "فردينان دي سوسير" على تصوير اللسان ووصفه على أنه نظام من العناصر المترابطة على المستويات الدلالية والنحوية والصوتية، لا على أنّه تراكم من كيانات قائمة بذاتها.[3]

* يعدّ دي سوسير مؤسس اللسانيات الحديثة (1857 . 1913)، حيث قام تلامذته بإعداد محاضرات في علم اللغة عام 1916م، حيث كان لها أبلغ الأثر على العلوم اللسانية خاصة، والعلوم الإنسانية عامة، وقد حاول تحديد موضوع علم اللغة، بعد النظر إلى شتى فروع العلوم الإنسانية، التي تتداخل وتتشابك وتكّون نسيج النشاط اللغوي لدى البشر، وهو أول من وضع تفرقة بين اللغة والكلام، كما وضع تفرقة أخرى هامة أطلق عليها اسم اللغويات الداخلية واللغويات الخارجية،وتُعتبر كافة النظريات اللغوية الحديثة، مُدينة لجهوده التي قام بها .ينظر:روس هارس وتوليت جي تلر، أعلام الفكر اللغوي التقليد الغربي من سقراط إلى سوسير، ترجمة أحمد شاكر الكلابي، دار الكتاب الجديدة المتحدة، طرابلس، ليبيا، (ط1)،2004،ص:258

(1) ينظر:رومان ياكبسون،الاتجاهات الاساسية في علم اللغة،ت:علي حاكم صالح، المركز الثقافي العربي،دار البيضاء ،(ط1)،2002،ص:28

(2) فردبناد دي سويسر، محاضرات في الألسنية العامة، تر. يوسف غازي ومجيد نصر، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر،1986،ص:09

(3) ينظر: رمضان عبد التواب، مدخل الى علم اللغة و مناهج البحث، مكتبة الخانجي، القاهرة، (ط3)، 1997 ص: 184.

فاللغة في نظره نظام من العلامات لا قيمة لوحداتها وسائر مكوناتها إلا بالعلاقات القائمة فيما بينها، فهي عبارة عن مجموعة من العلاقات والقوانين التي تحكم مجموعة من العناصر المنتظمة في تناسق، وهدف البنيوية هو البنية اللغوية وتحليلها، وعلى هذا المفهوم الذي اختطه "دي سوسير" يقوم صرح اللغة المعاصر بأسره.(1) ويقوم التحليل اللغوي على عدّ الوحدة الصوتية أصغر وحدة لغوية إلى الكلمات التي تتألف من تلك الأصوات ،ثم تصل إلى الوحدة الأكبر التي تتألف من هذه الكلمات وهي الجملة، و هي في تحليلها لكل مستوى من هذه المستويات تستعين بعلاقة كل عنصر لغوي بالعناصر اللغوية الأخرى التي تشتمل عليها تلك اللغة .(2)

ولما كانت الدراسات التعاقبية تمثل حالات خاصة لا تؤسس فيما بينها نظاما أنكرها "دي سوسير". ودعا بالفصل بين الدراسة التزامنية التي تصف اللغة وتتبع تاريخها.(3) وميّزت دراسات "فردينان دي سوسير" بين (اللغة و(الكلام) أي ما هو "اجتماعي" وما هو "فردي"، فمجال علم اللغة هو الأول أي (اللغة) التي تمثل كيانا متجانسا، على العكس من الكلام الذي يمثل خليطا غير متجانس.(4)

أمّا اللغة عنده نظام من العلامات، و هي جزء من علم (العلامات) الذي طالب بتطويره مقترحا له هذا الإسم و هو ما تحقق لاحقا بعدم تحليله و أكد "دي سوسير" على مسألتين:(5)

الأولى : هي البنية اللغوية أي التركيب الداخلي (من صرفي و نحوي) أي النظام الداخلي الذي يعد التوصل إلى القواعد التي تتحكم فيه أهم بمراحل أية دراسة لغوية أخرى .

والثانية: أهمية اللغة المنطوقة التي تمثل المظهر الأساسي للغة و ليس الكتابة.

---

(1) ينظر: جوناثان كلر،الشعرية البنيوية،ت:سيد إمام، دار الشرقيات للنشر،القاهرة(ط1)،2000،ص:23

(2) ينظر: نايف خرما، أضواء على الدراسات اللغوية، سلسلة عالم المعرفة، الكويت (ط1)، 2000 ،ص: 23 .

(3) ينظر: فرديناند دي سوسير، محاضرات في الألسنية العامة، ص: 19.

(4) :ينظر:المصدر نفسه،ص:32

(5) ينظر : نايف خرما، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، ص 107.

بهذا يرى " أن أفضل منهج لدراسة اللغة هو أن نحاول وصفها كما هي في فترة زمنية محددة وأن نصل من هذا الوصف إلى القواعد أو القوانين العامة التي تحكمها. أو نتوصل على الأقل إلى معرفة البنية أو التركيب الهيكلي لها ".[1]

وميّز أيضا بين النطاق الداخلي الذي يعني النظام اللغوي الداخلي للغة، و يجب أن يعني علم اللغة به وحده ليكون هذا العلم مستقلا، و النطاق الخارجي الذي يشمل كل العلاقات بالعلوم الأخرى ومجالات الحياة.[2]

وعلى أساس مفهوم البنية ورؤيته للنظام قرر "سوسير" أن اللغة شكل و ليس مادة. فالأصوات التي تمثل الجانب المادي قد تتشابه في بعض اللغات و هي لا تزيد عادة على ملء سطرين أو أكثر بقليل، أما النصيب الأكبر فهو للنظام الذي يمكن من خلاله أن تكون من الأصوات القليلة عددا غير متناه من الكلمات المفردة و الجمل المركبة.[3] ويتميز وجود اللغة عنده بمحورين:[4]

محور الاستبدال: و هو المجموعات اللغوية الحاضرة في الذهن وهي كيانات منفصلة تمثل القدرة على تبادل الظاهرة اللغوية .

المحور التوزيعي : هو العلاقات التي تربط بين وحدات اللغة أثناء التعبير بها.

ومن الفرضيات الأساسية عند "سوسير" أن الرمز شيء اعتباطي و هو كذلك من ناحيتين:[5]

الدالّ شيئ اعتباطي لأنّه ليست هنالك من علاقة طبيعية بينه و بين ما يدل عليه، بل هناك علاقة يقبلها الناس بحكم التقليد، أو العرف إذ ليس هناك من خاصية تشترك بها كل الأشجار مثلا بحيث يقتضي المنطق أو الضرورة أن ندعوها أشجارا لكن هذا ما ندعوها به لأننا اتفقنا على ذلك أما الفرنسيون فيدعونها(arbre).

([1]) ينظر: نايف خرما،أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، ص:106.

([2]) ينظر فردينان دي سوسير، محاضرات في الألسنية العامة، ص: 39-41.

([3]) المرجع نفسه، ص:139.

([4]) ينظر، خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، ط1، 2009، ص: 20.

([5])ينظر المرجع نفسه،ص:22

والنتيجة البالغة الأهمية التي يستخلصها "سوسير" من هذه الاعتباطية المزدوجة أن اللغة ليست نظاما من الأمور الجوهرية الثابتة ،بل من الأشكال غير المستقرة. إنها نظام من العلاقات بين الوحدات التي تشكلها، و هذه الوحدات ذاتها تتشكل هي الأخرى من الاختلافات التي تميزها عن سواها من الوحدات التي لها بها علاقة فالمحل الذي تحتله وحدة سواءً أكانت صوتية أم معنوية في النظام اللغوي هو الذي يحدد قيمها .

2.2 إسهامات "فلاديمير بروب" و "ليفي شتراوس":

1. فلاديمير بروب (Vladimir Prop):

يعتبر "فلاديمير بروب" من أبرز الشّكلانيين الذين أسهموا في تكوين الفكر البنيوي، لاسيما في مناحيه التطبيقية، ويعدّ كتابه "مورفولوجيا الحكاية الشعبيّة" من أبرز الكتب التي لاقت رواجا في الساحة النقدية والأدبية، وفيه تطرّق "بروب" إلى دراسة مائة حكاية روسية معتمدا المنهج الشكلاني الذي ترتكز فيه الدراسة على شكل المضمون ، والتحليل المحايث قصد استكشاف خصائص العمل الأدبي.

ويظهر أثر المبادئ البنيوية التي نادى بها "دي سوسير" في هذا الكتاب حينما يكشف صاحبه عن الهدف الاساسي من الدراسة، وهو وضع قواعد عامّة للحكي الشعبي الجمعي الذي يعدّ بالنسبة إلى الحكي الفردي بمثابة اللغة بالنسبة للكلام على حدّ تعبير "دي سوسير"، وينطلق في تحليله للحكاية الشعبية من المستوى الافقي إلى المستوى الرأسيّ في وصف الشّخصيات جامعا بين المتعارضات في شكل ثنائيات ضدية ؛ فمثلا شعور شخصية البطل بالنّقص أو بالتهديد ينتهي بزوال أسبابهما، وخروجه يقابل عودته في نهاية القصّة، وكذلك ظهور القوة الشريرة التي تنتهي بالقضاء عليها.[1]

ومبدأ الثنائية الذي استثمره "بروب" في دراسته الحكاية الشعبية نجده قد حكم محاضرات "دي سوسير"، فلكل شيء في هذا الكون وجهين كلاهما يكمّل الآخر في نظر هذا العالم.

[1] ينظر، صلاح فضل، البنائية في النقد الأدبي، دار الشروق، القاهرة (ط1)، 1998،ص:63

2. ليفي شتراوس (Levis Strauss):

لقد تأثّر "ليفي شتراوس" بأفكار ومبادئ "دي سوسير"، ويظهر ذلك واضحا في كتابه المشهور "الأبنية الأولية للقرابة"، وفيه يحدّد الهدف الحقيقي من الدراسة وهو ليس معرفة المجتمعات في نفسها، وإنّما اكتشاف كيفية اختلافها عن بعضها البعض،[1] ففي الإختلاف والتنويع يظهر النّظام الشّامل والواضح، وهو مبدأ أقرّه "دي سوسير" حينما نظر إلى اللغة على أنّها نظام أو نسق مؤلف من عدة وحدات لها تأثير متبادل على بعضها.

وتظهر تطبيقات المنهج البنيوي في دراسات "ليفي شتراوس" حينما يتناول جانبا من جوانب المجتمعات البدائية كعلاقات القرابة مثلا، ويحاول تمثيلها بالحروف في الصوتيّات على أنّها عناصر للدّلالة، كما أنّها لا تكتسب دلالتها إلّا بشرط أن تنخرط في نظم خاصّة كالحروف تماما.

وفي كتابه "ميثولوجيات" حاول "ليفي شتراوس" جمع عدد كبير من الأساطير من مختلف بقاع العالم بغية تحديد علاقاتها وإثبات قواها الموحّدة للعقل البشري ووحدة منتجاته.[2]

والمتأمّل في هذه المحاولة سيكتشف أهم مبدأ وضعه "دي سوسير" لدراسة اللغة، وهو نظاميّتها، حيث لا يمكن تحليل الظواهر اللغوية بعزلها عن غيرها، فهي أجزاء في نسق كبير تخضع لقوانين تتحكّم في بناء العلاقة التي تتّبع الأجزاء. ويظهر مبدأ الثنائية الذي ناد به "دي سوسير" في أعمال "شتراوس" حينما يمثّل بناء الكون في مجموعة من الثّنائيات المتعارفة والمتكاملة في الوقت نفسه، (كالموت والحياة، الهرم والشّباب، والنور والظلام).[3]

3.2 الجلوسيماتيكية (Glossematique):

هي اتّجاه لساني تأسّس في "كوبنهاغن" سنة 1931، وضمّ مجموعة من اللغويين على رأسهم "هيلمسليف"(Helmslev) وصديقه "بروندال"(Brondell) الذي اعتمد اجراءات المنطق الرمزي في تفسير المادة اللغوية.

---

(1) ينظر: المرجع السابق،ص:143

(2) ينظر: المرجع نفسه،ص:238

(3) ينظر: المرجع نفسه،ص:215

واجتهد الإثنان في دراسة علمية للغة وجميع علوم الإنسان بعدّها أنظمة، ثائرين على الأساليب القديمة لدراسة اللغة، بمصطلحات جديدة علمية بعيدة عن الفلسفة، متميّزة بالتجريد.[1]

ومصطلح "الجلوسيماتيك" مصطلح قديم بمعنى جديد، فهو مشتق من الكلمة اليونانيّة "glossa" والتي تعني اللغة، وتهتم بدراسة الجلوسيمات؛ أي الوحدات النحوية الصّغرى التي لا تقبل التجزئة، وتنقسم إلى قسمين: وحدات التعبير وتدعى "سوانم" (Cenemes)، ووحدات المحتوى وتدعى "مضامين" (Pleremes) [2]

وقد فرضت "الجلوسيماتيكية" وجودها في الساحة النقديّة واللغوية بنشاطاتها المكثفة والمتمثلة في المؤتمرات العالمية،ووفي إصدار روّادها مجلة تهتمّ بالدرس اللغوي أطلق عليها "المجلة الدولية لعلم اللغة البنيوية"، وكان هدفها الأساسي من نشاطاتها هو وصف البنية الشكليّة للغات، و "الجلوسيماتيكية" ليست نظرية بالمعنى العادي لنظام من الفرضيات، بل نظام من المقدمات المنطقية الشكلية والنظريات المحكمة التي تمكن من إحصاء كل إمكانات التأليف بين عناصر النص الثابتة.[3]

فتبنّت "الجلوسيماتيكية" مبادئ وتصوّرات "دي سوسير"، في حدّتها ودقتها، ولذلك سمّاها بعضهم "السوسيرية الحديثة"، فعدّت اللغة نظاما من العلامات والقيم، وهي شكل وليست مادّة، على ما ذكر "دي سوسير":"ومادة اللغة ليس لها معنى في ذاتها"،[4] وفرّقت "الجلوسيماتكية" بين التعبير والمضمون، (الدال والمدلول)، وكذلك بين بين الشكل والمادة مؤكّدة أنّ موضوع علم اللغة هو الشكل وليس المادّة، إذ تتشكل المادة في كل لغة على نحو مختلف.

فيكون الشّكل على مستوى التعبير الفونيمات وعلى مستوى المضمون وحدات بنية المعنى، أمّا المادة فهي التّلازم والتّعالق غير اللغوي للشكل، وتكون على مستوى التعبير الدال في كل

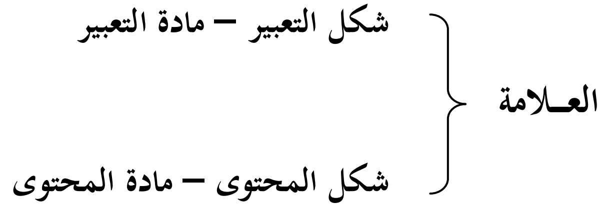
(1) ينظر: خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية،ص:25

(2) ينظر: أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر،(ط2) 2002،ص:160

(3) ينظر: المرجع نفسه،ص:160.159

(4) ينظر: خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية،ص:26

الأصوات التي يمكن نطقها، وهذه الأفكار أطلق عليها في بحث متأخر الطبقات الأربعة للغة أو المستويات الأربعة للغة.[1]



شكل المحتوى: يقابل ما أشار إليه "دي سوسير" بـ "المدلول".

شكل التعبير: يقابل ما أشار إليه "دي سوسير" بـ "الدّال".

مادّة المحتوى: تمثّلها الأفكار؛ أي في الواقع الخارجي.

مادّة التعبير: مجموعة من الأصوات المنطوقة في شكلها المادة (مادة الأصوات).

حاصل القول إنّ مهمة "الجلوسيماتيكية" تظهر في دراسة علاقة شكل التعبير بشكل المحتوى ووصفهما؛ ولذلك عدّها الدّارسون اتّجاها يهتمّ بوصف البنية الشكلية للغات.

4.2 البنيوية الأمريكية (علم اللغة الوصفي):

لم تختلف نشأة البنيوية الأمريكية وتطورها كثيرا عن المدارس البنيوية الأوروبية، فقد كان همُّ روادها الأمريكان هو إيجاد أو ابتكار طريقة لوصف اللغات الهندية الأمريكية الآخذة بالإنقراض، والمتتبع للدرس اللغوي (الوصفي) لهذه المدرسة يرى أن أبرز أو معظم رجال البنيوية كانوا متأثرين بأفكار "سوسير" بشكل أو بآخر.[2]

وهناك فريق يرى أن الدرس اللغوي الأمريكي كان مستقلّا عن المدارس اللغوية الأوروبية في النّصف الأول من القرن العشرين، وغير متصل بـــدراسات "دي سوسير"اتصالا مباشرا، ومن هؤلاء الباحثة "برجيت بارتشت"(B.Bartshte) ،والتي ترى أن معرفة تأثير "دي سوسير" في علم اللغة الوصفي ليس بالأمر الواضح كما هو الحال في لغة الأوروبية في القرن العشرين غير أنّه تتلاقى آراؤه

([1]) ينظر: خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية،ص:28

([2]) ينظر: سعيد بحيري، مناهج علم اللغة من هرمان باول حتى نعوم تشومسكي، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر،(ط1)،2004،ص 110.

حول البنية اللغوية مع أراء "فرانزبواز" و قد تضمنت مدرسة "بلوم فيلد"(Bloomfield) في علم اللغة الوصفي معرفة كليهما، وأسست هنا أيضا تفكيرا عن النظام و البنية، وإن كان في سياق آخر في أروبا. فاللغة بالنسبة لـ"بلومفليد" أيضا نظام و يتحدد كل عنصر مفرد ببينه من خلال موقعه في هذا النظام.[1]

أمّا "كلاوس هيشن" في مقدمة كتابه "القضايا الأساسية في علم اللغة" يرى أنّ :" الفضل يرجع إلى "دي سوسير" في إدخال وجهة النظر البنيوية في علم اللغة و حتى إذا كانت البنيوية الأمريكية لم تحفل بـــ"دي سوسير"إلا بشكل محدود فإنه قد وقف أقرب ما يكون إلى أضعاف أضعافها".[2]

ومن أعلام البنيوية الأمريكية الذين مثّلوا هذا الاتجاه: "فرانز بواز"(F.Boas) و"إدوارد سابير"(E.Sapir) و "ليونارد بلومفيلد" (L.Bloomfield).أمّا "بواز" فقد سجل تقصيرا ملحوظا من المناهج التقليدية التي نشأت وتطورت في "أوروبا"، وهو يعني بذلك "الدراسات التاريخية" وخاصة اللغات "الهندوأوروبية"عن دراسة لغات غريبة للغاية مثل اللغات الهندية الأمريكية، كما سجل فرضية أخرى وهي عدم وجود لغات مختلفة، ونادى أيضا لوصف كل لغة على حدة، وهو ما أجج إحدى المعتقدات الأساسية للدراسات الأمريكية.[3]

أما "سابير" فكان له السبق في إدخال الجانب (النظامي) (البنيوي) إلى علم اللغة الأمريكي فبالرغم لاختلافه مع "بلومفليد" و"بواز" وهما لغويان يختلفان في اهتماماتهما العلمية اختلافا كبيرا، إلا أنّه تميز عنهما بحرصه على دراسة الأنماط اللغوية حسب وجودها في عقول المتكلمين، ومن أرائه أنّ كل إنسان يحمل داخله المخططات الأساسية التي تنظم لغته وهي نماذج اللغة المكتسبة.[4]

([1]) ينظر: المرجع نفسه، ص 207.

([2]) كلاوس هيشن ، القضايا الأساسية في علم اللغة، ترجمة سعيد بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة (ط1)،2003، ص 3-4.

([3]) ينظر: المرجع نفسه، ص 111.

([4]) ينظر: المرجع نفسه، ص 111-112.

واختلف "بلومفليد" عن سابقيه حيث تميزت دراساته بالعمق في التحليل واستخدام الأدوات الوصف النحوي، كما كان له الفضل في تأسيس مدرسة "ييل" (Yale)، والتفّ حوله مجموعة من الباحثين اللغويين أطلقوا على أنفسهم اسم "علماء علم اللغة الوصفي" لأن وصف اللغة كان الهدف الرئيسي لبحوثهم.[1]

ويعدّ كتاب "اللغة" (Language) أشهر عمل قدمه"بلومفيلد"، حيث كان مرجعا أساسيا لكثير من اللغويين الأمريكيين لثلاثة عقود، لذا جعله الكثير من الدارسين المؤسس الحقيقي للمدرسة البنيوية.[2] ولقد ركّز "بلومفيلد" في دراساته على "السّلوك"، وهذا دليل على الأثر الذي تركته "المدرسة السلوكية النفسية" التي تأسست في الولايات المتحدة الأمريكية على يد "وطسون"، واعتماد هذه الدراسة يعني الاعتماد على الملاحظة والتجربة؛ أي طريقة تخضع للحواس أكثر من شيء آخر، ومن أهم صورة تأثره بهذه المدرسة رفضه الاستبطان ودعوته إلى الاقتصار على المنطوقات التي يمكن ملاحظتها وإعادة إنتاجها وعلى علاقتها بالموقف المباشر الذي أنتجت فيه.[3]

فمن خلال ما سبق، لا وجود لأيّ تمييز بين اللغة والكلام على خلاف ما أقره "دي سوسير" و"بلومفليد" يصرّ على ضرورة الوصف اللغوي على عينات حية تجنبا للتكلف، وعد المنطوق الكلامي موضوعا لعلم اللغة .[4]

ودراسة المعنى في نظر "بلومفيلد"أمر ثانوي بل عدّه النقطة الأضعف في دراسة الوصف اللغوي لصعوبة البحث فيها بحثا موضوعيّا. لذا اقتصر على دراسة اللغات من الناحية الشكلية الظاهرة فقط،ويستبعد "بلومفيلد" الحدس الذي يربط بالمعنى وعمليات الوعي التي تشارك في استيعابه، وألحّ على الإعتماد الوصف الشكلي والآلي ما أمكن ذلك، فلا وجود لتعريف دقيق من

([1]) ينظر: سعيد بحيري، مناهج علم اللغة من هرمان باول حتى نعوم تشومسكي ، ص 202.

([2]) ينظر:المرجع نفسه،ص:202

([3]) ينظر: المرجع نفسه، ص 204.

([4]) ينظر: كلاوس هيشن ، القضايا الاساسية في علم اللغة، ص 118.

الناحية العلمية لكل شيء في لغة ما لم تمتلك معرفة دقيقة من الناحية العلمية لكل شيء في عالم المتكلم والمدى الحقيقي للمعرفة الإنسانية ضئيل جدا مقارنة بذلك.[1]

ويضرب "بلومفيلد" مثالا على ذلك فيرى باستطاعتنا أن نسمي المعادن أو الملح بكلور الصوديوم لكننا لا نمتلك طريقة محددة لتحديد كلمات مثل الحب(Love) أو الكراهية(Hate) وهذا هو السبب عدّ (المعنى) النقطة الضعيفة في دراسة اللغة ،و سوف تبقى كذلك حتى تتقدم المعرفة الإنسانية تقدما بعيدا للغاية يتجاوز مرحلتها الحالية.[2] وفي ظلّ مفهوم المثير والإستجابة يقدم "بلومفيلد" سيناريو لتفسير الظاهرة يطلق عليه بسيناريو "جاك وجيل"، و المعروف في كتب اللسانيات الغربية نظرية "بلومفيلد" تمثلها هذه الرسمة :[3]

حح ⇐رع ⇐ دض ⇐ حض

تفسير هذه الرسمة :

ح ح= الحافز الحقيقي (Le Stimilus Effectif)

شعور جيل بالجوع و مشاهدتها التفاحة .

ر ع= رد الفعل العملي(Raction Active)

مجاورة جاك السياج و تسلقه الشجرة .

ر ض= رد الفعل الإستعاضي (Reactive Substitve)

جيل تنتج ملفوظا الموجات الصوتية تنفرز من حنجرتها و شفتيها.

ح ض = الحافز الاستعاضي (Stimulus Substituve)

ملفوظ جيل يسمعه جاك.

([1]) ينظر سعيد بحيري، مناهج علم اللغة ، من هرمان باول حتى نعوم تشومسكي،ص:209

([2]) ينظر: كلاوس هيشن، القضايا الأساسية في علم اللغة، ص 201.

([3]) ينظر:عبد المالك مرتاض، اللغة والتواصل، دار هومة، الجزائر،(ط1)،2003م،ص:125

و يمكن تمثيل هذه النظرية في ثلاث لحظات:

أ.الوضع السابق لفعل الكلام .

ب.الكلام.

ج. الوضع اللاحق لفعل الكلام.

والواضح أنّ "بلومفيلد" يلتقي مع دي "سوسير" في أن كلا منهما يؤسس نظريته التواصلية على:

- الطابع الاجتماعي الذي يحكم لغة التواصل.

- أنّ الحدّ الأدنى لنهوض العملية التواصلية هو شخصان اثنان و علاقة بينهما لكن "بلومفيلد" يجاوز "دي سوسير" في أن ذلك يلاحظ طبيعة التواصل فيما قبل الكلام و ما بعده فيرصد الجو المفضي إلى فعل الكلام و التأثير الذي يحدثه في النفس هذا الكلام في الإبان ذاته فهو من الوجهة الأخيرة ينحو بنظريته منحى نفسانيا .

إنّ "دي سوسير" يقيم نظريته على وجوب الكلام بين شخصين من حيث أن الآخر يقيم نظريته على الصمت؛ إذ لا "جاك" و لا "جيل" يحادث أحدهما الآخر كما أن "جِيلْ" لا تطلب إلى "جاك" أن يقطفها التفاحة و إنما تصدر منها حركة تدل على الجوع فكأنّ هذه النظرية تشبه الغريزة .

واعتمد "بلومفيلد" في كتاب اللغة مصطلح "المكون المباشر" في دراساته التي تعتمد الوصف، كما يركز على "النحو المورفولوجيا" في استكمال تحليلاته،وتشمل هذه الدراسة على كل الوحدات الحاملة للمعنى والقابلة للتجزئة، وهو النهج الذي وسعه أتباع "بلومفيلد" فيما بعد وعرف باسم "التّوزيعية".[1] وتشكل المورفيمات أو "المكونات الأساسية " في تصور "بلومفليد" بناء مركبا، وتحليل الجملة يفضي إلى فقدان بنيتها،[2] ولكن "بلومفليد" يتجنب بعملية تدريجية هي التحليل إلى المكونات المباشرة، فمثلا الجملة:

---

(1) ينظر: سعيد بحيري، مناهج علم اللغة من هرمان باول حتى ناعوم تشومسكي ، ص: 218.

(2) ينظر : المرجع نفسه، ص 219

مهّد علماؤنا الأرضية

يمكن تحليلها إلى ثلاث مكونات :

مهّد / علماؤنا / الأرضية

1 2 3

وبتحليل المكونات الثلاث نحصل على:

مهّد / علماؤ/ نا / ال/ ارضية

4 5 6 7 8

نستنتج:

المكونات 3.2.1 هي مكونات مباشرة بمعنى يمكن تحليلها إلى مكونات أصغر.

والمكونات 8.7.6.5.4 لا يمكن تحليلها إلى مكونات أصغر لأنها تحمل دلالة الجملة ووظيفتها.

فالوصول إلى المكونات الأساسية يكون في نهاية التحليل وليس بدايته، فالجملة في نظر "بلومفليد"مكونة من طبقات بعضها أكبر من بعض، يتمّ تحليل عناصرها الأولية إلى المورفيمات، لكن هذا التحليل أقصى المعنى مما جعله محطة انتقادات بصورة خاصة والمنهج البنيوي الأمريكي بصفة عامة وقد شبه بعض النقاد صنعهم هذا طريقة صنع السفن من غير إشارة إلى البحر.(1)

حاصل النّظر فيما مضى إنّ اللسانيات البنيوية مثّلتها تيارات ومناهج نقدية مختلفة، عملت على استثمار تصوّرات وأفكار "دي سوسير" في ميادينها كدراسة المجتمعات (البدائية) عند "ليفي شتراوس" والأساطير عند "فلاديمير بروب" واللغات عند "ياكبسون" ورواد المدرسة الجلوسيماتيكية.

3. اللسانيات ما بعد البنيوية:

خلّص "فرديناد دي سوسير" الدرس اللغوي من الحقلين التقليديين (الفلسفي والديني)، ووضع منهجا لدراسة اللغة عرف بـ"المنهج الوصفي البنيوي"،الذي ينظر إلى اللغة على أنها نظام من العناصر المترابطة على مستويات (دلالية،نحوية،صوتية)، وفصل بين الدراسة التعاقبية والتزامنية، كما

(1) ينظر: نايف خرما .أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، ص 295 .

نظر إلى اللغة على أنها سلوك كلامي متأثر بالعوامل الخارجية، فالصوت مثلا هو استجابة لإشارة خارجية. لكن في أواخر خمسينيات القرن الماضي يعود الدرس اللغوي إلى الحقل الفلسفي من جديد، ويعاد صياغة الكثير من الأفكار ومبادئ اللسانيات البنيوية،ووضع قاعدة جديدة تستند إلى مقولات فلسفية .ومن أهم التيارات اللسانية لما بعد البنيوية:

1.3 النحو التوليدي التحويلي:

ظهر هذا الاتجاه وتطور مباشرة من البنيوية الأمريكية، وتمثل في مدرسة لغوية ضمت مجموعة من العلماء على رأسهم "هاريس"(Haris) وتلميذه "نعوم تشومسكي" اللذان رفضا الأسس السلوكية التجريبية التي بنيت عليها البنيوية الوصفية الأمريكية.

وصنِّف "تشومسكي" بنظريته التوليدية التحويلية ضمن التيارات ما بعد البنيوية، "لأنّ منهجه يقوم على دراسة النماذج و الأشكال في بنية اللغة ، ويصنّفها الكثير من الباحثين إلى ما بعد البنيوية لسببين: [1]

الأول : توجيهه انتقادات إلى البنيوية كونها تهتم بالتحليل الشكلي للغة دون الالتفات إلى المعنى أو إلى القواعد التي يلجأ إليها المتكلم عند تكوينه الجمل .

الثاني: تجاوزه المعطيات السلوكية إلى الاهتمام بالقدرة الكامنة وراء الفعل اللساني، فاللغة في نظرة إبداع و ليست قوانين ثابتة.

فنتيجة تأثره بالفلسفة العقلية التي وضع أسسها "ديكارت "، ألّف"نعوم تشومسكي" كتابا خاصا للسانيات الديكارتية، وهذا من أجل رد اعتبار للقدرة العقلية، ودحض الفكر السلوكي والنزعة التجريبية حول طبيعة الذهن الإنساني.[2] وضمّ كتابه نظريات عن طبيعة اللغة و منهج دراستها وطريقة اكتساب الطفل لها التي مازالت حتى يومنا هذا مدار الدراسة، والبحث و التجريب لدى معظم علماء اللغة في العالم العربي بوجه خاص

([1]) ينظر: خليفة بوجادي في اللسانيات التداولية، ص:35.

([2]) جون سورل، تشومسكي والثورة اللغوية، مجلة الفكر العربي، عدد 8 مارس 1979،ص: 76.

وفي العالم بأسره بوجه عام .[1]

ولقد استطاعت النظرية اللسانية التوليدية التحويلية أن تعرّج بالبحث اللساني من منهج يتوفى معطيات علم النفس السلوكي إلى منهج عقلي، همه استكشاف القدرة الكامنة وراء الحدث اللساني و السعي من أجل تعليله و تفسيره بدلا من وصفه وصفا شكليا. وأضحت نظرية "تشومسكي" تنعت بالنظرية النموذجية أو نظرية المعيار (La Theorie Standard) فهي تميز بين الكفاءة اللغوية (Competence) والأداء الكلامي (Performance) فالكفاءة اللغوية كما يفسرها "تشومسكي" هي معرفة المتكلم المستمع المثالي للغة والتي تخول له إنتاج عدد لاحصر له من جمل لغته الأم، فهي حينئذ حقيقة عقلية كامنة وراء الأداء الكلامي.[2] و تتضمن النظرية التوليدية التحويلية نظاما من القواعد، له القدرة على تقديم التفسير الكافي لكل البنى التركيبية التي تكوّن اللغة الطبيعية، ويتجزأ هذا النظام من القواعد إلى ثلاثة مكونات : المكون التركيبي، المكون الدلالي، المكون الفونولوجي .

1. المكون التركيبي:

وهو الذي يفرد لكل جملة بنية عميقة(Structure Profond) التي تمثل التفسير الدلالي وبنية سطحية(Structure De Surface) التي تمثل التفسير الفونولوجي .

فالبنية العميقة هي المشير الركني(LINDICATEUR SIGNTAXIQUE) الذي يحتوي على العناصر الأولية التي تكونها قواعد إعادة الكتابة والمشير الركني لا يعدو أن يكون المشير الضمني الذي تولده القواعد الركنية والذي يتم إجراء التحويلات عليه لبناء الجمل في البنية السطحية.[3]

وتتميز البنية العميقة بمايلي :[4]

- أنها البنية المولدة في قاعدة التركيب بواسطة قواعد إعادة الكتابة و القواعد المعجمية.
- أنها البنية التي تمثل التفسير الدلالي للجملة.

([1]) ينظر : نايف خرما، أضواء على الدراسات اللغوية، ص:140.

([2]) ينظر: رابح بوحوش، المناهج النقدية وخصائص الخطاب اللسانس، دار العلوم الجزائر (ط1)، ص: 148.

([3]) ينظر: عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية نماذج تركيبية دلالية، دار توبقال للنشر، المغرب 2008، ص: 68.

([4]) ينظر: المرجع نفسه، ص 70.

- أنها البنية التي يمكن لها أن تُحول بوساطة القواعد التحويلية إلى بنية سطحية.

و يتألف المكون التركيبي من مكونين :

- **مكون الأساس**(**COMPOSANT DE BASE**) و هو يرتبط بالبنية العميقة .

- **مكون تحويلي**(**COMPOSANT DE TRANSFORMATION**)الذي يرتبط بالبنية السطحية.

2. مكون الأساس :

يحتوي مكون الأساس على قواعد إعادة الكتابة التي بواسطتها يتم توليد المشير الركني الذي يعد البنية العميقة للجملة المولدة.[1] فمثل ههنا لعمل قواعد إعادة الكتابة بالمشير الركني التالي :

ج ———————————— ركن الإسناد + ركن التكملة

ركن الإسناد —————————— ركن فعلي + ركن اسمـــــي

ركن فعلي —————————— زمــــــــن + حــــدث

ركن اسمي ——————————تـــــعريف + اســـــم

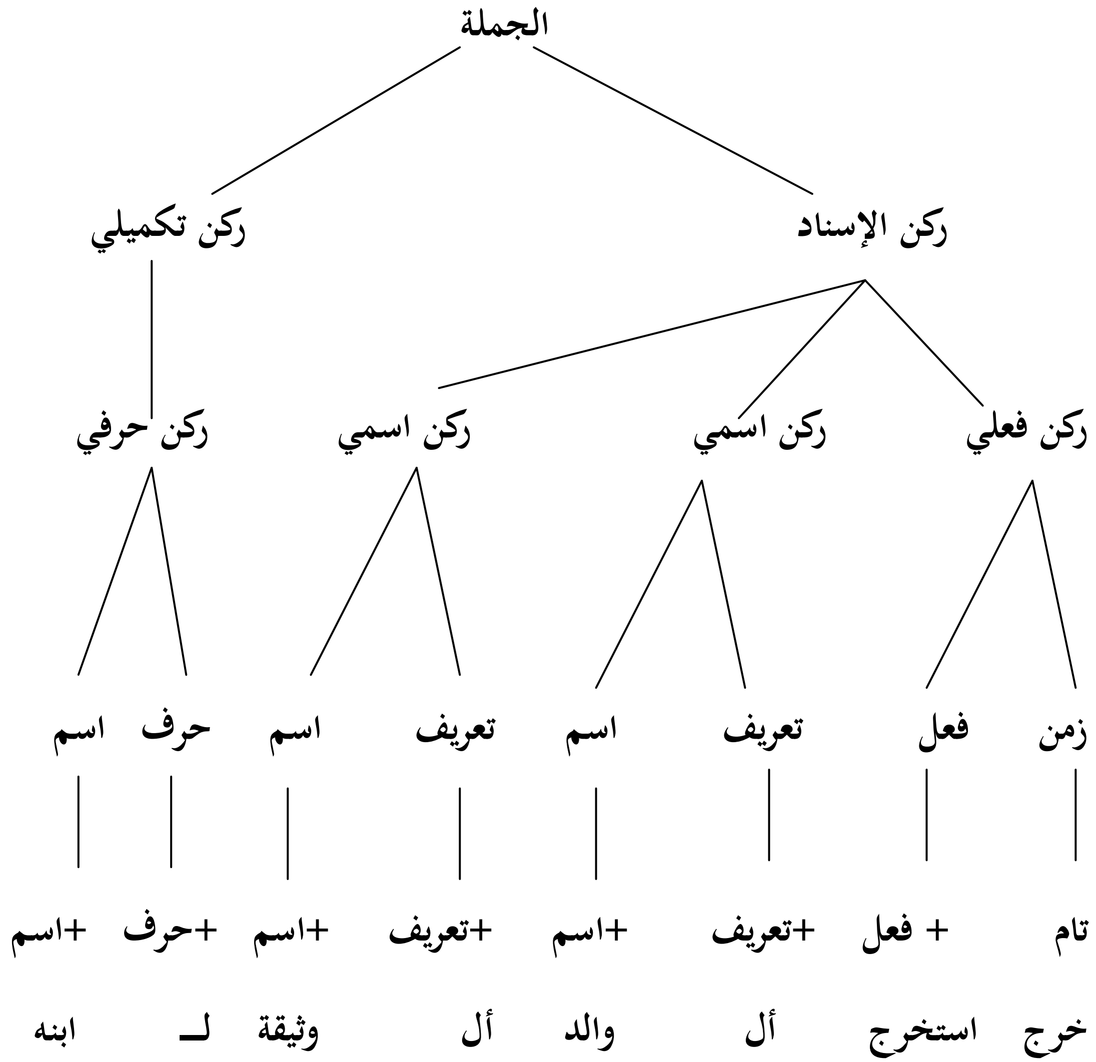
ركن تكملة —————————— ركـــــن حرفـــــــــي

ركن حرفي —————————— جـــــرف + ركن اســـمي

ركن اسمي —————————— تعـــــريف +اســــــم

ويمكن كذلك أن نشجّر ذلك في جملة من مثل:

(1) ينظر: عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية نماذج تركيبية دلالية ، ص 72.



3. المكون التحويلي:

يتكون المكون التحويلي من قواعد معينة تسمح بتحويل البنية العميقة المولدة بوساطة قواعد إعادة الكتابة إلى البنية السطحية، فهي تخضع البنية العميقة إلى عدة تغييرات من تقديم و تأخير وحذف و زيادة حتى تفضي بها إلى شكلها الصوتي النهائي الذي تأخذه في البنية السطحية، وتنقسم القواعد التحويلية إلى قسمين : قواعد تحويلية وجوبية و قواعد تحويلية جوازية (اختيارية) و يعرف هذا في التراث النحوي العربي بالوجوب و الجواز، (1)و يمكن توضيح ذلك بما يلي :

(1) ينظر: صالح الكوشو، الوضع الابستمولوجي للسانيات، مجلة المعرفة، عدد 266 افريل 1984، ص: 18.

إنّ المتتالية للجملة الاسمية العربية لها في البنية العميقة المشير الركني التالي :مسند إليه (م إ) + مسند يمكن إجراء قاعدة تحويلية جوازية على هذه المتتالية لحذف(عنصر)المسند في مثل: خرجت فإذا المطر.فالعنصر المحذوف(المسند) مقدر في البنية العميقة (يتساقط) كما يمكن إجراء قاعدة تحويلية وجوبية في مثل: لولا الضياء لاخضرّ العشب .فالعنصر المحذوف(المسند) مقدر في البنية العميقة (موجود) .و ضابط هذه القاعدة التحويلية الوجوبية في مثل هذا الملفوظ هو توزيع العناصر اللسانية المتلاحقة فتوزيع (لولا) و توزيع (المسند إليه) بعد (لولا) يؤديان بالضرورة إلى حذف (المسند).

- المكون الفونولوجي:

يُعنى المكون "الفونولوجي" بتحديد الصيغة الصوتية لجملة مولدة بواسطة القوانين النحوية، وبمعنى آخر فإنه يعمل على الوصل بين تركيب ولّده المكون النحوي بإشارة لها تمثيل(أو صورة) صوتية.[1]و هو قائم على أساس قواعد خاصة بكل لغة .

- المكون الدلالي:

يعدّ المكون الدلالي ثانويا؛ لأن دوره ينحصر في التفسير الدلالي للبنى التي يولدها المكون الأساس بوصفه المكون التوليدي الوحيد، و من هنا كانت البنية العميقة المجال القاعدي لعمل المكون الدلالي؛ إذ من خلالها يقدم التفسير الدلالي للجملة.[2]

و يقرّ اللسانيون بوجود قواعد مشتركة بين جميع الأنظمة اللسانية، و لكنها تختلف باختلاف المجتمعات اللغوية المتعددة و قد بيّن "نعوم تشومسكي" ذلك فقال:" إن البنية العميقة التي تحدد المعنى... مشتركة بين كل اللغات، و ذلك لأنها ليست سوى انعكاس لأصول الفكر و القواعد التي تحول البنية العميقة إلى بنية سطحية تختلف من لغة إلى أخرى.[3]

إنّ النظرة العقلية التي تبناها "تشومسكي" والتي تنظر إلى اللغة بوصفها مكونا من مكونات العقل البشري، فتحت الباب على مصراعيه أمام نظرة جديدة للدراسات اللغوية التي تركّز على

---

(1) N.chomsky aspeCtts de la théorie syntaxique paris 1973 p 78.

(2) Idp : 75.

(3) ibid p: 80

العموميات اللغوية، و التشابه بين اللغات بعد أن كانت سابقا تركز على أوجه الاختلاف بينها، فالاختلافات في نظر النحو التوليدي التحويلي سطحية بالنسبة للغات، أما من حيث بنيتها العميقة فهي متشابهة .

2.3 النّحو الوظيفي:

لقد جاء النحو الوظيفي لـ "يقر أن الوظيفة هي التي تتحدد البنية وليس العكس"؛ بمعنى أن الخصائص البنيوية للغات محدّدة لمختلف الأهداف التواصلية التي تستعمل اللغات لتحقيقها، لذا سعى "الوظيفيون" إلى بناء نظرية لسانية تصف اللغات الطبيعية في إطارها من وجهة نظر وظيفية، ويفهم من هذا القول: "أن الثنائية المعروفة (قدرة/إنجاز) يجب إعادة تعريفها، فقدرة المتكلم حسب منظور النحو الوظيفي قدرة تواصلية التي تمكن من الإنجاز في طبقات مقامية معينة، و قصد تحقيق أهداف تواصلية محددة".[1]

وتعدّ اللسانيات الوظيفية اتجاها متفرعا عن النظرية البنيوية المتولدة عن الموقف النقدي من النظرية التاريخية، وبرزت إلى الوجود وتشكلت ملامحها انطلاقا من حلقة "براغ" التي كونت لنفسها نظرية لغوية بما استفادت به من آراء "دي سوسير"، لكنّ "كلاوس هيشن" يرى أن "هناك من أنكر أنْ يطلق على الوظيفية وصف بنيوية مطلقا من دون أنْ يقرن هذا الوصف بالوظيفية التي فجرت في نقاط كثيرة الإطار البنيوي.[2]

وإضافة لمدرسة "براغ" ظهر اتجاه آخر تمثل في أعمال مدرسة "لندن، فكلا المدرستين حدّدتا أهدافهما وانشغالاتهما من خلال طرح جملة من الأسئلة: لماذا نستعمل اللّغة؟ أي ما هي الوظيفة الأساسية التي تؤديها اللغة في المجتمع، وكيف تؤدّي معاني مختلفة ؟ للعلم أنّ المدرستين لا تفصل النظام النحوي في كل لغة بالوظيفة التي تؤديها الجمل في السياقات المختلفة.

([1]) أحمد المتوكل: دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، دار الثقافة للنشر المغرب (ط1) 1986، ص: 9.

([2]) كلاوس هيشن: القضايا الأساسية في عام اللغة ص: 51.

1. مدرسة براغ :

ويطلق عليها كذلك اسم "حلقة براغ" وهي من المدارس الكلاسيكية لعلم اللغة البنيوي، وتعتمد بالأساس على النظرية اللغوية المتطورة في كتاب "دي سوسير""دروس في الألسنية العامة"، ويعتبر "فيلام ماثيزيوس"(Vilem Mathisius) المؤسس لهذه المدرسة بمساعدة مجموعة من اللسانيين أمثال "بدرش ترنكا" (B.Tranka) ،و"ج.فاشك"(J.Vashek).ثم انضم إلى هذه الحلقة "رومان ياكبـــسون"(R.Jakbson) و"نيكـول تروتســكوي"(N.Trobetzkioy) و"سيرج كرسيفســكي" (S .Karcevskis) ، فهؤلاء أحدثوا منعطفا كبيرا في الدراسات اللسانية، فقد كانت مجالات بحوثهم تهتم بالوجهة الوظيفية للجملة، أي دراستها ضمن مفهوم التواصل بعده وظيفة أساسية في النشاط اللغوي عند الإنسان، كما اهتموا بتصنيف الوحدات الصوتية وميزوا بين علم الأصوات وعلم الأصوات الوظيفي.[1]

2. مدرسة لندن :

لا تختلف كثيرا هذه المدرسة في اتجاهها عن مدرسة براغ، بل تتفقان في كثير من الموضوعات التي تناولتها دراسة كل منهما وخاصة في مجال الأصوات ، وقد يرجع ذلك إلى الهدف المتوخى وهو دراسة اللغة من خلال وظيفتها في المجتمع.

ويعدّ فيرث"(FIRTH) العضو الرئيسي في هذه المدرسة فركّز في بحوثه على الصوت والمعنى، قبل أن يتوسع أتباعه في مجال النحو والمفردات، وهو صاحب نظرية "سياق الحال" التي نظرت إلى المعنى على أنّه وظيفة في السياق؛ أي ظروف الكلام وملابساته التي يقال فيها، وهي تشبه إلى حد كبير ما كان يسميه البلاغيون "المقام" كما في قولهم (لكل مقام مقال)، وتتعدد عناصر نظرية "سياق الحال" فمنها ما يتعلق بالمخاطبين ومنها ما يتعلق بالأمور المادية ذات الصلة مثل العمر، الجنس،

([1]) ينظر: خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية ص: 39.

القرابة، والطبقة الاجتماعية، والوضع المالي ...الخ.[1]وتقوم دراسة فيرث للنظام على مجموعة من المستويات هي:[2]

أ.**المستوى الصوتي**: في نظره، يتألف من مجموعة من الأنظمة لذا يلحّ في تحليلاته، لهذا المستوى الأخذ بعين الاعتبار التشكيلات الصوتية.

ب.**مستوى المفردات**: يركز على العلاقات التّرابطية بين المفردات .

ج.**المستوى النحوي**: ويتعلق بترتيب الجملة (النحو) وتركيب الكلمة، ويعبر مفهوم الانتظام في هذا المستوى عن البناء والتجاوز الطبيعي للعناصر الصرفية والنحوية الذي يؤدي إلى تلازمها في الاستعمال.

د.**المستوى الدلالي**: يرى "فيرث" أنّ جميع المستويات تتضافر لأداء المعنى وذلك من خلال المستويين اللفظي والنحوي.

ثم تطور المنهج الوظيفي فيما بعد بوجه خاص عند مجموعة من اللغويين الغربيين، حيث عدّ التواصل الوظيفة الأساسية للغة، وموضوع اللسانيات هو وصف القدرة التواصلية ،ومن أمثال هؤلاء "سيمون ديك"(Simon Dick) الذي صاغ نظريته، والتي تهدف إلى تحقيق الكفاية التفسيرية من خلال كفايات ثلاث:[3] (سنتوسع فيها في المبحث الثاني من الفصل الثاني)

1. **الكفاية التداولية**: من خلالها يقوم النحو الوظيفي باستكشاف خصائص العبارات اللغوية المرتبطة بكيفية الاستعمال، ويكون ذلك في إطار علاقة تلك الخصائص بالقواعد، والمبادئ التي تحكم التواصل اللغوي.

2. **الكفاية النفسية**: وتعني وجوب مطابقة القواعد الوظيفية للنماذج النفسية القائمة في ذهن التكلم و يتم من خلالها إنتاج الجمل المختلفة وفهمها.

([1]) ينظر:فريد عوض حيدر، علم الدلالة، دراسة نظرية وتطبيقية القاهرة، (ط1) 2005، ص: 160.

([2]) محمد محمد يونس علي، مدخل إلى اللسانيات،دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان،(ط1)،2004،ص:82

([3]) ينظر:أحمد المتوكل، دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي،ص:25

3. **الكفاية النمطية**: وتعني وصف خصائص أكثر عدد من اللغات و إرجاعها إلى أنماط معينة على أساس معايير معينة .

ويرى "محمد يونس" أن الفضل يرجع للمدرستين، وخاصة في التمييز بين مجالين مختلفين في دراسة الأصوات هما "علم الأصوات" وعلم "الصّياتة"، وينسب إلى "ياكبسون" تطوير النظرية الصياتية، وإلى "فيرث" على دراسة الأصوات في المرحل المبكرة.[1]

ولقد عملت المدرستان (لندن وبراغ) على تحليل المفاهيم العامة والخاصة المتعلقة باللغة، ومركّزتان دائما على المعنى، أو الهدف الذي يرمي المتكلم إبلاغه إلى الغير، كما اهتمت بقضايا الأسلوب ولغة الشعر ولغة الكتابة وببعض القضايا من منظور تاريخي.

3.3 علم لغة النص (اللسانيات النصية):

أخذت ملامح هذا الاتجاه تتبلور منذ الستينيات القرن الماضي، وهو اتجاه يتخذ النص كله وحدة للتحليل بعد ما اقتصرت الدراسات على الجملة والعلاقات فيما بين أجزاء الجملة الواحدة وفصل بين اللغة والموقف الاجتماعي، أما البداية الفعلية لهذا العلم فكانت مع "هارفج" (Harvig) الذي اهتم بضرورة إدراك النص إدراكا وظيفيا، ثم أدخل فيها بعد جوانب نصية كبرى للوصول إلى العلاقات الدلالية التي تشكل بناء للنص، و"فان ديك" الذي قدم عدة نماذج نصّية، ونظرات مختلفة حول دراسة النص ووصفها وتفسيرها.[2]

ويعترف الكثير من اللغويين أن البحث في النص يتطلب دراسة واسعة في فروع مختلفة، لتشعب المفاهيم التي نهل منها مفاهيمه ومناهجه، لذا كان تحديد مفهوم النص مسألة صعبة وقد أشار إليها الكثير من الباحثين مثل "كلاوس برينكر"(Klauss Brincker)حين قال:"حين نتحدث عن علم النص فإنّ ذلك يمثل بداية تبسيطا شديدا إذ أنّه تكمن خلف هذا العنوان اتجاهات لغوية

(1) ينظر:محمد محمد يونس علي، مدخل إلى اللسانيات،،ص:74

(2) ينظر: سعيد بحيري،علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات،الشركة العالمية للنشر،(ط1)،1998ص:94

نصية كثيرة ذات تصورات متباينة، إلى حد ما دون شك بيد أنها تتفق في المفهوم القائل أنّ أعلى وحدة مختصة في التحليل اللغوي ليست الجملة بل النص".[1]

ولقد أثار فريق إلى الإشكالية التي تطرح على صعيد اللسانيات البنيوية لا سيما فيما يتعلق بثنائية الجملة والنص، فمنهم من حصر النحو عند حدود الجملة؛ ذلك لأن الوحدة اللسانية الكبرى تتمثل في الجملة، لكن التصور الذي وقع فيه نحو الجملة، كالإصرار على استقلال الجملة عن الموقف الإتصالي، تطلّب تجاوز حدود الجملة إلى التراكيب أو الوحدات الأكبر من الجملة.

ولا يمكن الحديث عن مفهوم النص بمعزل عن مفهومين آخرين هما الجملة والخطاب، فقد أطلق مصطلح النص على الإنتاج اللغوي الذي يتعدى الجملة بوصفه سلسلة من الجمل، يضبطهما مبدأين هما مبدأ الوحدة ومبدأ الاتساق.[2]

وقد يستعمل مصطلح النص مرادفا لمصطلح الخطاب وذلك لأنهما مرتبطان بحقل الدراسات اللغوية، وكلاهما يبحث في البناء والوظيفة لوحدات اللغة، ويفرق بينهما في أحيان أخرى، فيرتبط النص بالكفاءة اللغوية ويرتبط الخطاب بظروف الانتاج، وملابساته أي أن الخطاب هو نص مستعمل في سياق أداء فعلي تحيط به ظروف وملابسات معينة.[3]

أما من ناحية الاصطلاحية لكلمة النص كما يقول "كلاوس برينكر:"هناك تعريفات مختلفة للنص ولا يوجد الآن تعريف مقبول عام"،[4] ويعزو السبب في ذلك في الاختلاف الشديد بين الاتجاهات النصية إلى حد التناقض أحيانا والإبهام أحيانا أخرى.

ويرى نفس الباحث أن تعريفات النص قد انطلقت في اتجاهين :[5]

([1]) كلاوس برينكر، التحليل اللغوي للنص، مدخل إلى المفاهيم الأساسية، والمناهج ت سعيد بحيري، مؤسسة المختار للنشر، القاهرة (ط1) 2005، ص: 17.

([2]) ينظر: أحمد المتوكل، الخطاب، خصائص اللغة العربية، دراسة في الوظيفة والبنية والنمط،،دار العربية للعلوم ناشرون، بيروت،لبنان ومنشورات الإختلاف، الجزائر(ط1) ،2010 ،وسعيد البحيري،علم لغة النص،المفاهيم والاتجاهات،ص:94

([3]) ينظر سعيد بحيري، علم لغة النص،المفاهيم والإتجاهات،ص:95

([4]) كلاوس برينكر،التحليل اللغوي للنص،مدخل إلى المفاهيم الأساسية،ص،21

([5]) المرجع نفسه،ص:28.

الإتجاه الأول:

مفهوم النص في علم لغة النص القائم على أساس النظام اللغوي اعتمدت معظم التعريفات فيه إلى حد بعيد على تحديدات علم لغة الجملة، ذات الأصل البنيوي أو التوليدي التحويلي حيث ظهر النص كتتابع متماسك من الجمل.

الإتجاه الثاني:

مفهوم النص في علم لغة النص من منظور نظرية التواصل، فيعرف النص بوصفه فعلا لغويا معقدا ،يحاول المتكلم به أو كاتبه أن ينشئ علاقة تواصلية معينة مع القارئ أو السّامع.

وفي نهاية عرضه للاتجاهين يقترح "برينكر" مفهوما مدمجا للنص فيعرّف النص على أنّه "وحدة لغوية تواصلية في الوقت نفسه".أما "هاليداي" و"رقية حسن" فقد اعتبرا أنّ النص وحدة دلالية ،وفي الوقت نفسه فإنّ الجمل ما هي إلا وسيلة يتحقق بها النص الذي يفترض وجود عدة وسائل لغوية تسهم في خلف النصية التي تعطي للنص وحدته الشاملة.[1]

ويذهب "شميث" (Chmit) في تعريفه للنص مؤكدا على الوظيفة التواصلية حيث يقول:"النص جزء محدد موضوعيا من خلال حدث اتصالي ذي وظيفة اتصالية ".[2] والملاحـــظ في هذا التعريف أن "شميث" اشترط وحدة الموضوع الذي يتمحور حوله النص، من أجل أداء هدف معين.[3]

أما "دي بوجراند"(Di. Bogrand) فقد عدّ النص حدثا تواصليا يجب أن تتحقق فيه سبعة معايير نصية مجتمعة و إلا تختلف عنه هذا الوصف أي (كونه نصا) و هذه المعايير هي :

_ السبك أو الربط النحوي(COHESION).

_ الحبك أو التماسك الدلالي(COHERENCE).

_ القصد أو هدف النص (INTENTIONALITE)

---

(1) ينظر:أحمد خطابي،لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب،المركز الثقافي العربي،(ط1)،1991،ص:13

(2) سعيد بحيري، علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات، ،ص:108

(3) ينظر:صبحي إبراهيم،علم اللغة النصي،ص:33.34

_ القبول و يتعلق بموقف المتلقي(ACCEPTABILITE)

_ الإخبارية أو الأعلام (INFORMATIVE)

_ المقامية و تتعلق بمناسبة النص للموقف(SITUATIONNALITÉ)

_ التناص (INTERTEXTUALITÉ)

و هذه المعايير السبعة تركز على طبيعة كل من النص و مستعمليه (المتحدث و المتلقي) والسياق المحيط بالنص و المتحدثين فضلا كونها تتضمن أغلب مفاهيم النص السابقة.

و من خلال التعريفات السابقة و ما تضمنته من تفاصيل يتبين عدم وجود قدر مشترك من ملامح التوافق حول مفهوم النص و هذه إحدى الصعوبات المهمة التي يواجهها البحث النصي، وقد يصعب أن يعتمد في تحليل النص على نظرية بعينها و إنما يمكن أن تتبنى نظرية كلية تتفرع إلى نظريات صغرى تحتية تستوعب كل المستويات.*

نستخلص مما سبق إنّ اللسانيات ما بعد البنيوية اعتمدت المعطيات السوسيرية الحديثة، واستندت إلى مقولات الفلسفة اللغوية وتجاوزت التحليل الشكلي للغة، أو البنى السطحية، فعملت على استنباط القواعد العامة التي تحكم اللغة كما هو الحال عند "تشومسكي" ونظريته التوليدية التحويلية، وسعت إلى بناء نظرية لسانية تصف اللغات الطبيعية من جهة نظر وظيفية، مثلما دعا إليه النّحو الوظيفي ولسانيات النص، عندما تجاوزت الجملة ودعت إلى إدراك النص إدراكا وظيفيا باعتبار أنّ الجملة في ذاتها بحاجة إلى عناصر من خارجها للإيضاح والإبلا غ.

* النص وحدة كبرى شاملة لا تضمها وحدة أكبر منها، وهذه الوحدة تتشكل من أجزاء مختلفة تقع من الناحية النحوية على مستوى أفقي ومن الناحية الدلالية على مستوى رأسي ويتكون المستوى الأول من وحدات نصية صغرى تربط بينها علاقات نحوية هي التي أصلح عليها بالبنية الصغرى.ينظر: المرجع السابق،ص:56

المبحث الثاني : اللسانيات و المنحى الوظيفي الجديد

1. تـمهيد :

سعى علماء اللغة "ما بعد البنيوية" إلى بناء نظرية لسانية تقوم على تفسير الخصائص الصورية للغة الطبيعية وربطها بالوظيفية التواصلية للسان البشري، خلافا للنظريات اللسانيات التي تذهب إلى ضرورة الفصل بين اللغات الطبيعية ووظيفتها.والوظيفة هي التي تحدد البنية وليس العكس، فقدرة المتكلم من منظور النحو الوظيفي قدرة تواصلية ومعرفة القواعد التركيبية والدلالية والصوتية غير كافي، لذا وجب معرفة القواعد التداولية التي تمكن من الانجاز في طبقات مقامية، وقصد تحقيق أهداف تواصلية محددة.

و إنّ الخوض في مسالك التيار التداولي يستدعي النظر في الأصول الفلسفية المبلورة له، فقد شهدت مرحلة ما بعد البنيوية تغييرا جذريا في مسار البحث اللساني و مهّدت له أعمال العديد من الفلاسفة، فجاءت بحوثهم مزيجا بين الفلسفي و اللسانيات، و لعل أعمال" أوستين" و "سيرل" تعد نقطة تحول في حقل الفلسفة اللغة العادية التي تعد فرعا و اتجاها من الفلسفة التحليلية، والتي كانت سببا في نشوء اللسانيات التداولية.[1]

2. المرجعية الفكرية للتداولية:

من المعلوم أنّ الدرس اللساني المعاصر مدين لعدد من التيارات والنزاعات الفلسفية التي استحوذت على عقول العلماء والباحثين عبر حلقات الزمن الفكري، ومنهم من جعلها لبّ الدراسة الفلسفية وجوهرها، أمثال "بول ريكور"(P.Ricoeur) و"جورج جسدوف"(G.Gusdorf) اللذان تجاوزا النّظر إلى اللغة على أنها مجرد وسيلة، بل اعتداها هدف من أهداف البحث الفلسفي ومن التيارات الفلسفية التي تأثر بها الدّرس اللغوي، الفلسفة التحليلية التي ساهمت في ظهور النظرية التداولية، فما مفهوم الفلسفة التحليلية ؟ وما هي مختلف اتجاهاته واهتمامه وأعلامه؟

---

(1) ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند علماء العرب،دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار التنوير للنشر والتوزيع،الجزائر،(ط1)،2008 ص 27.

1.2 مفهوم الفلسفة التحليلية:

إنّ منهج التحليل الفلسفي في أجلى صوره هو تفتيت المركبات إلى جزيئات بسيطة، ويتحقق ذلك عن طريق حذف وإلغاء كل ما هو مركب رمزي،* في أي صياغة أو تعبير لغوي للتمكن من الوصول إلى الدقة في تحديد الأجزاء والعلاقات الكائنة في هذه الصياغات، (1) وقد عرف "المسدي" التحليل بأنه منهج فكري مداره تفكيك الحل إلى عناصره المركبة إياه، ويقابل المنهج التأليفي(Synthetique) و يعتمد على العكس النظر في الأجزاء لاستنباط الخصائص المشتركة بينها". (2)

ومن التعاريف التي سبقت لضبط مصطلح الفلسفة التحليلية تعريف "سكوليموفسكي" (Skolimowiski) الذي أكّد فيه اعتراف الفلسفة التحليلية بالدور الفعال الذي تؤديه اللغة، واتجاهها إلى تفتيت المشكلات الفلسفية إلى أجزاء صغيرة لمعالجتها جزءا جزءا، إضافة إلى المعالجة المشتركة بين الذوات أو البين ذاتية لعملية التحليل. (3)

أما "ستيفان شوفيه"(S.Chovy) يعرف الفلسفة التحليلية بأنّها:"تلك الفلسفة التي ترى أن التحليل الفلسفة للغة كفيل بإيصالنا الى تفسير فلسفي للفكر، وتفسير الفكر كفيل بإيصالنا إلى الفهم الكلي للكون". (4)

وقد اعتمدت "الفلسفة التحليلية"على مجموعة من المرتكزات والدعائم في تعاملها مع الظواهر اللغوية، ويمكن إجمالها حسب "شوليموفسكي"فيما يأتي: (5)

*الرموز المركبة: هي كل رمز لا يدل على شيء جزئي بل يدل على الدلالات العامة التي تنطوي على الذمة، وبالتالي تفشي نوع من الغموض والالتباب حول القضايا الفلسفية واللغوية، ينظر: مهران رشوان، دراسات فلسفة اللغة دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع،القاهرة1998،ص:37

(1) ينظر:المرجع نفسه،ص:37

(2) عبد السلام المسدي: الأسلوبية والاسلوب، الدار العربية للكتاب، تونس (د ط)، 1977، ص 146.

(3) ينظر: محمد مهران رشوان، كمدخل إلى دراسة الفلسفة المعاصرة، معهد المناهج الجزائر، 2007، ص 62.

(4) مسعود صحراوي، الافعال المتضمنة في القول بين الفكر المعاصر والتراث العربي، رسالة دكتوراه مخطوطة، قسم اللغة العربية وأدابها، جامعة الحاج لخضر باتنة الجزائر 2004، ص 40.

(5) صلاح اسماعيل، فلسفة العقل، دراسة في فلسفة جون سيرل، دار قباء الحديثة والنشر والتوزيع القاهرة، 2007، ص 40.

أ: الاعتماد على دور اللغة، واعتبارها دعامة أساسية في التفكير الفلسفي، أو ما يعرف بفكرة مركزية اللغة.

ب: تفتيت المشكلات الفلسفية إلى أجزاء صغيرة لمعالجتها جزءا جزءا،أي الاعتماد على المنهج التحليلي سواء اتخذ هذا المنهج صورة التحليل المنطقي أو التحليلي اللغوي.

ج: الأخذ بعين الاعتبار خاصيتها المعرفية عند معالجة المشكلات الفلسفية.

د: اعتمادها على مبدأ بين الذاتية أي احترام نتائج العلم والحقائق التي يسلم بها الحس المشترك.

و تنفرد الفلسفة التحليلية بجملة من الخصائص التي تميزها عن المدارس الأخرى في الفلسفة المعاصرة هي:[1]

أولا: فكرة مركزية اللغة بالنسبة للفلسفة، إذ يعتقد الفلاسفة التحليليون أن قضايا الفلسفة يمكن فهمها فهما جيدا، عن طريق العناية باللغة، وهذا الاتجاه نحو الاهتمام باللغة، أصبح يسمى في العرف الفلسفي (التحول اللغوي) و هو أصدق ما توصف به الفلسفة التحليلية .

ثانيا: الاعتماد على المنهج التحليلي سواء اتخذ هذا المنهج صورة التحليل المنطقي أو التحليل اللغوي.

ثالثا: احترام نتائج العلم و الحقائق التي يسلم بها الحسّ المشترك، و أخذها بعين الاعتبار عند معالجة "المشكلات الفلسفية".

ويجب أن يتوفر في عملية التحليل شرطين أساسيين:[2]

- أن تتساوى نتائج التحليل بين العبارة المحللة ؛ أي أن تكون العناصر المنتجة عن التحليل مكافئة للعبارة المحللة من حيث المعنى.
- مراعاة الدقة في التحليل من حيث الضرورة التي تفرضها طبيعة الموضوع..

([1]) المرجع السابق،ص:42

([2]) ينظر: أحمد موساوي، مكانة المنطق في الفلسفة التحليلية المعاصرة سلسلة دراسات منطقية معاصرة، معهد المناهج الجزائر، 2007 م ص 54-59.

2.2 رواد الفلسفة التحليلية :

من أهم رواد الفلسفة الذين كان لهم دور بارز في قيام حركة التحليل المعاصرة: "جورج مور" و "براتراند رسل" و"لود فيج فتجنشيان" .فكانوا خير ممثل لهذا الاتجاه الفلسفي بالرغم من اختلاف توجهاتهم و أرائهم.

1.2.2 جورج إدوارد مور (G.E.Moore) :(1873-1958)

لقد عدّ "مور" اللغة العادية وسيلة لتحليل القضايا الفلسفية، فهي في رأيه تعبر بشكل صادق عن التّصورات والمفاهيم التي نتوصل إليها بالحس "المشترك"* ، وهو معتقد حكم معظم دراساته، فكل طرح أو نظرية فلسفية تتعارض مع هذا المعتقد مرفوضة عنده،(1) وأجمل "صلاح إسماعيل عبد الحق" دفاع "مور" عن معتقده الحسّ المشترك في أمرين:(2)

1. تأكيد القضية والإعتقاد بصدقيتها: يرى "مور" أنّ هناك جملة من القضايا التي غالبا ما تكون مؤكّدة ونعتقد أنّها صادقة، لكنّ الفلاسفة أنكروها دون تقديم سبب وجيه لذلك.
2. صدق القضية وتحليلها: يرى "مور" إذا قُبل الشكّ في تحليل القضيّة فلا يجوز في صدقها.

وفي تحليله يركّز "مور" على دلالات الألفاظ والعبارات اللغوية، ثمّ يقارنها بالمفاهيم الفسلفية معتمدا مبدأ التقسيم والتمييز، والذي يقوم على إحصاء الألفاظ المستخدمة التي تدور دلالتها حول تصوّر ما، ثم البحث عن الخصائص المشتركة بين هذه الألفاظ.

2.2.2 "برتراند راسل"(B.Russel): (1872-1970)

كسابقه، ثار "راسل" على الفلسفة المثالية مفضّلا المنهج التحليلي في فهم القضايا الفلسفية، وكخطوة استباقية حاول جمع بين "المنهج التجريبي" و"العقلي" بغية تزويد الفلسفة بالمنهج العلمي، وذلك بربطها بالعلوم المعاصرة. ويختلف "راسل" عن "مور" في نظرته للغة العادية، فهو يراها عاجزة

*إن مصطلح "الحس المشترك" في الاستعمال الفلسفي يعني الفهم العام المشترك، وتدقيقا هو المعتقدات العامة المشتركة بين جميع الناس، ينظر: جون هرمان وبوخلر جوتساو، مدخل الى الفلسفة،ترجمة:ملحم قربان، دار العلم للملايين، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، بيروت، لبنان،(د.ط)،1963،ص:26

(1) ينظر: محمود فهمي زيدان، في فلسفة اللغة،ص:99

(2) ينظر: صلاح إسماعيل عبد الحق، التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت لبنان،(ط1)،1993،ص:23

عن التعبير بدقة عن المفاهيم العلمية، فيعتقد أنّها مظللة لنظمها السّيء وألفاظها الملتبسة، واللغة المثالية في نظره هي اللغة الإصطناعية أو الفنيّة التي تتوفر على مصطلحات ومنهج خاص بها.[1]

3.2.2 "لود فيج فتجنشتاين" (L.Witgenstein)(1889-1951):

استفاد "فتجنشتاين" في مراحله الأولى من آراء "مور" و"راسل" وحاول مع الأخير "راسل" إقامة "لغة مثالية" لحل القضايا الفلسفية المنطقية ثم تراجعا بعد ذلك عن النظرية والمحاولة، باعتبار أن بالنظرية عيوب، وأن إقامة اللغة المثالية مشروع يستحيل تنفيذه، وأسّس اتجاها جديدا أسماه "فلسفة اللغة العادية"، وقوام هذا الاتجاه الحديث طبيعة اللغة وطبيعة المعنى في كلام الإنسان العادي.[2]

وأثبث "فتجنشتاين" أنّ الفرد يتبع في تراكيبه للغة عموم مجتمعه مستلزما على أثر ذلك بضرورة استبدال مع التواصلية في اللغة بالتعبيرية، على أساس أن الوظيفة الأساسية التي تسند إلى اللغة ليست تمثيلا للعالم وتفسيرا له، بقدر ما هي آلية للتأثير في الآخرين في إطار عملية التواصل.

فالتحليل عند "فتجنشتاين" يستخدم بوصفه منهجا في الفلسفة لا غاية فلسفية لذا يرى الفلسفة أنّها في معركة ضد البلبلة التي تحدث في عقولها نتيجة استخدام اللغة، فعقل الإنسان قد لا ينبه إلى استخدام اللغة، نتيجة لاقتناعه بها، الأمر الذي قد يؤدي إلى قيام المشكلات الفلسفية.[3]

ولقد دحض "فتجنشتاين" النزعة التصويرية الفلسفية والتي كانت تعتبر أن اللغة تخضع لحسابات منطقية تتسم بالدقة، فلا تقتصر الكلمة على معنى واحد ومحدد، بل معاني الكلمات تتعدد بتعدد استخدامها في اللغة العادية، وفي السياقات اللغوية التي ترد فيها، وهذا الطرح أساس نظرية "ألعاب اللغة" أو "اللغة لغة وأداة"؛ أي أنّ الكلمة آلة إنتاجية لعدة معان وتأتي هذه الإنتاجية وفقا لاستخدامنا المتغير لها في الحياة اليومية.[4]

---

(1) محمود فهمي زيدان،في فلسفة البلاغة، دار النهضة العربية، بيروت، 1985،ص:45

(2) ينظر:محمد خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية،ص:49 ومسعود صحراوي التداولية عند علماء العرب،ص:22

(3) الزواوي بغورة، الفلسفة واللغة، نقد المنطق اللغوي في الفلسفة المعاصرة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت،(ط1)، 2005،ص:103

(4) ينظر :خليفة بوجادي،في اللسانيات التداولية ص:52

فالأفعال التي نتلفظها تنطبق بأشكال الحياة والممارسات التي نحياها؛ أي أنّه ينحصر فيما يباح للمتكلمين في إطار العلاقة بينهم وبين عباراتهم، وينتج عن اختيارات مباحة داخل تنظيم الخطاب كونه مجموعة منظمة من وجهات النّظر والممارسات والمصالح.[1]

لقد استطاع "فتغنشتاين" أنْ يحدث أثرا كبيرا في سياق الفلسفة التحليلية وتياراتها الجديدة، وبدا ذلك واضحا في كتابات أساتذة الفلسفة في جامعة أكسفورد مثل:"جلبرت رايل"(R.Ryle) و"جون أوستين"(J.Austin)و"ستراوسون"(P.Strawson)"جرايس"(HP.Grice) "سيرل"(G.Searle).

وجملة القول إنّ بالرّغم من اختلاف الرؤى لرواد الفلسفة التحليلية، إلّا أنّ اللغة كانت القاسم المشترك بينهم في تحديد ماهية التحليل .

3. اتجاهات الفلسفة التحليلية:

يميّز الباحث ثلاثة اتجاهات رئيسية في الفلسفة التحليلية هي الاتجاه الوضعي المنطقي، والظاهرتية اللغوية وفلسفة اللغة العادية:

1.3 الاتجاه الوضعي المنطقي:

في عشرينيات القرن الماضي قام مجموعة من الفلاسفة بتأسيس مدرسة أطلق عليهم اسم حلقة "فيينا"، كان من أبرز أعضائها "مورتس شليك"(M.Schlick)، "فريديريك فايزمان"(F.weismann)و "رودلف كارناب"(R.carnap)و"أو نوارت"(O.neurath) و"هربرت فايجل" (H.feigil) وفيكتور كرافت (C.kraft)، وتزعّم هذا الاتجاه "كرناب" الذي تأثر بأعمال " الرياضي المنطقي وصاحب الفلسفة التحليلية "فريجه"، وقد ميز أصحاب هذا الاتجاه بين أساسيتين للغة وهما:[2]

- **الوظيفة المعرفية:** وهي لغة تشير في استخدامها إلى الواقع وإلى الأشياء الموجودة في العالم الخارجي.

([1]) ينظر: خليفة بوجادي،اللسانيات التداولية، ن.ص

([2]) ينظر: المرجع نفسه، ن.ص

- **الوظيفة الانفعالية**: وهي تستعمل للتعبير عن مشاعر وانفعالات تجول في خاطر الإنسان، وكانت هذه الوظيفة محطة أنظار الفلاسفة لأنها تعالج مسائل الأخلاق والميتافيزيقا والجمال، واللغة المناسبة للتحليل في نظر أصحاب هذا الاتجاه هي اللغة المثالية أي لغة منطقية دقيقة لأن اللغة العادية تنطوي على قصور يجعلها خاطئة في نظرهم لغموضها والتباسها واعتمادها على السياق، فقد سعوا إلى بناء لغة اصطناعية، آملين منها أن تفيد الفلسفة كما أفادت اللغة الرمزية والرياضيات.[1]

لكن هذه اللغة التجربانية ذات الألفاظ والقواعد المحددة، كانت مخالفة للواقع، ما جعل "كرناب" يغيّـــر مواقفه، وكتابه "مقدمة إلى السيميوطيقا" دليل على هذا التغيّر، فدأب إلى تأسيس فلسفة ذات جذور براغماتية انطلاقا من إدراكه، أنّ الدلالة تضيف إلى النّحو قوة توجيه من شأنها أن تكسب عبارات اللغة قدرا من المعقولية والبراغماتية.[2]فكانت بذلك أعمال "كارناب" منطلقا لنشأة التداوليات المعاصرة المرتبطة بأفعال الكلام والأعمال الإنجازية، حيث أوّلت الجانب الانجازي مكانة خاصة في تحليل الكلام وفق متغيرات الوضع المقامي، والخلفيات النفسية والمعرفية للمتكلم وعلاقته بالمستمع ومقتضيات المقام الخاصة والعامة.[3]

وقد ميّز "كارناب" بين ثلاثة مصطلحات هي:[4]

علم الاستعمال(Pragmatic): جعله لدراسة المتكلم أو مستعمل اللغة بصفة عامة.

علم الدلالة(Semantic):لدراسة التغيرات ودلالتها مع صرف النظر عن مستعملي اللغة.

النحو المنطقي(Logical Syntax): ويختص بدراسة العلاقات بين التعبيرات ويجمع هذه المعلومات بعلم المعلومات.

إنّ اللّغة الجديرة بالتحليل عند أصحاب هذا الاتجاه هي اللغة المثالية، لأن اللغة العادية تنطوي على قصور يجعلها خاطئة، ومن ثمة كان واجبا بناء لغة منطقية دقيقة تستعيض بها هذه اللغة.

([1]) صلاح إسماعيل،فلسفة اللغة والمنطق،دراسة في فلسفة كواين،ص:37

([2]) ينظر:المرجع نفسه،ص:69

([3]) عبد السلام عشير،عندما نتواصل نغير، مقاربة تداولية معرفية لآليات التنواصل والحجاج،المغرب(ط1)2003،ص:69

([4]) المرجع نفسه،ص:37

2.3 الظاهرتية اللغوية (Phenomenologie Du Language):

من أبرز رواد هذا الاتجاه الفيلسوف الألماني"إذ موند هرسرل"(Edmund Husserl). وهي علم يبحث في كيفية إقامة علم كلي قبلي،تنطوي تحته جميع العلوم الجزئية، فهي منهج يهدف إلى فهم المضامين العقلية التي تنطوي عليها الظواهر العالمية الكلية.[1]

ومن ثمرات البحث في هذا الاتجاه "القصدية" أو ما يدعوه "هرسل" الوعي الإدراكي أو الارتباط المتبادل القصدي للهدف الذي هو موضع الوعي الادراكي،ويأتي في شكل طبقات متراكبة وجعلها "هرسل" ثلاث مكونات: تكوين الشيء، تكوين الفضاء،وتكوين الزمان.[2]

ويرى "هرسل" أن بنية الفعل القصدي تتميز بقطبين هما:[3]

-**النؤزيس**:ويقصد به الجانب الذاتي للفعل القصدي أي الفعل المتجه نحو موضوع قصدي.

-**النوئيما**: ويقصد به الجانب الموضوعي للفعل القصدي، أي الموضوع المشاور إليه من فعل قصدي، ويشكل قطبان "الذات المفكرة" أو فعل التفكير (cogito).

ويتحدث في كتابه "البحوث المنطقية" عن العملية التواصلية، فالمتكلم في نظره هو الذي يوظف الكلمات ويهبها المعنى في أفعال عقلية معينة تحمل مقاصده، ويرغب المتكلم في أن يشترك المستمع في هذا المعنى، ويصبح هذا الاشتراك ممكنا إذا فهم المستمع بوصفه متلقى لهذا المعنى قصد المتكلم، ويتحقق ذلك إذا أدرك المستمع لا ينطق أصواتا فحسب بل إنما يخاطبه،[4] فبالرغم من الطرح الذي قدمه "هرسل" إلا هناك من يرى أن هذا الاتجاه بعيد عن التداولية، بسبب المسائل الفلسفية التي خاضها الباحث والمتعلقة بالوجدان،وبحثه في الشروط ما قبل الوجودية للأداء اللغوي، فالفلسفة الظاهرية لا تتبنى البعد الاستعمالي العادي للغات الطبيعية.[5]

(1) مسعود صحراوي، الأفعال المتضمنة في القول بين الفكر المعاصر والتراث العربي، ص 48.

(2) ينظر: سعيد توفيق،دراسة في فلسفة الجمال الظاهرتية المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع،بيروت لبنان،(ط1)1992،ص:37.

(3) المرجع نفسه،ص:36

(4) المرجع نفسه،ص:37.

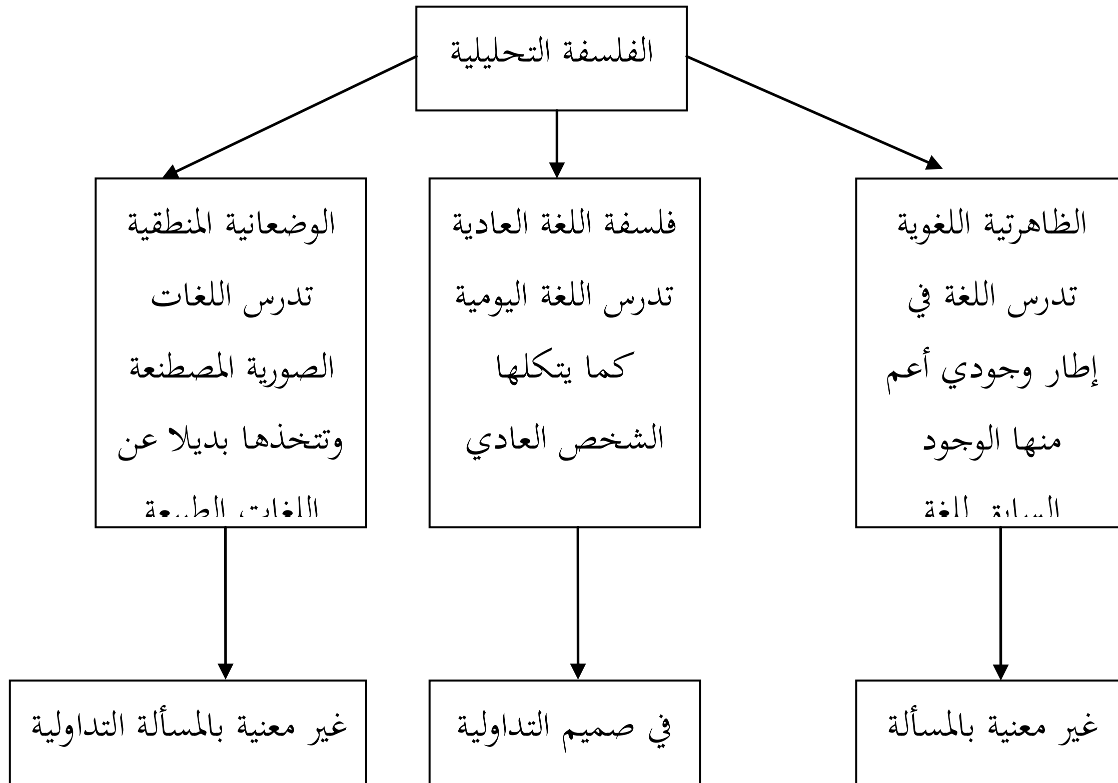
(5) ينظر:مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب.ص:26

3.3 فلسفة اللغة العادية (Philosophie Au Language Ordinare):

نظر أصحاب هذا الاتجاه إلى اللغة بوصفها سلوكا إنسانيا، وركزوا في دراساتهم على العملية التواصلية وخاصة العلاقة بين المتكلم واللغة،و"الأداء اللغوي " التعبير "والإيجازي" الفعل داخل في القول، "الإنجازي" الفعل الحاصل في القول، كان "لاتين" الفضل في حصر هذه الأوجه الثلاثة.

وأكّد "غرايس"(H.P.Grice) وهو من فلاسفة أكسفورد المتخصصين في دراسة اللغة الطبيعية والمتأثرين بفلسفة اللغة العادية على أن اللغة ظاهرة اجتماعية ونلمس هذا من خلال تصوراته وبحوثه، وخاصة البحث "المنطق والحوار" الذي قدمه في جامعة "هارفارد"سنة 1967.[1]

وقد وضع "مسعود صحراوي مخططا لهذه الاتجاهات وموقعها من التداولية وفق المخطط الآتي:[2]



من بين الاتجاهات الرئيسية المنبثقة من الفلسفة التحليلية، اتجاه واحد فقط اهتم بدراسة اللغة كما يتكلّمها الإنسان العادي للتواصل مع غيره، وهذا الإتجاه كما يبينه المخطط السابق هو فلسفة

([1]) ينظر:عيد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجات الخطاب، مقاربة لغوية تدولية، دار الكتاب الجديدة، بيروت، لبنان،(ط1)،2004م،ص:65

([2]) ينظر:مسعود صحراوي،التداولية عند علماء العرب،ص:28

اللغة العادية، التي رعى روادها طرفي العملية التواصلية (المتكلم/المتلقي) والسياق الذي يجري فيه الحدث الكلامي.

4. مفهوم التداولية:

لقد استطاع علماء اللغة وخاصّة رواد اتجاه فلسفة اللغة العادية أمثال "فيتجنشتاين" و"أوستين"(Austin) و"سيرل"(Searl)، أن ينقلوا البحث اللساني من منهج يعتمد الوصف والتحليل إلى منهج يدرس اللغة بوصفها ظاهرة خطابة وتواصلية واجتماعية في نفس الوقت، وإنّ وصف هذه الظاهرة يستدعي توفّر جميع عناصر التواصل من متكلم ومستمع وسياق، ثم طرح جملة من الأسئلة من قبيل من يتكلم ولمن موجه إليه الكلام وماذا أُريدَ بالضّبط من الكلام، وكل هذه الأسئلة تعمل النظرية التداولية على الإجابة عنها.ولما كان فهم العلم يتوقف على فهم المصطلح حامل لأفكاره وتصوراته، بات من الضروري البحث والنظر في دلالات مصطلح "التداولية" في شقيها اللغوي والإصطلاحي.

1.4 التداولية لـغة:

يرجع مصطلح التداولية إلى مادّة "دَ.وَ.لَ"، وتدور دلالتها في المعاجم حول التحوّل والتبدل والإسترخاء والتناقل والانتقال والتمكين، وقد جاء في "لسان العرب":" (...) تداولنا الأمر أخذناه بالدّول و قالوا دواليك أي مداولة على الأمر، ...و دالت الأيام أي دارت، و الله يداولها بين الناس، و تداولته الأيدي أخذته هذه مرة و هذه مرة وتداولنا العمل و الأمر بيننا بمعنى تحاورناه فعمل هذا مرة و هذا مرة ".[(1)]

وترد مادة "د.و.ل" في معجم "مقاييس اللغة" على أصلين: " أحدهما يدل على تحول الشيء من مكان إلى أخر و الآخر يدل على ضعف واسترخاء، فقال أهل اللغة أندال القوم ، إذ تحولوا من مكان إلى مكان، و من هذا الباب تداول القوم الشيء بينهم إذا صار عن بعضهم إلى بعض الدّولة

([1]) ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت لبنان تحقيق عامر أحمد حيدر ومراجعة عبد المنعم خليل ابراهيم (ط3) 1999 ج 11 ص 252-253.

ولغتان ويقابل الدولة في المال و الدولة في الحرب ،و إنما سمي بذلك من قياس الباب لأنه أمر يتداولونه فيتحول من هذا إلى ذاك و من ذاك إلى هذا". [1]

وجاء في أساس البلاغة:"دالت له الدولة، ودالت الأيام بكذا وأدال الله بني فلان من عدوهم: جعل الكثرة لهم عليه. وعن الحجاج: إنّ الأرض ستدال منّا كما أدلنا منها (...) وإليه يداول الأيّام بين الناس مرّة لهم ومرّة عليهم، والدّهر دُوَل وعُقَب ونُوب. وتداولوا الشيء بينهم". [2]

أمّا في "المعجم الوسيط" جاء: دال الدهر دولا و دولة انتقل من جال إلى حال و الأيام دارت ويقال دالت الأيام بكذا و دالت له الدولة ... و بطنه استرخى قرب من الأرض ... أدل الشيء جعله متداولا ... دوال كذا بينهم جعله متداولا تارة لهؤلاء و تارة لهؤلاء (...) و يقال داول الله الأيام بين الناس أدراها و صرفها. [3]

ولا يكاد معجم "مختار الصحاح"لــ"محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي" يخرج من الدلالات السابقة حيث جاء فيه:"دَوَلَ الدّولة في الحرب، أن تدال إحدى فئتين على الأخرى، يقال كانت لنا عليهم الدّولة والجمع (الدّول) بكسر الدّال، و(الدّولة) بالضم في الدّال، يقال: صار الفيء دولة بينهم يتداولونه يكون مرّة لهذا ومرة لهذا، والجمع (دولات) و(دول)... وقال يونس: والله ما أدري ما بينهما وأدالنا الله من عدونا من الدِّولة... ودالت الأيّام أي دارت والله يداولها بين الناس. وتداولته الأيدي أخذته هذه مرة وهذه مرة". [4]

إنّ إجماع المعاجم العربية على المعاني التي يؤديها اللفظ (د.و.ل) دفع بـ "طه عبد الرحمان" ليضع مصطلح "التداوليات" في مقابل اللفظ الأجنبي (Pragmatique)، ويعلّل ذلك حين يقول : "من المعروف أيضا أنّ مفهوم النّقل ومفهوم الدّوران مستعملان في نطاق اللغة كما هما مستعملان في

([1]) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون، دار الجبل (ط1)) 1991 ص 314.

([2]) الزمخشري، أساس البلاغة، تح:عبد الرحيم محمود، عرف به أمين الخولي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان،1982،ص:139

([3]) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، جمهورية مصر العربية، مطبعة القاهرة، (ط4)2004،ص:327. 328

([4])محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصّحاح، طبعة مكتبة لبنان، 1989، ص:90

نطاق التجربة المحسوسة؛ فيقال:نقل الكلام عن ناقله بمعنى رواه عنه، كما يقال: نقل الشيء عن موضعه أي حرّكه منه، ويقال: دار على الألسن بمعنى جرى عليها، كما يقال: دار على الشيء بمعنى طاف حوله، فـ "النّقل والدّوران" يدلّان بذلك في استفهامهما اللغوي على معنى النّقل بين النّاطقين.[1]

نستخلص مما سبق أن مادّة (د.و.ل) لا تكاد تخرج في المعاجم العربية على معاني التحوّل والتّناقل الذي يقتضي وجود أكثر من حال، ينتقل بينها الشيء وتلك حال اللغة متحولة من حال لدى المتكلم إلى حال أخرى لدى السّامع، ومتنقلة بين الناس "يتداولونها" بينهم، ولذلك كان مصطلح (تداولية) أكثر ثبوتا من المصطلحات الأخرى.

2.4 التداولية اصطلاحا :

يعدّ "شارل ساندرس بيرس" (Ch.S.Peirse)(1839-1914) أوّل من استحدث كلمة "التداولية"، وذلك في مقالته الشهيرة "كيف نجعل أفكارنا واضحة"، وفيها يوضّح طبيعة الفكر حينما نربطه بعادات الإنسان الفعلية، فهو مقرون بقيميتين: **الأولى** يكون فيها الفكر مقترنا بالإدراك، **والثانية** يؤدي الفعل إلى نتيجة ملموسة، ليصل إلى أنّ الممارسة والتطبيق والفعل تشكّل أساس القاعدة لمختلف الأفكار.[2]ويعود الفضل في تقديم أوّل تعريف للتداولية للفيلسوف "ويليام شارل موريس" (W.Ch.Moris)، الذي عدّها بعدا ثابتا من أبعاد السيميائيات بعد البعدين التركيبي والدّلالي، فالأوّل يتعلق باللغة والثاني بالدّلالة، ليصل إلى أنّ التداولية جزء من السيميائية التي تعالج العلاقة بين العلامات ومستعملي هذه العلامات.[3]

(1) طه عبد الرّحمان، تجديد المنهج في تقويم التراث، الدار البيضاء، المغرب،،(ط1)،،1992ص:243

(2) ينظر: الزواوي بغورة، الفلسفة واللغة، نقد المنطق اللغوي في الفلسفة المعاصرة،ص:47

(3) ينظر: جاك موشريل، وآلان روبول، التداولية اليوم علم جديد للتواصل، تر: سيف الدين دغنوس ومحمد الشيباني، مرجاعة لطيف زيتوني، المنظّمة العربية للترجمة، لبنان، ودار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان،(ط1)،2003،ص:29

وتنقل "أرمينكو" تعريفا آخر للتداولية من "فرانسيس جاك"(Francis Jaque) مفاده أنّ التداولية تتطرّق كظاهرة خطابية وتواصلية واجتماعية معا.[1] وبهذا التعريف تتجاوز التداولية الدراسات التي تنظر إلى الجملة أو العبارة الكلامية على أنّها مجرّد كلمات إلى دراستها في سياق استعمالها ومراعاة كلّ ما يحيط بها من أحوال وما تخضع له من مقاصد المتكلمين.

ويقدّم "فيليب بلانشيه" تعريفا لها فيقول:" هي الدراسة التي تعنى باستعمال اللغة، وتهتم بقضيّة التلاؤم بين التعابير الرمزية والسياقات المرجعية والمقامية والحداثية".[2]

ولا تكاد تختلف تعريفات الباحثين العرب المعاصرين عن تعريفات علماء الغرب، فهاهو "عبد الحميد مصطفى السيد" يعرّفها فيقول:"هي اتجاه في الدراسات اللسانية يعنى بأثر التفاعل التخاطبي في موقف الخطاب، ويستتبع هذا التفاعل دراسة كل المعطيات اللغوية والخطابية المتعلقة بالتلفّظ وبخاصّة المضامين والمدلولات التي يولّدها الاستعمال في السياق، وتشمل هذه المعطيات:[3]

- معتقدات المتكلم ومقاصده وشخصيّته وتكوينه الثقافي ومن يشارك في الحدث اللغوي.
- الوقائع الخارجية ومن بينها الظروف المكانية والزمانية، الظواهر الإجتماعية المرتبطة باللغة.
- المعرفة المشتركة بين المتخاطبين وأثر النص الكلامي فيهما.

ويعرّفها "صلاح فضل" فيقول:" هي ذلك المجال الذي يركّز مقاربته على الشروط اللّازمة لكي تكون الأقوال اللغوية مقبولة وناجحة، وملائمة في الموقف التواصلي الذي يتحدث فيه المتكلم".[4]

أمّا عند "جيلالي دلاش" فهي:" لسانيات الحوار أو الملكة التبليغية".

حاصل القول إنّ تعاريف التداولية تعكس التنوع المعرفي الذي نشأ فيه الفكر التداولي، فكل تعريف يحمل منطلقات نظرية تسيّر وتضبط إجراءاته ضبطا منهجيا.

(1) فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية،ترجمة سعيد علوش، المؤسسة الحديثة للنشر والتوزيع، سوريا، (ط1)،1997،ص:12

(2) فيليب بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان، تر: صابر الحباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللّاذقية، سوريا،(ط1)،2007،ص:18

(3) عبد الحميد مصطفى السيّد، دراسات في اللسانيات العربية، بنية الجملة العربية، التراكيب النحوية والتداولية، علم النحو وعلم المعاني،دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان، الأردن،(ط1)2003،،ص:120.119

(4) صلاح فضل، بلاغة وخطاب وعلم النص، الشركة المصرية العالمية، لونجمان، القاهرة، مصر،(ط1)،1996،ص:25

5. أقسام التداولية وأشكالها:

بات واضحا أن التداولية في مفهومها العام هو دراسة اللغة في الاستعمال أو التواصل، انطلاقا من جملة من الأسئلة ومن بينها:"ماذا نصنع حين نتكلم؟". ماذا نقول بضبط، حين نتكلم إلى من نتكلم؟ كيف يمكننا قول شيء أخر، غير ما كنا نريد قوله؟أو لأجل ماذا نتكلم؟

كلّ هذه الأسئلة وغيرها كانت الدافع الفعلي لدفع حركية المقاربات التداولية وتوسيع دائرتها لتصبح التداوليات التي ظهرت في مجموعة من التصورات أبرزها "تصور فرانسواز أرمينكو" وتصور "هانسون" وتصور"جان سيرفوني".[1]

1.5 تصور فرانسواز أرمينكو :تجعل الباحثة "فرانسواز أرمينكو" التداولية في اتجاهين مختلفين هما:[2]

1. تداولية اللغات الشكلية و تداولية اللغات الطبيعية :

يعدّ الإتجاه الفسلفي الكانطي المحضن الرئيسي لنشأة تداولية اللغات الشكلية، وظهرت ملامحه مع ظهور فلسفة اللغة العادية التي دأب روادها "ستالنكر" (1972) و"هانسون" (1974)، وغيرهما إلى وضع أسس هذا الإتجاه (تداولية اللغات الشكلية) كنظرية تقوم على مبادئ الفسلفة والمنطق، في معالجة العلاقة بين التلفظ وملفوظه، وبين الجمل وسياقاتها من خلال أعمال "فيتجنشتاين" و"شتراوس" وغيرهما، وامتدّ مجال التداولية من دراسة شروط الحقيقة وقضايا الجمل إلى دراسة حدس المتخاطبين والإعتقادات المتقاسمة. أمّا تداولية اللغات الطبيعية فتمثلت في دراسة اللغة بوصفها الوسيلة الوحيدة للتعبير عن مشكلات الفلسفة والمجتمع.

2. تداولية التلفظ : ويميّز فيها اتجاهين:[3]

– **تداولية صنيعة التلفظ** : وتمثلها فكرة ألعاب اللغة عن" فتجنشتاين "و مفهوم الأفعال لدى "أوستين "و "سيرل " .

(1) ينظر:فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية،ص:41 ومحمد بلخير، تحليل الخطاب السردي في ضوء نظرية التداولية، منشورات الاختلاف في الجزائر،(ط1)2003،ص:12ـ13 ، وخليفة بوجادي في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم،ص:76ـ77ـ78

(2) ينظر: فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية،ص:11

(3) ينظر: المرجع السابق،ص:43

– **تداولية صيغ الملفوظ:** تهتم بشكل الملفوظ وعباراته فتدرس العلاقة بين هذا الملفوظ ومدى علاقاته بالدلالة المرتبطة بهذا الشكل أو هذه العبارة، وضبط خطوط السياق المناسب.

2.5 تصور هانسون(Hanson):حاول "هانسون" توحيد فروع التداولية المتشعّبة وفق درجة تعقّد السياق، من جزء إلى آخر، فـميّز بين:

تداولية الدرجة الأولى: يستحضر فيها جميع عناصر العملية التواصلية وما يحيطها من ملابسات خارجية (الزمان والمكان) لدراسة رموز التعبيرات المبهمة، ومثّل هذه الدراسة "بيرس" و"راسل" و"بنفنيست" التي اعتمدت الطّابع الرمزي لها.

تداولية الدرجة الثانية: تهتم بداسة العلاقة بين الموضوع المعبّر عنه بملفوظه، ورصد جميع دلالاته من أجل الحكم عليه بالإخفاء أو النّجاح، وسياق هذه التداولية أوسع من سياق تداولية الدّرجة الأولى حيت يمتدّ من الموجودات (السياق الوجودي) إلى نفسية المخاطبين وحدسهم، والإعتقادات المشتركة بينهم، ويندرج ضمن هذه الدرجة من التداولية نظرية قواعد المحادثة عند "غرايس"، وشروط النجاح عند "سـيرل" وقوانين الخطاب عند "ديكرو".

تداولية الدرجة الثالثة : تتمثل في نظرية أفعال الكلام التي وضعها "أوستين" وطوّرها "سيرل"، ولا يتحدّد الفعل الكلامي إلّا من خلال السياق الذي يتكفّل بتحديد جدّيّة التلفظ أو الدّعاية أو إنجاز فعل معيّن.

3.5 تصور"جان سرفوني": يلخّص التداولية بعد "أوستين" في ثلاث وجهات نظر هي: [1]

1.وجهة" أوزوالد ديكرو":

وتهتم بالعلاقات بين المتكلم وذاته من حيث أنّه قال أو لم يقل، أو ما يصطلح عليه بالمصطلح الأجنبي "INTERSUBJECTIF" والذي يدل على التعبير المتبادل ذاتيا، لا سيما أن في الكلام شيئا من ذات المتكلمة دوما، ويندرج ضمن هذه الوجهة الإفتراض المسبق الذي هو وسيلة

(2) ينظر : فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية،ص:110

للقول أو عدم القول (dire ne pas dire)، ودراسة الأقوال المضمرة (Sous Entendus) التي يبقى تحقيقها في الواقع رهن سياق الحديث.[1]

2. وجهة نظر "ألان بيريندونيه" (A.Berrendonner):

تظهر رؤيته حينما يخالف رؤية "جون أوستين"، التي ترى أنّ القول هو الفعل، في حين يرى "بريندونيه" أنّنا حينما نقول فنحن لا نفعل شيئا، ويعلّل رؤيته عندما يجعل "قيمة الفعل" تنتجها الملفوظية بين الوصفية وبعض شروط السياق النّوعي. والأفعال الإنجازية في نظره ليست مهمّتها إنجاز الفعل ؛ حيث تستخدم في إحلال الكلام محلّ الفعل المادّي، مثال: **أتنازل عن ملكيّتي لفلان،** استبدال حركة الإعفاء بصيغة كلامية تعادل تلك الحركة، وبالتّالي فمفهوم الفعل لديه متّصل بمفهوم الحدث (الحركة)، ويمكن التّصرف دون تحريك اليد أو الرِّجل ، لذا يرى "بريندونيه" أنّ الفعل الوحيد المنجز عند التلفّظ هو حركات صوتية أي ملفوظ بالمعنى الحرفي للكلمة.[2]

3. وجهة نظر روبير مارتان (R.Martine):

يشير من خلال كتابه "من أجل المنطق للمعنى" أنّ مجال التداولية ليس الجملة، ولكنّها تتداخل على مستوى الملفوظ، وهي النتيجة للآلية الدلالية المنطقية التي تشكل هذه الكلمة علامة لها.

جملة القول إنّ تعاريف التداولية تعكس التنوع المعرفي الذي نشأ فيه الفكر التداولي، فكل تعريف يحمل منطلقات نظرية تسيّر وتضبط إجراءاته ضبطا منهجيا.

6. محاور التداولية:

لقد انبثق الدرس التداولي من مخاضات معرفية مختلفة (لسانية، فلسفية، بلاغية)، مما أفضى إلى صميمها التنوع والثراء والاتساع على مستوى النظريات، والمحاور التي شكلت جهازها المفاهيمي ومن أهمها:

([1]) ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند علماء العرب،ص:32

([2]) ينظر: فرانسواز أرمينكو،المقاربة التداولية،ص:84

1.6 الأفعال الكلامية (الأعمال الكلامية):

إنّ النشأة الأولى للتداولية، كانت مرتبطة ارتباطا كبيرا بنظرية الأفعال الكلامية لذا توصف بأنها أهم محاور الدرس التداولي،[1] والفضل يعود إلى فرع "فلسفة اللغة العادية"، وهو الذي نشأ بين أحضانه ظاهرة الأفعال الكلامية باعتبارها أنها تبنت مسألة طبيعة اللغة، فركزت على المعاني العادية التي تتغير بحسب مقامات الأحوال.

1.1.6 "أوستين" والأفعال الكلامية:

يعتبر "أوستين" مؤسس هذه النظرية، وجاءت كردة فعل لأصحاب "الوضعية المنطقية" الذين كانوا يعتبرون أن للغة وظيفة واحدة، تنحصر في رسم ووصف وقائع العالم وصفا يكون إما صادقا، أو كاذبا، و أطلق "أوستين" على هذا المصطلح "المغالطة الوصفية" فدور اللغة في نظره لا ينحصر في نقل الإخبار ووصف الوقائع، وتوصيل المعلومات إلى المتلقي عن طريق علامات صوتية، بل إنّ هناك أفعالا تنجز في الواقع وتبدل قناعات الأفراد واعتقاداتهم بمجرد التلفظ بها، حيث اعتبر هذا الفيلسوف أن "إحداث التلفظ هو إنجاز لفعل وإنشاء لحدث".[2]

وبناء على ذلك، ميّــز "أوستين" نوعين من الأفعال الكلامية": [3]

1. **الأفعال التقريرية** (Acte Constatif): وهي أقوال وأفعال خاضعة لمعيار الصدق والكذب مثل الملفوظ: أكتب الدرس، فهو ملفوظ إما صحيح أو خاطئ، وتحقيق الفعل مستقلّ تماما عن تلفظ الجملة، وبالتالي يصبح هذا الملفوظ تقريريا.

2. **الأفعال الإنجازية أو الإنشائية**(Acte Performatif):وهي أقوال أو أفعال مرهونة ببعض شروط النجاح التي تحقق الفعل الذي تسميه أي انجاز ما قيل عن طريق التلفظ، فاللغة تشمل على أسئلة وعبارات التعجب وأوامر وتعابير خاصة بالوعود والأمنيات، والترغيب والتشجيع والترهيب.

([1]) فان ديك،النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، تر: عبد القادر قنيني، افريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2000م ص:125

([2]) جون اوستين، نظرية أفعال الكلام العامة، ترجمة عبد القادر قنيني، ،الدار البيضاء، إفريقيا الشمالية، ،1991،ص:17

([3]) عادل الثمري، التداولية ظهورها وتطورهاwww.eleph.com

لكن "أوستين" أعاد النظر في التقسيم السابق للأفعال الكلامية، وذلك لعدم دقة التمييز، ففي بعض الأحيان تعمل الأقوال التقريرية على إنجاز فعل الإخبار، وبالتالي فإنّ كل ملفوظ خبري يتضمن فعلا انجازيا، لأجل هذا استخدم "أوستين" معيارا مختلفا عن معيار الصدق والكذب، فهي إما تكون موفقة (Happy) أو غير موفقة (Unhappy) ووضع شروطا لتحقق الأقوال الانجازية وقسمها إلى تكوينية وقياسية:[1]

-الشروط التكوينية:

-وجود إجراء عرفي.

-أن يتضمن الإجراء نطق كلمات محددة ينطق بها أناس معينون في ظروف معينة.

-أن يكون الناس مؤهلين لتنفيذ هذا الإجراء.

-أن يكون التنفيذ صحيحا وكاملا.

-الشروط القياسية:

-أن يكون المشارك في الإجراء صادقا في أفكاره.

-أن يكون المشارك في الإجراء صادقا في مشاعره.

-أن يكون المشارك صادقا في نواياه.

-أن يلزم بما يلزم به.

ثم تأتي مرحلة التنصيف العام للأفعال الكلامية وفيها يميز "أوستين" أفعالا ثلاثة ترتبط بالقول وهي على النحو التالي:[2]

1. **فعل القول(فعل التلفظ)**: أصوات تصدر من متكلم معين ، تشكل تراكيب كلمات في بناء لا يحيد في قواعد اللغة أي ألفاظ تنتمي إلى جمل سليمة نحويا وذات دلالات معينة.

الفعل الصوتي ——— الفعل التركيبي ——— الفعل الدلالي

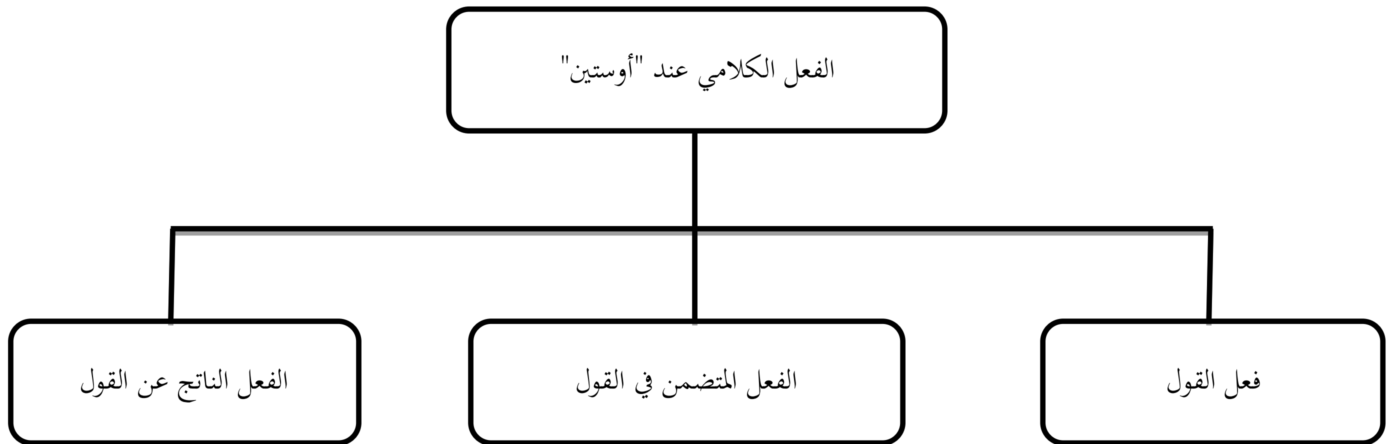
([1]) ينظر:محمود أحمد نحلة، افاق جديدية في البحث اللغوي المنعاصر، دار المعرفة الجامعية،مصر،2002،ص:44

([1]) طالب سيد هشام الطبطبائي،نظرية الافعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين، مطبوعات جامعة الكويت، 1994ص:100

2. **الفعل المتضمن في القول(فعل قوة التلفظ)**: وهو الذي ينجز أثناء القول، ويعتمد على الصيغ الكلامية التي تستدعي غالبا بعض الآثار في المشاعر والأفكار لشخص ما، والنية والقصد أو الغرض من إثارة هذه الآثار.

3. **الفعل الناتج عن القول(فعل أثر التلفظ)**: هو الأثر غير المباشر الذي يتحقق بالقول، أي ما يصاحب فعل القول من اثر لدى المخاطب كالإقناع والتضليل.

ويمكن تلخيص التصنيف العام للأفكار الكلامية عند "أوستين" وفق الخطاطة الآتية:



وبالاعتماد على معيار القوة الإنجازية قدم "أوستين" تصنيفا للأفعال الكلامية من حيث معناها إلى مجموعات وظيفية:(1)

-**الأفعال الدالة على الحكم(الحكميات)**: وتتعلق بالقضاء والحكام نحو الإدانة، أو الفهم أو الإصدار أو الوصف...

-**أفعال الممارسة (التنفيذيات)**:وهي الأفعال الحاملة لقوة في فرض واقع جديد وتقتضي بمتابعة أعمال الطرد،العزل...

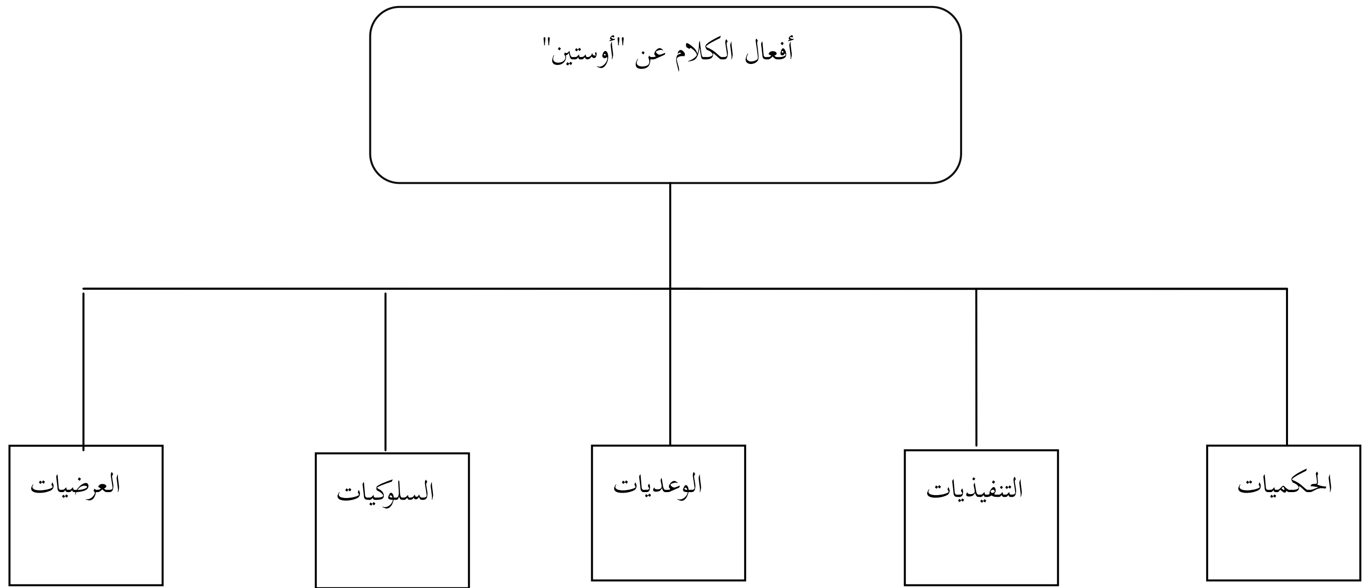
-**أفعال الوعد(الوعديات)**:والأفعال تلزم المتكلم القيام بعمل ما معترف به من قبل المخاطب ومن أمثلتها: الوعد والضمان، والتعاقد والقسم...

(2) ينظر:عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، منشورات الاختلاف، الطبعة(1)،2003،ص:158-159

-**أفعال السلوك(السلوكيات)**:وهي الأفعال الناتجة من تفاعل مع أفعال الغير كالاعتذار والشكر والترحيب والكره والتحريض.

-**أفعال العرض(العرضيات)**:والأفعال الخاصة بتقديم وجهات النظر، وتوصيل الحجة وتوضيح الاستعمالات والدلالات.

ويمكن أنْ نبين أفعال الكلام عند "أوستين" وفق الخطاطة الآتية:



2.1.6 سيرل والأفعال الكلامية:

يتفق "سيرل" مع أستاذه "أوستين" في كثير من القضايا الفلسفية واللغوية، فهو يرى أن "كل ملفوظ لساني يعمل كفعل محدد (أمر، سؤال، وعد...) أي يساهم في إنتاج بعض الآثار، كما اعتبر أنّ المكون الأساسي للملفوظ الذي يمنحه قوته هو القوة الانجازية، وأننا حين نتلفظ بعبارة ما نقوم بأربعة أفعال:

التلفظ بالكلمات:وهو ما يسميه "الفعل التعبيري".

الفعل القضوي:ويتم ذلك بإسناد الكلمات إلى بعضها وإحالتها على مراجعها.

الفعل الغرضي:وهو الفعل الذي يحدد الطريقة التي تستعمل بها التعبير.

الفعل التأثيري:وهو يجسد النتائج والتأثيرات التي تحدثها الأفعال الانجازية السابقة على أفكار ومعتقدات المستمع.

وفي تصنيفه للأفعال الكلامية ميّز "سيرل" خمسة أصناف وهي:[1]

ويميز بين ما يسميه الأفعال الكلامية المباشرة والأفعال الكلامية غير المباشرة.

أ: **الأفعال الكلامية المباشرة**: وهو أن يتطابق فيه فعل القول بمفهوم "اوستين" وفعل الإنشاء، أي أن تتطابق قوة الفعل الانجازية مراد المتكلم، أو أن يكون القول مطابق للقصد،أو كما يرى "ستانلي فنش"تَوافُق بين التراكيب والوظيفة التواصلية في كل جملة (خبر، استفهام، أمر).

ويمكن أن نلخص نظرة "سيرل" المتعلقة بالمطابقة في أربعة أفعال متزامنة وهي:[2]

1.**الإثباتيات** (Les Assertives): أو التقريريات وهي عنده تحتمل الصدق أو الكذب، ومن خلالها ينقل" المتكلم" الوقائع الحقيقية للعالم، وتتضمن معظم أفعال الإيضاح.

2.**الوعديات** (LesCommisives): أو الإلتزاميات وتتعلق بأي إنجاز في المستقبل يلتزم به "المتكلم"، كالرهانات والعقود والضمانات.

3.**التوجيهيات** (Les Directives): أو الطلبيات وهي أفعال كلامية غرضها الإنجازي حمل "السامع" إلى فعل شيءما، مثل أفعال الإستفهام والنهي والنداء.

4. **التعبيريات** (Les Expressives): أو التصريحيات، يعمد المتكلم من خلالها التعبير عن حالاته الشعورية مع مراعاة شرط الصدق ويدخل في هذا النوع من الأفعال، الشكر، الإعتذار، التهنئة، التعزية والترحيب.

5. **الإعلانيات** (Les Declaratives): أو التصريحات، ومن خلال هذا النوع من الأفعال الكلامية يحاول "المتكلم" أن يحدث تغييرا في الوضع القائم، فبمجرد التلفظ بها يقع الفعل، ومن أمثلتها الشراء، البيع، الهبة، الوصية، الوقف، الطلاق، الزواج....الخ

([1]) ينظر: خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم،ص:99

([2]) ينظر: علي محمود حجي الصراف في البراجماتية، ، الأفعال الانجازية في العربية المعاصرة،دراسة دلالية ومعجم سياقي،مكتبة الآداب، القاهرة،(ط1)،2008ص:98

فعل القول(acte d ´énonciation)

فعل الإسناد(acte propositionnel)

فعل الإنشاء(acte performatif)

فعل التأثير(acte perlocutif)

ب:الأفعال الكلامية غير المباشرة: هي الأفعال التي تتطلب من المستمع/المتلقي الانتقال من المعنى المباشر للقول إلى المعنى الذي يقصده المتكلم، فالقصد مضمر وليس صريح، والوقوف عند حدود القول غير كافي لذا على المستمع أن يبذل جهدا في تحليل السياق لفهم قصد المتكلم، فلأفعال الكلامية غير المباشرة تخالف فيها قوتها الانجازية مردا المتكلم.[1]وهي أيضا الأفعال ذات المعاني الضعيفة التي لا تدل عليها صيغة الجملة بالضرورة، ولكن للسياق دخلا في تحديدها والتوجيه إليها، وهي تشمل على معان عرفية وحوارية.[2]

وفي كتابة استراتجيات الخطاب يعرف "عبد الهادي بن ظافر الشهري" على أنها:"إستراتيجية لغوية تلميحية يعبر عنها المتكلم عن القصد بما بغاير معنى الخطاب الحرفي لخطابه فيعبر عنه بغير ما يقف عند اللفظ مستثمرا في ذلك عناصر السياق".[3] فالقصد ضمني ومضمر والاعتماد على الاستدلال ضروري للوصول إلى المعنى وفي استثمار السياق غاية للوصول إلى الفهم الصحيح.

والحاصل فيما سبق إنّ كل تلفظ بالكلام هو فعل كلامي وكل ملفوظ ينهض على نظـام شكلي دلالي انجازي تأثيري، ولا يمكن أن يكون الفعل الانجازي ناجحا دون أنْ يحدث تأثيرا على المتلقي ويستلــزم فعل الكلام السياقي الذي يقوم على توجيه التفاعل والأعراف.

2.6 نظرية الاستلزام الحواري:

([1]) ينظر :محمود احمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر،ص:50

([2]) مسعود صحراوي،التداولية عند علماء العرب،ص:36

([1]) عبد الهادي بن ظافر الشهري،استراتيجيات الخطاب،ص:370

ويطلق عليها كذلك "نظرية المحادثية"، وتقوم على مبدأ واحد سماه "غرايس" مبدأ التعاون(Cooperative Principes)، وتعتبر بمثابة ضابط العملية التواصلية بفرض إملاءات على أطراف التخاطب، يفترض أن يراعيها كل متكلم قاصد إلى تبليغ أمر معين، وبالتالي إنجاز الفعل وتحقيقه بنجاح، وينهض مبدأ التعاون على أربع مُسلَّمات:[1]

1. مسلمة القدر(Quantité): تخص قدْر (كمية) الإخبار الذي يجب أن تلتزم به المبادرة الكلامية وتنفرع إلى مقولتين:

أ: اجعل مشاركتك تفيد بالقدر المطلوب من الإخبار.

ب: لا تجعل مشاركتك تفيد أكثر مما هو مطلوب.

فلا يقلل المخاطب من كلامه إلى الحد الذي لا يفهم فيه خطابه، ولا يكثر من الكلام إلى الحد الذي يمل مستعمله.

2. مسلمة الكيف(Qualité): ونصّها "لا تقل ما تعتقد أنّه كاذب"، ولا تقل ملا تستطيع البرهنة على صدقه. وتتعلق هذه المسلمة (الكيف) بما يقول المتكلم، وشرط الصدق الذي يجب أن يتوفر في كلامه، ويمكن أن ندرجها تحت القاعدة التالية:"لا تقل ما تفتقر إلى دليل كاف عليه".[2]

3. مسلمة الملاءمة (Pèrtinence): وأطلق عليها "طه عبد الرحمان" اسم قاعدة العلاقة، فهي تربط الكلام ومقامه ومؤداه،"ليناسب مقالك مقامك"،[3] أو لتكن مساهمتك ملائمة مقتضى الحال.

4. مسلمة الجهة(Modalité): تنص على الوضوح في الكلام، وتهتم بكيفية إجراء الكلام وما يجب أن يراعي فيه، وتندرج ضمنها مجموعة من القواعد:

- الاحتراز من الالتباس.
- الاحتراز من الإجمال.
- التكلم بإيجاز.

([2]) مسعود صحراوي،التداولية عند علماء العرب،ص:46

([3]) صلاح إسماعيل: نظرية المعنى في فلسفة "بول غرايس" الدار المصرية السعودية للطباعة، القاهرة،مصر،(ط1)2005،ص:87

([1]) طه عبد الرحمان،اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب،(ط1)، 1998 ، ص:238

- الترتيب في الكلام.

استنادا إلى ما سبق نستنتج أنّ نجاح العملية التواصلية يتوقف على مجموعة من القواعد تساهم في تواصل النشاط الكلامي وفق ما جاء به "غرايس"، فخضوع المخاطب للمتلقي وخضوع المتلقي للمخاطب يتحقق وفق القوانين التالية:[1]

- حكم الكمية: هو ما يصطلح عليه بقانون الإخبار.
- حكم الصدق: هو ما يصطلح عليه بقانون الأخبار.
- حكم الملائمة أو العلاقة: هو ما يصطلح عليق بقانون الإفادة.
- قاعدة الجهة أو حكم الوضوح: هو ما يصطلح عليه بقانون الشمولية.

3.6 نظرية الملائمة:

أرسى دعائم "نظرية الملائمة" كل من اللسانية البريطانية "سوزان ويلسون"(Dcide Susanwilson) والفرنسي "دان سبربر"(D.Sperper)، وأخذت هذه النظرية من مجالين معرفيين هما:

الأول: مستمد من مجال علم النفس المعرفي، خاصة النظرية القالبية لـ"فودور".[2]

الثاني: من حقل فلسفة اللغة وتحديد نظرية الاستلزام الحواري، فقام كل من العالمين "هارنيش"(Harnish) و "صادك" (Sadok) باختزال بعض المبادئ الغراسيّة، وإضافة بعد التعديلات منها الجمع بين مبدئي الكم والكيف، بعدما اكتشفا بعض الثغرات في المعيار الذي هيكله وصممه "غرايس"،في نظريته لغرض استنباط المفاهيم والمعاني الخطابية المولدة نتيجة خرق (انتهاك) أحد مبادئ المحادثة.

أمّا المجال الثاني الذي مثله "فودور" مستمد من مجال علم النفس المعرفي، فقد استفادت منه نظرية الملاءمة من خلال "النظرية القالبية"، التي ترى أن اشتغال الذهن البشري هو انشغال تراتبي

([2]) ذهيبة حمو الحاج، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، ، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع،2005،ص:73

([3]) ينظر :مسعود صحراوي، التداولية عند علماء العرب،ص:36

وممنهج ذو طبيعة منظمة، وتجري فيه ومعالجة المعلومة عبر مراحل متلاحقة وكل مرحلة تقابل مكونا من مكونات الذهن وهي:[1]

- **المحولة:** تستقبل كل معطيات الإدراك الحسي(أصوات أو ظهور شيء في مجال الرؤية أو قول)، وتقوم بترجمتها إلى نسق قصد التمهيد لاشتغال النظام الطرفي.

- **النظام الصرفي**:يقوم بمعالجة المعطيات المترجمة من طرف المحولة، وتقديم تأويل أولي ترميزي للمعطيات المحركة.

- **النظام المركزي:** وظيفته إتمام التأويل، من خلال مقارنة المعلومة الواردة مع المعلومات الواردة من المعلومات الأخرى المعروفة سلفا، ويتحقق هذا التأويل نتيجة لعملية استدلالية.

وبيّن "جاك موشلار"(Jaque Moshler)و "آنا ربول" (Ana Raboul)في قاموسهما موسوعة التداولية طريقة وصول المعلومات المخزنة في النظام المركزي، وتكون من خلال الصيغة المنطقية[2] التي تحتوي على مجموعة من المفاهيم، ولكل مفهوم عنوان تصوري في الذاكرة المركزية يحمل ثلاثة أنواع من المعلومات :[3]

المدخل المنطقي: وهي تلك المعلومات التي تتعلق بمختلف العلاقات المنطقية(الاستلزام)، والتي يلتقي فيها المفهوم بمفاهيم أخرى.

المدخل الموسوعي: ويوضع تحت هذا المصطلح كل المعلومات غير المنطقية أو المعجمية، والتي تسمح بإعفاء امتدادا للتصور.

المدخل المعجمي: وهي تلك المعلومات التي تخص عنصر معجمي ما، أيْ تضم المعلومات الصوتية والتركيبية.

(1) ينظر: التداولية اليوم علم جديد للتواصل،ص:73-74 ومسعود صحراوي، التداولية عند علماء العرب،ص:36-37

(2) Jaque Moshler.Ana rabou.dictionnaire encyclopedique de pragmatique.ED,seuil,1994,p140

(3) ibid,p140

وانطلاقا من المعلومات التي يتوفر عليها المتخاطبين (أثناء العملية التواصلية)، يتم انتقاء الافتراضات السياقية، وإنّ نجاح العملية التواصلية مرهون بالتحكم في قاعدة واحدة وهي مبدأ الملاءمة الذي يتحدد انطلاقا من وسطين وهما "الآثار المعرفية" (التعالق بين المعلومات القديمة والحديثة لتقييم افتراضات الذاكرة التصويرية) و"الجهد المعرفي" (تقسيم مدى ملاءمة الأقوال).[1] وهما يشتغلان وفق المعادلتين الآتيتين:[2]

-كلما أنتج الملفوظ آثارا سياقية أكثر، كلما كان هذا الملفوظ ملائما.

-كلما تطلب الملفوظ جهدا أقل لمعالجته، كلما كان هذا الملفوظ ملائما.

وحاصل النظر فيما مضى أنّ نظرية الملاءمة ركن أساسي لإنجاح العملية التواصلية، وليست قاعدة يتحتم على المرسل أنْ يحترمها أو يخرقها كما هو الحال عند "غرايس" أو هي بمثابة متغير تتحدد قيمته بحسب السياق.

4.6 الإفتراض المسبق(presupposition):

وهو أن ينطلق كل من المرسل والمرسل إليه وكل المشاركين في التخاطب من ومعطيات والافتراضات مسلّم ومعرف بها بينهم. واعتبـــرها "جورج يول" هذه المعطيات أو الافـــتراضات أرضية مشتركة مسلّم بها لدى كل أطراف المحادثة.[3]

أمّا "ديكرو" فاعتبرها العنصر الدلالي الخاص بالقول أو تحويله إلى استفهام، (هل أ؟) وإلى نفي(لا أ).ولتوضيح أكثر نضرب المثال التالي:

الأول:

استثمر الرجل أمواله في التجارة.

- **الاستفهام:** هل استثمر الرجل أمواله في التجارة؟

(1) Jaque Moshler,Ana Raboul,Dictionnaire Encylopidique,P:143

(2) ibid,p:143

(3) ينظر:جورج يول، معرفة اللغة،تر:محمد فراج عبد الحافظ،دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر،مصر،1993ص:137

- **النفي:** لم يستثمر الرجل أمواله في التجارة.

المعنى الضمني المستنبط هو: كان للرجل أموال.

الثاني:

يقول الطرف الأول للطرف الثاني: هل شفيت؟ هذا القول يوحي أنّ الطرف الثاني كان مريضا، كما يوحي مدى اهتمام الطرف الأول بالثاني، وقد يرد عليه: نعم والحمد لله.ولكن إذا كانت الخلفية التواصلية غير مشتركة بين الطرفين فإن الطرف الثاني يرفض السؤال أو يتجاهله، فيجيب بأحد الملفوظات التالية:

-لم أشف بعد

-كنت بصحة جيدة

ويفرق بعض الدارسين أو يضعون حدود فاصلة بين المضمر من الملفوظات وما يسمى بالمقتضيات والمسبق، فالأول(المضمر بين الملفوظات) وليد الملابسات المحيطة بالعملية التواصلية، والثاني (الافتراض) هو إنتاج للسياق الكلامي، لذا تعتبر "أوركوشيوني" أنّ "القول المضمر هو كتلة المعلومات التي يمكن للخطاب أن يحتويها، ولكن تحقيقها في الواقع يبقى، وهي خصوصيات سياق الحديث".[1]

وقد يرتبط الافتراض المسبق بألفاظ وتراكيب تدل عليه كما يذكر "محمود أحمد نحلة" في كتابه "آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر" ففي هذا المثال يكون الافتراض المسبق فيها مرتبطا ببعض العناصر اللغوية دون البعض:[2]

أ: زيد اغتيل سنة 1968.

ب: زيد قتل سنة 1968.

الجملة الأولى: مسبق: زيد شخصية سياسية بارزة

الجملة الثانية: غير محقق في الفعل "قتل".

([1]) مسعود صحراوي،التداولية عند علماء العرب،ص:32

([2]) محمود أحمد نحلة،آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر،ص:30

تحقيق القول فيما سبق، إنّ الافتراض المسبق ظاهرة تستند إلى أرضية مشتركة بين الباث والمتلقي، وما هو معروف بينهما، إضافة إلى التحويلات التي تعتري الجمل كأسلوبي الاستفهام أو النفي، كما يستنتج بالألفاظ وتراكيب الجمل عكس القول المضمر.

5.6 الإشاريات:

تندرج الإشاريات ضمن تداولية الدرجة الأولى، وهي العلامات اللغوية التي لا يتحدد مرجعها إلا في سياق الخطاب الذي وردت فيه، لأنها خالية من أيّ معنى في ذاتها.(1)

ولذلك لا يمكن القبض على مرجعها الذي يحيل إليه إلا من خلال القبض على مجال سياق الخطاب التداولي وتكمن أهميتها في أنها تدرس كيفية استعمال الإحالة*. وبإمكاننا أن نميز ثلاث إشاريات هي (الأنا)،(الهنا) و(الآن) ، فالأول (الأنا) متعلقة بالذات المتكلمة، المتلفظة للخطاب في سياق تداولي معيّن، أمّا الثانية (الهنا) فهي ترتبط بمكان التلفظ وحيثياته، والثالثة (الآن) فتتعلق بقضايا الزمن.(2)

وتقوم الإشاريات على دراسة عناصر إنتاج الخطاب وتشكيله انطلاقا من ثلاثة أنواع:

1. الاشاريات الشخصية:

فهي متمثلة في ضمائر المتكلم والمخاطب والغائب، وضمير المتكلم والمخاطب يفسرهما وجود صاحبهما وقت الكلام، فهو حاضر يتكلم بنفسه أو حاضر يكلمه غيره، لذا سميت بضمائر الحضور(3). فالمتكلم (الأنا) أو الذات المتلفظة هي محور التلفظ في الخطاب تداوليا لأنّها تمتلك :ناصية الحديث" وتكتسب السلطة بالخطاب، وحضور (الأنا) في الخطاب ضروري والمرسل لا يُضَمِّنُها خطابه شكلا في كل لحظة، لأنّه يفرض وجودها بالقوة في كفاءة المرسل إليه وهذا ما

(1) ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري،استراتيجيات الخطاب،ص:73

*الإحالة: هي العلاقة القائمة بين الأسماء والمسميات،هي علاقة إحالية، فالأسماء تحيل إلى المسميات ويصرح فيما يخض طبيعتها بقوله:" إن المتكلم الذي يحيل(باستعماله لتعبير مناسب)، أي أنه يُحَمِّل التعبير وظيفة إحالية عند قيامه بعملية إحالة، ويدعمه المفهوم الذي يقدمه "ستروسون"(strawson) بأنّ "الإحالة ليست شيئا يقوم به تعبير ما، ولكنها شيء يمكن أن يحيل عليه شخص ما باستعماله تعبير معينا"ينظر: ج.ب. براون، ج.بول: تحليل الخطاب، ترجمة وتعليق: محمد لطفي الزليطني-منير تركي، جامعة الملك سعود/د.ط 1997،ص:36

(2) ينظر:المرجع السابق،ص:81

(3) ينظر:عباس حسن، النحو الواقي، دار المعارف،مصر،(ط3)،دت،(ج1)،ص:235

يساعده على استحضارها لتأويل الخطاب تأويلا مناسبا؛ إذ أنّ الكفاءة التواصلية للمخاطب هي المعنية باستنتاج (الأنا)، بالرّغم من عدم تواجده على البنية السطحية للخطاب.[1]

2. الإشاريات المكانية:

وهي تختص بتحديد الأماكن أو المواقع بالانتساب إلى نقاط مرجعية في الحدث الكلامي، ويكون لتحديد المكان أثر في اختيار العناصر الإشارية التي تشير إليه قربا أو بعدا أو جهة، "كما تقاس أهمية التحديد المكاني بشكل عام، انطلاقا من الحقيقة القائلة: أنّ هناك طريقتان رئيسيتان للإشارة إلى الأشياء هي: إمّا بالتسمية أو الوصف من جهة أولى، وإمّا بتحديد أماكنها من جهة أخرى".[2] ومن الإشاريات المكانية نذكر:

أسماء الإشارة: إذ وذاك للإشارة إلى القريب أو البعيد. هنا، هناك، فوق، تحت، أمام وخلف من الظروف المكانية.

فلا يمكن للمتكلم أن يستغني عن المكان عند تلفظه بالخطاب وهذا ما يعطي الإشارات المكانية مشروعية إسهامها في الخطاب.

3. الإشاريات الزمانية:

وهي جميع ظروف الزمان التي تكون ظاهرة أو مضمرة،[3] وهي تدل على زمان يحدده السياق بالقياس إلى زمان المتكلم، فزمان المتكلم هو مركز الإشارة الزمانية للمتكلم، فإذا لم يعرف زمان المتكلم أو مركز الإشارة الزمانية التبس الأمر على السامع أو القارئ.

6.6 النظرية الحجاجية:

يعد الحجاج من أهم المحاور التداولية وموضوعه هو "دراسة تقنيات الخطاب التي من شأنها أنْ تؤدي بالأذهان إلى التسليم، مما يعرض عليها من أطروحات، أو أن تزيد في ذلك التسليم".[4]

---

(1) عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب،ص:82

(2) المرجع نفسه،ص:84

(3) محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر،ص:19

(4) عبد الله صولة، الحجاج في القرآن خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي، بيروت،لبنان،(ط2)،ص:27

ويحدد البعض الحجاج باعتباره مجموعة من التقنيات الخطابية الموجهة إلى إقناع المتلقي سواء كان المتلقي فردا أم جماعة. ويعرّف كل من"ميشال ماير"(M.Mayer) و"شاييم بيرلمان" (Ch.Perlman) الحجاج على هذا الشكل:" يعرف الحجاج في العادة بكونه جهدا إقناعيا (إقحاميا) ويعتبر البعد الحجاجي بعدا جوهريا في اللغة لكون كل خطاب يسعى إلى إقناع من يتوجه إليه".[1]

والواضح من التعريف أنّ الحجاج يهدف إلى إقحام الخصم وإقناعه بمشروعية وصلاحية الموقف، فهو يبحث دائما لأخذ قبول وموافقة المتلقي.فلمّا كان الحجاج يتعلق بالخطاب وسياقاته المقامية المختلفة، فإن من السمات التي تجعله ناجحا وفعالا، الاعتماد على تقنيات يتم عن طريقها عرض الحجج المتجهة نحو المتلقين، وقلب قناعتهم والتأثير على أفكارهم وعواطفهم.ومراعاة السامع من المسائل المهمة التي ألحّ عليها "بيرلمان"، بالإضافة إلى مراعاة الحالة النفسية للمتلقي التي يجب عدم التغاضي عنها لحصول التأثر المطلوب.[2]

ويتميز الحجاج عند "بيرلمان" بخمسة ملامح رئيسية:[3]

1.أن يتوجه إلى مستمع.

2.أنْ يعبر عنه بلغة طبيعية.

3.مسلماته لا تعدو أن تكون احتمالية.

4.لا يفتقر تقدمه – إلى ضرورة منطقية بمعنى الكلمة.

5.ليست نتائجه ملزمة.

كما يشكل المقام دعامة أساسية التي يتحقق من خلالها الخطاب الحجاجي فعاليته، والمتمثلة في خلق تأثيرات حقيقية على المتلقين، وفي هذا المضمار يقول "بيرلمان" عن الحجاج هو:"عبارة عن

([1]) حبيب ألمان، الحجاج والاستدلال الحجاجي، مجلة عالم الفكر المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت ،ع1 ،المجلد30 ،2001، ،ص:97

([2]) ينظر:عمر بلخير،التداولية والحجاج،ص:21

([3]) محمد سالم ومحمد الأمين، مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة، ،مجلة علم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكوييت، مجلد28،عدد03، 2000،ص:61

تصور معين لقراءة الواقع اعتمادا على بعض المعطيات الخاصة، بكل من المحاجج والمقام الذي ينجب هذا الخطاب". [1]

وأخرج كل من "بيرلمان" وزميله "تيتكا"(Teytca) الحجاج من تهمه المغالطة والمناورة والتلاعب بالجمهور وعقله، وهي رؤية تقليدية تعسفية لازمت مفهوم الحجاج، واعتبرته قدحا طويلا من الزمن أداة منطقية استدلالية مسلوبة ومقيدة، وخاضعة بفعل ما يرمي عليها الاستدلال من إلزاميات، تنفي حريته من تحصيل أي وفاق بينه وبين المتكلم.

والحجاج عند "ديكرو"(O.Ducrot)و "أنسكوبر" (J.C.Anscombre) يتموضع في اللغة؛ أي كامنا في ذاتها بعيدا على ما يتأسس عليه الخطاب من منطق رياضي أو شكلي أو صوري ،كما هو الشأن عند كل من "بيرلمان"و"تيتكا" وفي كتابهما "الحجاج في اللغة" (largumention dans la langue)، بيّنا الباحثان أن "مصلح البلاغة والحجاج يكتسبان معاني جِدُّ مختلفة عن التي كانت متداولة في التقاليد الأرسطية".[2]فالمتكلم في مخاطبته الغير يسعى دائما إلى التأثير في أفكاره ومعتقداته، من أجل إقناعه ولكن دون أن يضطر للظهور بوجه المقنع.

وغالبا ما يؤكد "ديكرو" على عدم الفصل بين الدلالات وموضوعها، لأنّ قوانين الخطاب تكمن في تحديد معالم هذه الدلالات الحجاجية، بمعنى أنّ الحجاج يبقى دائما معطى مرتبط بالاستعمال نظرا للعلاقة الوطيدة بينه وبين قوانين الخطاب، التي تتدخل في آراء وسلوكات الطرفين (المتكلم والمستمع) عن طريق التأثير فيهما، فعنصر المقام الذي يتحقق فيه النشاط الكلامي، هو المؤطر للعمليات التخاطبية التي تدخل ضمن تفسيرنا للغة، فالواضح من هذا الطرح أنَّ البعد التداولي من المفارقات التي تطبع عمل "ديكرو".

واعتبر هذان المنظِّران أنَّ الخطاب ليس فقط وسيلة بل هو غاية أيضا، وميَّزا بين وظيفتين أساسيتين في اللغة هما الوظيفة الحجاجية، والوظيفة الإخبارية، واعتبرا هذه الأخيرة وظيفة ثانوية

(1) محمد سالم ومحمد الأمين، مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة،ص:67

(2) عبد الله صولة، الحجاج في القرآن،ص:27

بالنسبة للوظيفة الحجاجية، "فالإدعاء ينقل الحقيقة ووصفُها لنْ يكون إلاّ بهتانا وتزويرا لهذا الإدعاء أكثر من ملامستنا لما هو جوهري، بهدف التأثير على الآخر من خلال الضغط عليه.[1]

أمّا الوظيفة الحجاجية تقوم على تحقيق عمليتين اثنتين هما: فعل التصريح بالحجة من جهة وفعل النتيجة من جهة أخرى، سواءً أكانت هذه النتيجة مصرحا بها أو مفهومة ـ بدون تصريح ـ ، وقد أورد "ديكرو" المثال التالي: "نقول عن المتكلم إنه يقوم بحجاج، حينما يقدم القول (ق1) وغايته في ذلك حمل المستمع على الاعتراف بقول (ق2).لكنّ هذه العملية وباعتراف الباحثين لا تتم ببساطة، والمتمعن في كلام "ديكرو" يخلص إلى فكرة مفادها أن المستمع يقوم بعمليات استنتاجية متسلسلة ومعقدة للوصول إلى قصد المتكلم وفهمه.

كما أورد "ديكرو" إلى جانب ذلك تحليلا أطلق عليه مصطلح "آلية المعنى"، وقوامه أنّ أيّ كل عبارة لغوية لجملة تدرس بالمعطى اللساني الذي يخصصها بالدلالة، ثم تعالج هذه الأخيرة بالمعطى البلاغيّ الذي يخص معنى الملفوظ، ويضطلع المعطى البلاغي بوظيفتين:[2]

الأولى: إعطاء مخرجا أوّليا يمهد لظهور المعنى.

الثانية: مقابلة هذا المعنى التمهيدي بجديد السياق الملفوظي.

إذن، الحجاج أداة تسعى إلى تحقيق الوظائف والأدوار التالية:[3]

1.إقحام الخصم وإقناعه بمشروعية وصلاحية الموقف.

2.يهدف إلى تأسيس موقف ما ومن هنا فهو يتجه إلى المتلقي الذي يقوم بعمليات استنتاجية معقدة للوصول إلى قصد المتكلم.

---

(1) Jean Claude Anscombre Et Oswald Ducror ,Largumentation De La Langue ,Piere Mardaga,Ed.Belgique,P:169

(2) ينظر: خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية،ص:111

(3) ينظر : خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية،ص:107-111-، و مفلاح بن عبد الله، حجاجية القرآن الكريم، مجلة القلم، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة أحمد بن بلة، وهران1،العدد 21،2011،ص:38.

3.يعتمد على تقديم عدد كبير من الحجج المختارة اختيارا حسنا ومرتبة ترتيبا محكما لتترك أثرها في المتلقي وهذه الخاصية تجعله يتميز عن البرهنة.

4.يتعلق بالخطاب الطبيعي من جهتي الاستعمال والمضمون، فهو ذو فعالية تداولية.

5.يهدف إلى جعل العقول التي يتوجه إليها تنخرط في الأطروحة أو الدعوى.

حاصل النّظر فيما مضى أنّ الدرس التداولي اعتمد على شبكة تحليل معاصرة، تعتمد مفاهيم وآليات من قبيل الأفعال الكلامية، والافتراض المسبق، ونظرية الملاءمة، والاستلزام التخاطبي، والنظرية الحجاجية، وسبب تنوّع هذه المفاهيم راجع إلى تنوع المرجعيات التي مثلت المحضن الفكري لظهور هذا الدرس كعلم النفس المعرفي، وعلم الاجتماع واللسانيات والفلسفة والمنطق.

الفصل الثاني

العملية التواصلية، المفاهيم، العناصر والأعلام والكفايات

المبحث الأول: العملية التواصلية، المفاهيم، العناصر والأعلام

تمهيـد

1. في المعجم العربي
2. عند الغربيين

   1.2 في المعجم

   2.2 عند اللغويين
3. عند العرب المحدثين

المبحث الثانـي: الكـــفايات

تمهيـد

1. مفهوم الكفاية
2. الكفاية اللغوية
3. الكفاية التواصلية
4. الكفاية التفسيرية

   1.4 الكفاية التداولية

   2.4 الكفاية النفسية

   3.4 الكفاية النمطية

المبحث الأول:العملية التواصلية، المفاهيم، العناصر والأعلام

1. تمهيد:

قد يبدو الحديث عن "التواصل" كمصطلح وعن "العملية التواصلية" كنشاط لغوي لساني سهلا للوهلة الأولى، إلا أنّ التوقف عند هذا المصطلح مليا واستعراض مختلف أبعاده، سرعان ما يبرز ضخامة وتشعب موضوعه، كما أنّ الوقوف عند العملية التواصلية وبحيثياتها أمر بالغ التعقيد نتيجة تداخل عوامل نفسية واجتماعية ومعرفية لموضوع العملية، ومن هذا المنطلق كان من الطبيعي أن تتعدد معاني التواصل بتعدد المعاني العلمية والفكرية للباحثين في هذا المجال.

2. في المعجم العربي:

لقد تناولت المعاجم العربية التواصل من الجانب اللغوي، فقد جاء في لسان العرب لابن منظور (ت911هـ):"وصلت الشيء وصلا وصلة و الوصل ضد الهجران، و ينقل عن ابن سيدة تعريفه للوصل بان الوصل خلاف الفصل. وصل الشيء بالشيء يصله وصلا وصلة...و اتصل الشيء بالشيء لم ينقطع فالتواصل لغويا لا بد أن يكون بين شيئين، و هذا ما يعزز مبدأ المشاركة في التواصل.وواصل حبله: نحو صلة. و الوصلة: الاتصال و الوصلة: ما اتصل بالشيء، و التواصل ضد التصارم".[1]"والتصارم التقاطع من صرمته الشيء صرما قطعته".[2]

وجاء في مقاييس اللغة لابن فارس(ت395هـ)(صرم):الصاد و الراء و الميم أصل واحد وهو القطع.[3]

ويضيف "الفيروز آبادي" :"وصل وصلا و لا وصل بالضم الاتصال، وكل ما اتصل بشيء فما بينهما

(1) ينظر: ابن منظور، لسان العرب ج11، مادة (وصل)، ص 726.

(2) ينظر: المرجع نفسه،ج12، (صرم)، ص 335.

(3) ينظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج6، مادة (وصل)، ص 115.

وصلة"،[1] أي أنّه العلاقة التي لا تهدف إلى الفصل يقدر ما تسعى إلى تحقيق العلاقات فيما بين العناصر مهما كانت تلك العناصر.

أمّا في "مختار الصّحاح" فيقال: "وصلت الشيء من باب وعد وصلة، ووصل إليه يصل وصولا أي بلغ، ووصل بمعنى اتّصل، والوصل ضد الهجران، وكل شيء اتصل بشيء فما بينهما وصلة".[2]

و في المعاجم العربية الحديثة كـ "المعجم الوسيط" فإنّ دلالات "وصل" تدور حول الإنتماء والإنتهاء، والإبلاغ والإنتساب، فيقال "اتصل فلان: دعى دعوى الجاهلية، وهو أن يقول يا لفلان وإلى بني فلان انتمى وانتسب...، وتوصّل إليه انتهى إليه وبلغه".[3]

وتدلّ في معجم اللغة العربية المعاصرة على "الوصول والإنتهاء والبلوغ"، يقال:"وصل يوصل توصّلا، فهو موصل والمفعول موصول، ووصل الشيء بالشيء لأمه، وأوصله أنهاه إليه وأبلغه إيّاه، ووصل الرسالة إلى صاحبها وصلها إلى البيت".[4]

3. عند الغربيين:

1.3 في المعجم

1.1.3 قاموس اللغة الفلسفية لــ"بول فولكيه" و"ريمون سان جون":

وردت كلمة التواصل في **"قاموس اللغة الفلسفية"** Dictionnaire de la langue philosophie "بول فولكيه" و"ريمون سان جون" على أنها فعل التواصل والتعريف بالشيء، وبالحديث عن الأشياء، فإن التواصل ما يسمح بالحصول على علاقات، أو بالذهاب من مكان إلى أخر، أو تحقيق التواصل (اتصال) بين حجرتين (بواسطة باب)، أو (عن طريق سكة حديد،طائرة...)

([1]) مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، قاموس المحيط، ضبط و توثيق محمد البقاعي، دار الفكر للطباعة و النشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2005، ج4، ص: 66.

([2]) مختار الصّحاح، ص:302

([3]) المعجم الوسيط،،ص:103

([4]) أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، (ط1)، 2008،ص:56

أو الاتصالات البريدية الهاتفية... أما فيما يخص الحديث عن الأشخاص، فالتواصل: بالمعنى المجرد فعل إيصال شيء لشخص ما، إيصال معلومة جديدة، مستند...، أما علم النفس، فيعرف التواصل بأنه، الحال التي يظهر فيها الحواجز والتي تتصل بالضمائر، إذ على المتكلم أن يخلق **"اتصالا"** بينه وبين المستمعين فكلامه إذًا إيصالي، لأن التواصل بهذا المفهوم مشاركة (Communion).[1]

الواضح من المفاهيم التي عرضها كل من "بول فولكيه" و"ريمون سان جون" أنّ مصطلح التواصل لا يستقر على مفهوم ثابت، بل يأخذ معاني كثيرة مجردة ونفسية، وتركيزهما على طرفي العملية التواصلية (متكلم وسامع) ضرورية لحدوث التواصل وتحقيق الهدف.

2.1.3 قاموس اللسانيات والفلسفة لــ"جورج مونان":

يضـــــع "جـــــورج مونـــــان" مصـــــطلحات مقابلـــــة لمصـــــلح التواصـــــل كـ"سبرينطيقا"(Cybernetique)،ومعلوماتية(Informatique) وبنية(Structure) فـ"كلمة التواصل إذًا هي كلمة من هذه الكلمات، اللسانيون لا يدّعون أن هذه الكلمة أو المفهوم الذي ارتبط بها هي بالمقابل عن ملكهم الخاص، لأنّ هذا المفهوم هو مفهوم مركزي في اللسانيات البنيوية خاصة عندما تكون وظيفة كذلك (Fonctionnelle).[2]

ولقد أدرك "جورج مونان" أن الوظيفة الأساسية للغة هي التواصل، وهو بذلك يتفق مع أقرانه على هذا البعد الأساسي، يقول "جورج مونان":

"C’est parce qu’ils posent que la fonction de base du language est sa fonction de communication que les linguistiques ont pris de conscience de l’importance du concept".[3]

كما يفرض "التواصل" بعدا فلسفيا خاصا به، فهو لا يختص بالدراسات اللغوية أو اللسانية فقط كما يرى "جورج مونان"، لأن "التواصل" يأخذ مشروعية التواجد في الحقول المعرفية الأخرى، شأنه شأن المصطلحات الأخرى، فهو ليس ذكرا على التحديد اللساني.

---

(1) Dictionnaire de la langue philosophie. PuF.1974 Paris P : 104

(2) George Mounin, Linguistique et philosophie, PUF. Paris 1975. P : 15-16

(3) Ibid. P : 16

3.1.3 قاموس معجم اللسانيات "جون ديبوا":

ويقترح "جون ديبوا"(J.Dubois) في "معجم اللسانيات" تعريفين:[1]

الأول: التواصل (**La Communication**): تبادل كلامي بين المتكلم الذي ينتج لفظا أو قولا موجها نحو متكلم آخر يرغب في السماع أو إجابة واضحة أو ضمنية (Explicite Ou Implicite) وذلك تبعًا لنموذج الملفوظ الذي أصدره المتكلم (Le Sujet Parlant).

الثاني: التواصل حدث، أو نبأ ينتقل من نقطة إلى أخرى، بواسطة مرسلة عددا من الأشكال المشفرة، إضافة إلى المرسل (المتكلم) والمرسل إليه (المستمع)، يركّز "جون ديبوا" على عنصر آخر من عناصر العملية التواصلية هو الرسالة أو المرسَلة.

4.1.3 معجم اللسانيات لمولس دي نويل:

يعرّف "مولس دي نويل"(A.Moles De Noel) "التواصل" على أنه عملية جعل فرد أو مجموعة متموضعة في عنصر نقطة (س) يشارك في التجارب التي ينشطها محيط آخر في عهد آخر في نقطة (ص) من مكان آخر مستعملا عناصر المعرفة المشتركة بينهما.[2]

الواضح أنّ "مولس دي نويل" ركز على "التواصل" بوجهيه المنطوق والمكتوب خاصة إذا كانت هذه المشاركة بين عهدين، وللشفرة حضور بين طرفي العملية التواصلية، كما أنّ استعمال عناصر المعرفة المشتركة بين المتكلم والمستمع أو النّاص أو القارئ أمر ضروري..

2.3 عند اللغويين:

1.2.3 دي سوسير:

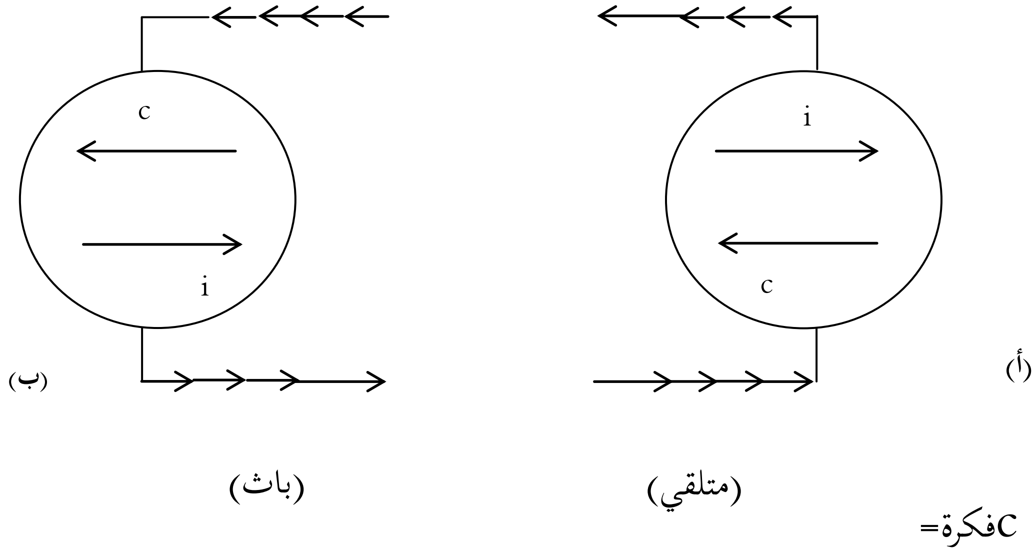
لقد وصف اللّغويون العملية التواصلية من خلال تعريفهم للغة، ف"دي سوسير"، تنهض نظريته على نزعة اجتماعية، حيث كان يرى التواصل ضربا من الحدث الاجتماعي. الملاحظ في فعل الكلام

---

(1) J. Dubois et autres, Dictionnaire de Linguistique et communication P : 35

(2) ينظر: عبد الجليل مرتاض، اللغة والتواصل، دار هومَة، الجزائر، 2003، ص 74.

كما تقوم نظريته، نتيجة لذلك على وجود شخصين اثنين على الأقل (باث ومتلقي) لسريان تيار الكلام على النحو التالي: [1]



فكرةC=

i= صورة صوتية

الفكرة هنا هي "المدلول"، أما الصّورة الصوتية فهي "الدّال"، وكان هذا المفهوم أساسا قامت عليه البنية الألسنية، ومن الواضح أن هناك جهازا ذكائيا وميكانيكيا ينهض بإنجاز مثل هذا التواصل بين طرفين اثنين فهناك:

الدماغ: وهو الذي يبث أصلا الفكرة العارضة أو المقررة إلى الحنجرة آمرا إياها بالنطق على نحو معلوم، فيكون (أ) مركبا من جهاز معقد هو: [2]

- الدماغ الذي يحضر الرسالة
- الفم (اللسان والحنجرة وماله بصلة) الذي ينقلها بالموجات الصوتية على نحو بعينه (جهارة، خفوت، صراخ...).

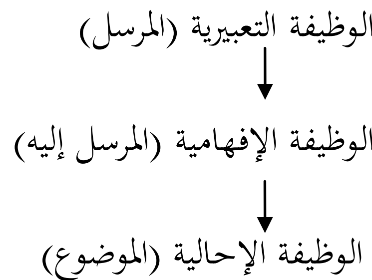
([1]) ينظر: فرديناد دي سوسير، محاضرات في الألسنية العامة، ص:25.

([2]) ينظر: عبد المالك مرتاض، نظرية التبليغ بين الحداثة الغربية والتراث العربي، مجلة تجليات الحداثة، معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة وهران، العدد 1 1992، ص :15.

على حين أن المتلقي (ب) إذا لم يشأ الإجابة، فإنه يمكن أن يجتزئ بجهاز السمع فقط لاستقبال رسالة الباث (أ) لكنه إن شاء الحوار فإنه سيأتي الصنيع نفسه باستخدام الجهاز البثي والمتمثل خصوصا في الموجة الصوتية لتبليغ سمع (أ).[1]

2.2.3 كارل بوهلر:*

يتجاوز "كارل بوهلر" (**Karl Buhler**) نموذج "فرديناند دي سوسير" المحصور بين عنصري (الباث/المتلقي) إلى ثلاثة عناصر أساسيّة يقوم عليها الفعل التواصلي، وهي المرسل، المرسل إليه والمحال إليه أو الموضوع، وتتولّد من هذا النموذج ثلاث وظائف تتحدّد للغة هي: الوظيفة التعبيرية، الوظيفة الافهامية والوظيفة الإحالية، وتعمل هذه الوظائف في شكل تراتبي كما هو مبين في الشكل الآتي:[2]



3.2.3 جاكبسون:**

جاء "رومان جاكبسون" إلى هذه النظرية الثلاثية الأطراف، فأضاف إليها وفصل ما كان موجزا، فغدت سداسية العلاقات، حيث قسم وظائف اللغة إلى ست خانات، وكل خانة تشير إلى وظيفة معينة، فالانفعال مرتبط بالمتكلم (الوظيفة الانفعالية). فقد يكون عرضه للزجر والأمر والنهي والتوجيه (الوظيفة الإفهامية).

أما الشعري فمثواه الإرسالية (الوظيفة الشعرية)، ويتحدد المربع من خلال الإحالة على السياق (الوظيفة المرجعية)، ويرتبط السنن باللغة الواصفة(الميتالغوية).

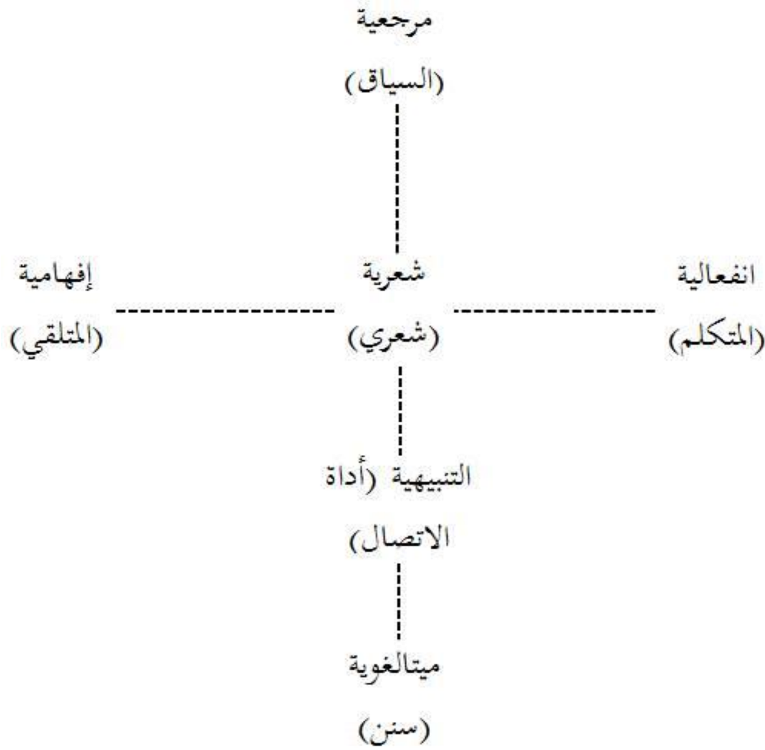
([1]) ينظر: عبد المالك مرتاض، نظرية التبليغ بين الحداثة الغربية والتراث العربي، ص: 16.

*كارل بوهلر (1918،1963) عالم نفسي ولغوي ألماني، ينظر:https ://w.w.w.Wikepedia.org

([2]) ينظر: المرجع نفسه،ص:17

** جاكبسون (1982.1896) عالم لغوي وناقد أدبي روسي من رواد المدرسة الشكلية الروسية، ينظر:https :// w.w.w.Wikepedia.org

وقد لا تتجاوز الواقعة الإبلاغية، حدود الحفاظ على حالة التواصل خلال التأكيد على أداة الاتصال (الوظيفة اللغوية)، وهذه الوظائف الست أشار إليها "جاكبسون" من خلال صياغته النموذج التواصلي: [1]



ويمكن التفصيل في هذه الوظائف: [2]

1. الوظيفة التعبيرية (La Fonction Expressive)

ويطلق عليها كذلك اسم "الوظيفة الإنفعالية (Emotive)، فهي تحدّد العلاقة بين المرسل والمرسلة، وموقفه منه، فالمرسلة في صدورها تدلّ على طابع مرسلها، وتكشف عن حالته عمّا تحمله من أفكار تتعلق بشيء ما (المرجع)، يعبّر المرسل عن مشاعره حياله، وبإمكان المرسلة أن تقدّم انطباعا عن انفعال معين سابق أو كاذب.[3]

(1) J. Dubois et autres : Dictionnaire de Linguistique PuF. Paris P19

(2) R. Jakobson : Essais de Linguistique générale. Les Fondements du Language Ed. Minuit, 1963. P : 214

(3) ينظر: فاطمة الطّبال بركة، الأنظرية الألسنية عند رومان جاكبسون – دراسة ونصوص- المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، (ط1)،1993،ص:66

2. الوظيفة الانتباهية(La Fonction Phatique):

يمتلك المتكلم أنماطا لغوية مهامها تزويد المتلقي بقيم إخبارية من جهة، والمحافظة على سلامة جهاز الإتصال والتأكّد من مرور سلسلة الرسائل الموجهة إليه على الوجه الذي أرسلت إليه من جهة أخرى، لذا يقرّ "ياكبسون" أنّ معظم الرسائل توظّف في الجوهر لإقامة التواصل وتميديده أو خصمه، وتوظّف لإثارة المخاطب والتأكّد من أن انتباهه لم يرتخ.[1]

ويدخل ضمن هذه الوظيفة الجمل الأمرية، وهي توجد كما يستدلّ من اسمها في الجمل التي ينادي بها المرسل إليه لإثارة انتباهه أو ليطلب منه القيام بعمل من الأعمال.[2]

3. الوظيفة المرجعية (La Fonction Référentielle):

ويطلق عليها كذلك اسم "المعرفية (Cognitive) والإحائية (Demotive)،وتقوم بتحديد العلاقات بين المرسلة أو الشيء أو الغرض الذي ترجع إليه، لذا عدّت أكثر وظائف اللغة أهمية في عملية التواصل ذاتها، بالمقارنة مع الوظائف الأخرى.

4. وظيفة ما وراء اللغة (La Fonction Métalinguistique):

أو الوظيفة الماورائية تظهر في المرسلات التي تكون اللغة نفسها مادة دراستها؛ أي تقوم على وصف اللغة وذكر عناصرها وتعريف مفرداتها. [3] فعندما يشعر طرفي العملية التواصلية (المرسل/المرسل إليه) أنّهما بحاجة إلى التّأكيد من الإستعمال الصحيح للسنن الذي يوضح رموزه فيها، فإنّ كلاهما سيركّز عليه، لأنّه يمثّل وظيفة "ميتالسانية" أو "وظيفة الشرح"، ويمثلها "بومزبر" بتساؤل المستمع: إنني لا أفهمك ما الذي تريد قوله؟" أو بأسلوب رفيع "ما تقول؟ ويسبق المتكلم مثل هذه الأسئلة فيسأل: "أتفهم ما أريد قوله؟".[4]

(1) ينظر: الطاهر بومزبر، التواصل اللساني والشعرية (مقاربة تحليلية رومان جاكبسون)، الدار العربية للعلوم، ناشرون،بيروت، (ط1)،2007،ص:35

(2) ينظر: فاطمة الطبال بركة، النظرية الألسنية عند رومان جاكبسون – دراسة ونصوص-،ص:67

(3) المرجع نفسه، ن.ص

(4) ينظر: الطاهر بومزبر، التواصل اللساني والشعرية (مقاربة تحليلية رومان جاكبسون)،ص: 36

5. وظيفة إقـامة الإتصال (Fonction Phatique):

تسعى هذه الوظيفة إلى إبقاء التواصل مع طرفي العملية التواصلية، حيث يعمد المرسل إلى استخدام ألفاظ مثل "ألـو" "نعم" "ها" وغيرها، فبالرّغم من عدم امتلاكها معنى أو هدف معيّن فإنّ مهمّتها الأساسية هي إبقاء الإتصال، وأوّل من استحدث مصطلح "إقامة التواصل" هو العالم اللغوي "مالينيفسكي"، للدّلالة على أهمية اللسان الذي يقوي وشائج الصّلة بين النّاس عبر تبادل الكلمات البسيطة دون أن تكون النّية منه تبادل الأفكار.[1]

6. الوظيفة الشّعرية (Fonction Poétique):

أو "الجمالية"، ويحدّدها "ياكبسون" بأنّها إحدى الوظائف الأساسية للغة، وموجودة في كلّ أنواع الكلام، فمن دون الوظيفة الشعرية تصبح اللغة ميّتة وسكونيّة تماما، فالوظيفة الشعرية تدخل دينامية في حياة اللغة. وهي لا تميز الشعر فقط، بل وكل الفنون التي تهيمن فيها الوظيفة الجمالة كالرسم والموسيقى...[2]

وبيّنت بعض الدراسات أن "التواصل" في لحظة معينة ليس ثابتا كما يوحي بذلك نموذج "ياكبسون" حول "وظائف اللغة"، فالجملة عندهم ليست كلمات بقدر ما فعل لغوي، وموقف إزاء واقع معين، وتنقل تجارب المتكلمين والتحليل الملائم لها هو الذي يقدر على تبيان مقدار هذه الحركية التي تسهم بها في عملية التواصل اللغوي.[3]

4.2.3 كيربرا أورو كيشيوني:*

في محاولة مقاربتها لفعل "التواصل"، اعتبرت"أوروكيشيوني"(Kerbar Oreochioni) أنّ الكلام لا يأخذ قيمته الحقيقية إلّا في تعالقه بعناصر المحيط الذي ولد فيه أو بالسياق و بنوعيه اللغوي أو غير اللغوي، وكذا مختلف إكراهات المحيط التخاطبي، والعوامل الثقافية والأيدولوجية، فكل هذه العوامل

([1]) ينظر: المرجع السابق،ص:67

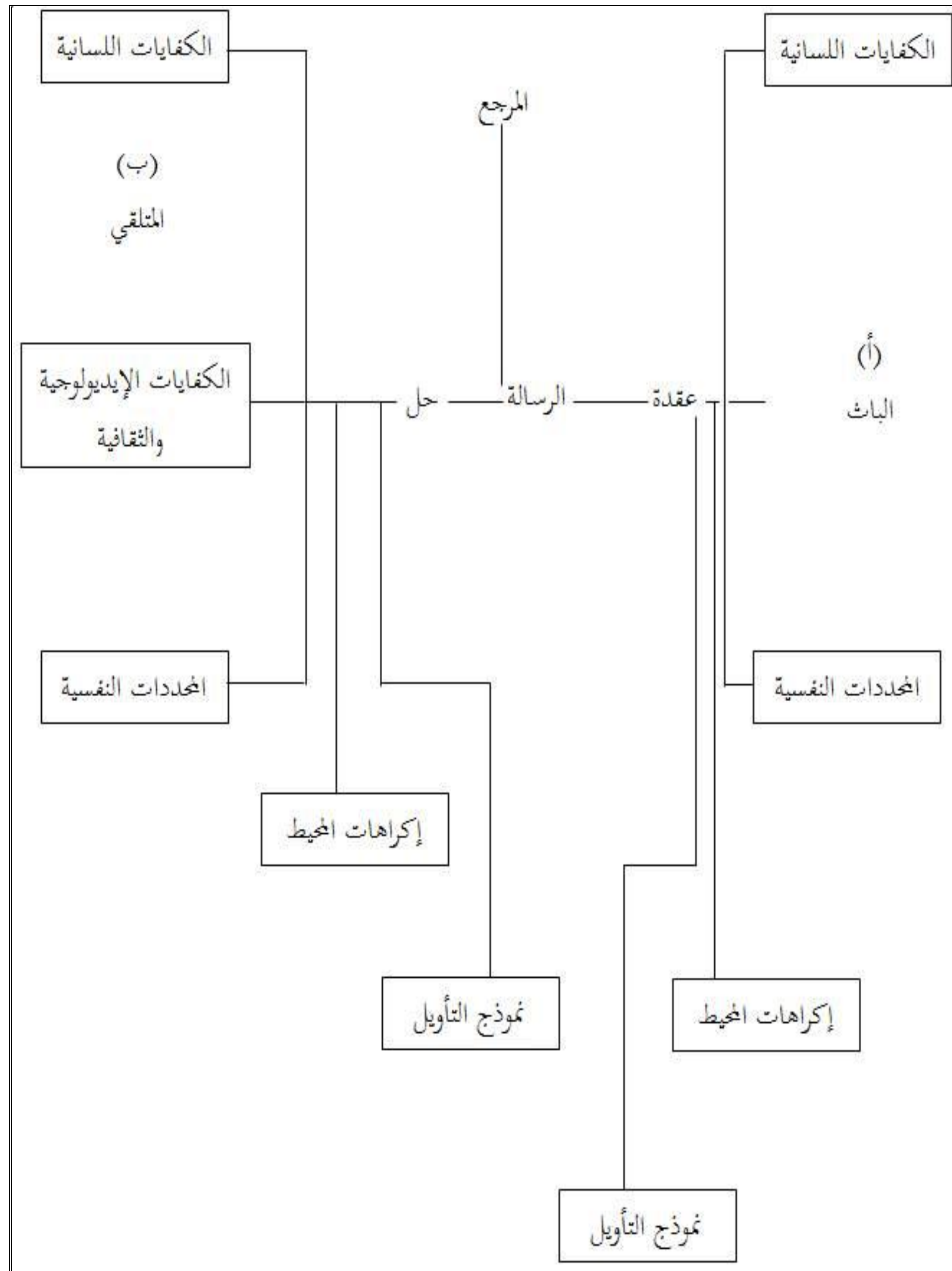
([2]) ينظر: فاطمة الطبال بركة، النظرية الألسنية عند رومان جاكبسون – دراسة ونصوص–،ص:75

([3])ينظر:خليفة بوجادي،في اللسانيات التداولية،ص:61

*كيربرا أورو كيشيوني، عالم لغوية فرنسية من أشهر كتبها: L'enonciation de la subjectivité dans le Language والمترجم إلى "فعل القول من الذاتية في اللغة" وكتاب" Implicite" (المضمر).https :// w.w.w.Wikepedia.org

مؤثرة في فعل "التواصل"، وبهذا الطرح تجاوزت الباحثة نموذج "السنن"(MODEL CODE) إلى نموذج الاستدلال الذي يضم مختلف الأبعاد العملية التواصلية لسانية وغير لسانية.[1]

ولعل الخطاطة التي وضعتها الباحثة تختزل نموذجها:[2]



([1]) C. Kerbar Oreochioni : L'enonciation de la subjectivité dans le Language Ed : Armand colin, 1986, p: 19

([2]) IBID,P:20

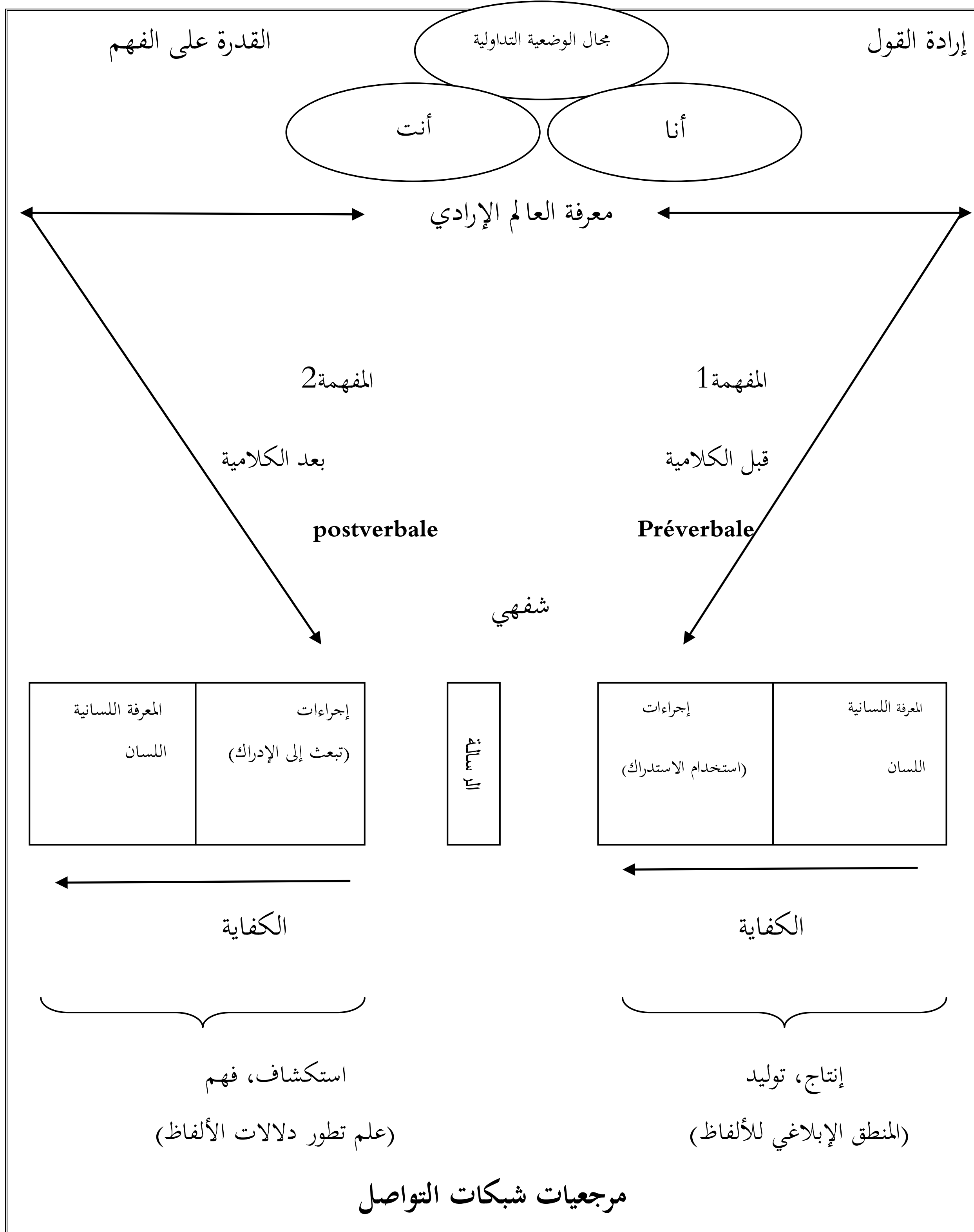
5.2.3 برنار بوتيي:*

التّواصل عند "برنار بوتيي"(**Bernar Pottier**) هو عملية تفاعل وتفاهم بين المتكلم والمتلقي، يتوفر فيهما إرادة القول والفهم (pouvoir dire _ pouvoir comprendre)، وعلى ملكة إدراك العلم الحقيقي والخيالي للمتكلم، أو كما يسميه "برنار" بـ "المستوى قبل الكلامي" الذي يعدّ أساسا في انطلاق الإجراء الحواري.

ولعل الخطاطة التي وضعها الباحث تختزل نموذجه: [1]

* برنار بوتيي (1924-) عالم لغوي فرنسي، من أشهر كتبه Théorie et analyse en linguistique "نظرية وتحليل في اللسانيات" وSémantique générale "السيميوطيقا العامة".ينظر: https ://w.w.w.Wikepedia.org

([1]) ينظر: محمد نظيف، الحوار وخصائص التفاعل التواصلي، إفريقيا الشرق، المغرب، (ط1)، 2009،ص:49



مرجعيات شبكات التواصل

المتكلّم عند "بويتي" يتميز بالقدرة أو الكفاءة اللغوية وبمكلة الإدراك، فالأولى تسمح له بإنتاج عبارات كلامية، أمّا الثانية فمهمّتها إدراك العالم الحقيقي والخيالي، ويعد المستوى قبل الكلامي

(préverbale) العامل الأساسي في تشكيل المرسلة وتقديمها، فطبيعتها وفحواها مسؤولان على إتمام المشاركة الحوارية بين المتكلم (الأنا) والمخاطب (الأنت) على أن يجمع الطرفان قواسم مشتركة في المعرفة الخارجية، أو كما يطلق عليها المجال المعرفي، ويستند المتكلم في الحوار على مرجع يمكن أن يكون خياليا أو حقيقيا شريطة أن يكون مقبولا لدى "السامع".(1)

ويولي "بوينتي" أهمية للكفاية اللسانية للمتكلم (الأنا) وكفاية الإستقبال للطرف الآخر، وهذه الأخيرة لا تقل أهمية عن الأخرى، ونلحظ في مخطط "بوينتي" غياب عنصر "السنن " لإدراكه أنّ مرحلة إنتاج وتوليد الرسالة التي تجمع العالم الخارجي أو الإدراك المعرفي بـ "الكفاية اللسانية"، هي مرحلة العقد السنني للرسالة.(2)

ويبدو من المخطط أن"بوينتي" قد استغنى عن الإشارة إلى الكفايات الأخرى كالكفاية الثقافية والأيديولوجية وعوّضها بمصطلح "إجراءات استخدام الإدراك" وهي إجراءات تفعل الكفايات من أجل إنتاج وتوليد الإرسالية.

6.2.3 هابرماس:*

مع"هابرماس"(**J. Hhabermas**) أصبح "التواصل"يشكل نظرية علمية فلسفية مستقلة بذاتها، بعكس النظريات الأخرى التي حصرت التواصل في مجال واحد؛ وهو تبادل المعلومات وطرائق إيصالها وتبليغها، كما أنّه يولي الأفعال التواصلية اهتماما كبيرا ويلح على ربطها بمبدأ "الافهام"، وفي هذا السياق يقول: "هي تلك الأفعال التي تكون فيها مستويات الفعل بالنسبة للفاعلين المنتمين إلى العملية التواصلية غير مرتبطة بحاجيات السياسة، بل مرتبطة بأفعال التفاهم".(3)

وجعل التأثير شرط أساسي في إنجاح العملية التواصلية أو الفعل التواصلي، وانعدامه يؤدي الى نتيجة حتمية هي فشل التواصل، وفي هذا المضمار يقول: "إنّ نشاط التفاهم المتبادل يخضع لشرط

(1) ينظر: المرجع السابق، ص:52

(2) ينظر: المرجع نفسه،ص:51

* يورغن هابرماس (1929-) منظّر ألماني في الفلسفة وعلوم الإجتماع، وأشهر كتبه theorie de Lagir communicationnel

P : 9

(3) J. Harbermas, theorie de Lagir communicationnel. Trad. J. M. Ferry, Paris. T1. P : 9

أساسي به يحقق المعنيون مشروعا لاتفاقهم المشترك... فهم يسعون لتفادي خطرين: يتمثل أولهما في فشل التفاهم وسوء الفهم، بينما يتمثل الثاني في فشل مشروع الفعل والإخفاق التام، فتنحية الخطر الأول شرط لابد منه لتلاقي الثاني".[1]

ومن شروط تحقيق الاتفاق ونجاح العملية التواصلية أنْ يتضمن الخطاب أو الكلام حججا، فإذا خلت "المرسَلة" من الحجاج أو كما يسميه "الإجماع العقلاني" لا يتحقق الاتفاق فالهدف من الدخول في التحاجج هو التوصّل إلى التواصل الكامل. كما يؤكّد على أن جميع العمليات الإجرائية المتجسدة في الممارسة الحجاجية عقلانية تواصلية، وما فعل التواصلي القوي إلا انعكاس للفعل التواصلي العقلاني، فطبيعة التخاطب من خلال هذا الطرح تتيح لطرفي العملية التواصلية فرصة إمكانية النقد ـ نقد الادعاءات ـ ما في الفعل التواصلي الضعيف.[2]

وشكّل كتابه "الوعي الأخلاقي" و"الفعل التواصلي" (MORALE ET COMMUNICATION) منعطفا بارزا في تفكيره حيث عالج فيه قضية الأخلاق وأبعادها التواصلية، أو ما اصطلح عليه "أخلاقيات النقاش"،و نظرا لاعتماده في الدراسة على الحجة والبرهان، وصف عمله على أنه تداولي فلسفي. [3]

7.2.3 سيمون ديك (Simon Dick):

يعدد"سيمون ديك" أبعاد العملية التواصلية ويجعلها خمسة أبعاد مختلفة وهي:[4]

البعد العلائقي: حيث يتفاعل المشاركون في العملية التواصلية من خلال تغيير معلوماتهم وفق العلاقات التي تربطهم.

البعد التوجيهي: قد يكون فيه الفعل المطلوب عملا أو قولا.

البعد الإخباري:أن يقوم المتكلم بالإخبار.

(1) ibid.p:12

(2) J. Habermas. Vérité et justification, trad Rainer Rolshit Paris 2001, P : 96

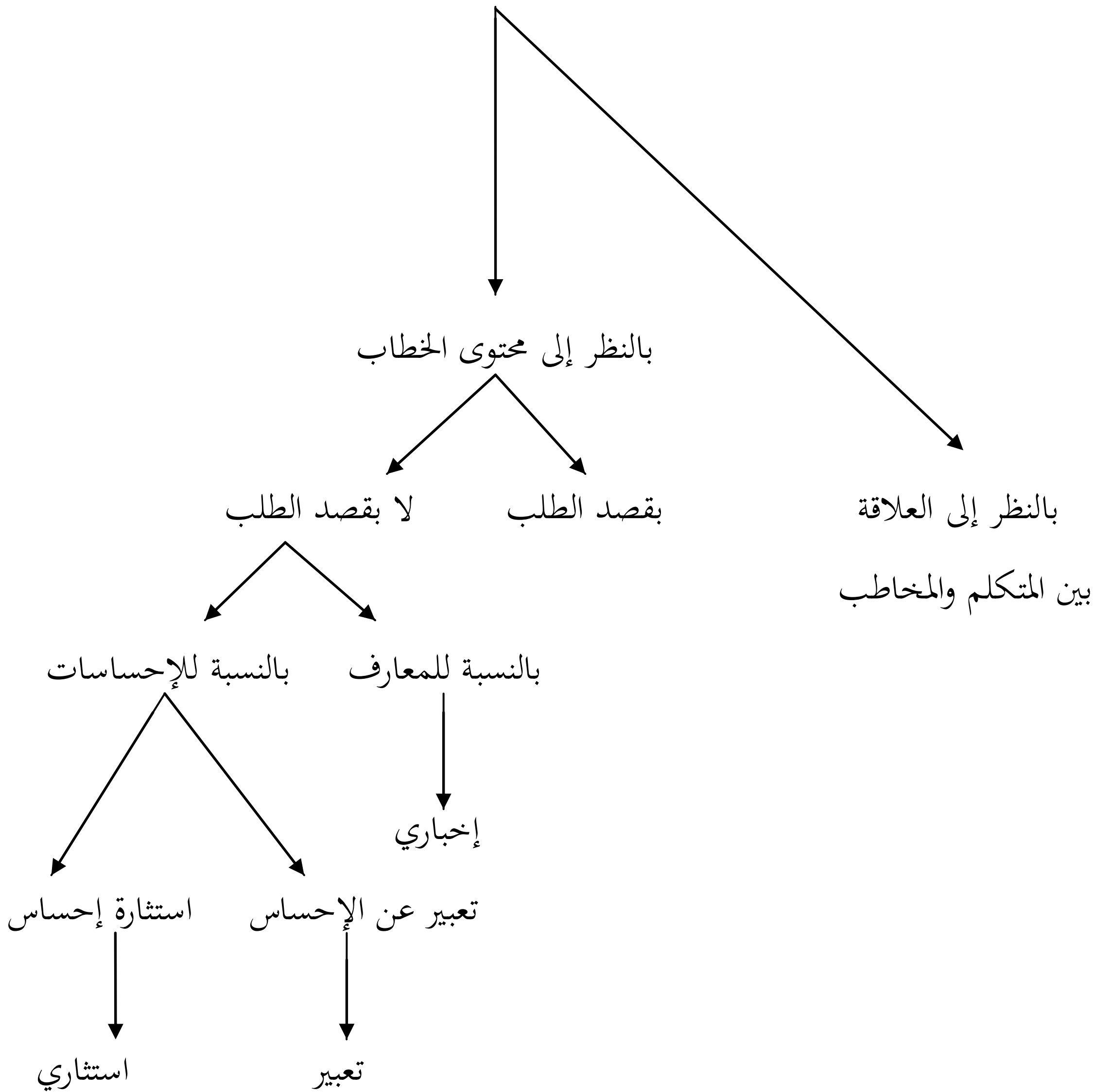
(3) ينظر: نور الدين إقاية، الحداثة والتواصل، بيروت، 1991، ص 206.

(4) ينظر: أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية، دار الكتاب الجديدة المتحدة،بيروت، لبنان،(ط1)،2010ص:47

البعد التعبيري: كأنْ يعبّر المتكلم عن أحاسيسه.

البعد الاستشاري: ويتعلق بالاستشارات النابعة عن الاحساس .

وتجتمع هذه الأبعاد الخمسة لتقوم بوظيفة التواصل، ويمكن توضيح العملية التواصلية كما يراها "ديك" في الخطاطة الآتية:[1]



(1) المرجع السابق،ص:52

إذن فَلِكيْ يتمّ التواصل اللغوي الناجح بين المتكلم والمخاطب، يتطلب الأمر إحداث تغيير في المعلومات المتداولية بينهما، وضرورة المعرفة المشتركة بين المتكلم والمخاطب في إحداث التواصل اللغوي، ويجعله "سيمون ديك" قسمين هما:[1]

التواصل اللفظي: أي التفاعل اللغوي الذي يتم بين المتكلم والمخاطب بواسطة اللغة ويكون خطابا منطوقا أو مكتوبا، حوارا أو محاضرة.

التواصل غير اللفظي: أي التفاعل الحاصل بين المتكلم والمخاطب بواسطة عوامل غير لفظية وتكتسي جانبا في التواصل اللغوي المتمثلة في حركات الجسد والتعبيرات الوجهية والمظاهر الخارجية والإشارات الجسدية المصاحبة للكلام أثناء التواصل اللغوي، وتتمثل الأشكال التواصلية غير اللفظية فيما يلي:

(أ) الإشارات الجسدية المصاحبة للكلام أثناء التواصل اللغوي.

(ب) المسافة التواصلية بين المتكلم والمخاطب.

(ج) الإيقاعات الصوتية المصاحبة للكلام أثناء التواصل اللغوي.

وافترض "سيمون ديك" عددا من الطاقات المكونة للقدرة التواصلية في إطار مشروع علمي يستهدف إقامة نموذج تمثيلي لمستعملي اللغة الطبيعية، وتمثل الطاقات المفترضة في خمس طاقات على الأقل: [2]

(أ)الطاقة اللغوية المسؤولة عن إنتاج وتأويل العبارات اللغوية.

(ب) الطاقة المعرفية المسؤولة عن تخزين المعلومات وتنظيمها.

(ج) الطاقة المنطقية المسؤولة عن استخلاص معلومات جديدة من معلومات معطاة .

(د) الطاقة الإدراكية المسؤولة عن إدراك المحيط واكتساب المدركات واستعمالها.

---

(1) ينظر: أحمد المتوكل، اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية،ص:26

(2) ينظر: يحيى بعيطيش، نحو نظرية وظيفية للنحو العربي، أطروحة دكتوراه،مقدمة " لقسم اللغة العربية وآدابها، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2005-2006ص:286.

(هـ) الطاقة الاجتماعية المسؤولة عن مراعاة الأوضاع الاجتماعية لكل من المتكلم والمخاطب أثناء التواصل اللغوي بينهما.

4. عند العرب المحدثين:

1.4 طه عبد الرحمان:

يميّز "طه عبد الرحمان" ثلاثة معان للتواصل:[1]

الأوّل: نقل الخبر ويصطلح على تسمية هذا النقل بـ "الوصل".

الثاني: نقل الخبر مع اعتبار مصدر الخبر الذي هو المتكلّم، واصطلح على هذا النوع من النقل اسم "الإيصال".

الثالث: نقل الخبر مع اعتبار مصدر الخبر الذي هو المتكلم، ومقصده الذي هو المستمع معا، وسمّى هذا النوع من النقل باسم "الإتصال".

ويربط "طه" العملية التواصلية بالحجاج، فلا تواصل باللسان من غير حجاج، ولا حجاج بغير تواصل باللسان، وتتولّد من هذه الرّؤية ثلاثة نماذج للتواصل:[2]

1. **النموذج الوصلي**: وفيه يجرد الحجاج من الوظائف الخطابية، وذلك بمحو آثار المتكلم والسامع (أسماء، إشارات، ضمائر)، ويكتفي بالمضمرات الخطابية بوجود معارف مشتركة بين المستدلين بها، ويربط هذا النموذج الوصلي للحجة بتصور ("شانون" و"ويفر")* والذي يصلح إلّا في المواصلات ولا يجدي في العملية التواصلية التي تحدث في الخطاب الطبيعي.

2. **النموذج الايصالي**: وفيه يأخذ بعين الإعتبار قصد المتكلم وارتباطه باللغة التي تؤدي وظائف تختلف باختلاف السياقات والمقامات المتنوعة، أي لا يقبل تجريد الفعالية الخطابية كما لا يولي أهمية

---

(1) ينظر: طه عبد الرحمان، التواصل والحجاج، مطبعة المعارف الجديدة،(ط1)، الرباط، المغرب،1994،ص:05

(2) ينظر:المرجع نفسه،ص:06-21

* وضع هذا النموذج سنة 1949 من قبل المهندس "كلود شانون" والفيلسوف "واين ويفر"، ويركّز على المرسل والترميز والرسالة وفك الترميز والمتلقي، ولوحظ قصورا في هذا النموذج متمثلا في انعدام الفهم الإجتماعي أثناء التفاعل التواصلي، بمعنى أنه لا يصلح في العملية التواصلية الطبيعية.

للمستمع إلّا أن يتحول إلى متكلم. ويربط "طه عبد الرحمان" هذا النموذج بنظرية "الأفعال الكلامية" التي وضع أصولها "أوستين" وقام بناءها "سيرل"، ووسّع مجالها "غرايس".

3. **النموذج الإيصالي**: وتكون الحجة فيه دليلا يأخذ بالفعالية التخاطبية في تعلقها بالمتكلم والمستمع، وينشأ بينهما ازدواج في مختلف مستويات الخطاب: ازدواج في القصد، ازدواج في التّكلم وازدواج في الإستماع وازدواج في السياق، ويربط هذا النّموذج بنظرية الحوار.*

وفي معرض حديثه عن "المجال التداولي" واختلافه عن "المجال التخاطبي" يرى "طه عبد الرّحمان" أنّ المجال التداولي غير مقيد بزمن استعمال الأقوال والمعارف وبعدد العناصر التداولية المستعملة، في حين أنّ المجال "التخاطبي التواصلي" مجال خاصّ ومحدود، أو مقيد بزمن الاستعمال أو الوقت وبعدد العناصر التداولية. إنّ رؤية"طه عبد الرحمن" تجعل من " المجال التخاطبي" أخصّ من "المجال التداولي" لأنه محدود بطرف خاص والمتمثل في "المقام"، أو الظروف التي نشأ التعبير في وسطها، كالمرسل والمرسل إليه، وزمان التواصل، ومكانه والقصد التواصلي للمرسل وللسنن المشتركة بين طرفي الخطاب (المرسل، المرسل إليه)، في حين أنّ المجال التداولي لا يقف عند مقام محدد للخطاب، وإنّما يشمل كل مقامات الكلام في جميع أزمنتها وأمكنتها.(1)

ويؤكد "طه" أن اللغة من أهم المنظومات التي تعبر عن الفكر، وأقوى الأدوات التي يستخدمها "المتكلم"لتبليغ مقاصده إلى "المستمع" والتأثير فيه بحسب هذه المقاصد وبقدر ما تكون الأسباب اللغوية مألوفة للمخاطب، وموصولة بزاده في الممارسة اللغوية فهما وعملا، يكون التبليغ أفيد وأشدّ.(2)

وفي حديثه عن قواعد ضبط المجال التداولي الإسلامي، انطلق "طه" من مبدأ عام تتفرع منه جميع القواعد التداولية الضابطة لمجال الممارسة التراثية أسماه "مبدأ التفضيل" وصاغه على الوجه التالي:

---

* هي نظرية جديدة ظهرت في ثمانينيات القرن الماضي، وبدأ الإشتغال بها في قطاعات مختلفة نحو المنطق الرّمزي، المنطق غير الصوري، ونظرية الحجاج وحركة التفكير النقدي، وفلسفة اللغة وفلسفة التواصل.

(1) ينظر: عبد الرحمان طه، تجديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي الغربي، الدار البيضاء، المغرب،(ط1)1992،ص:246.245

(2) ينظر : عبد الرحمان طه، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي الغربي، الدار البيضاء، المغرب،(ط2)،2000،ص:200.

"ليس في جميع الأمم، أمة أوتيت من صحة العقيدة، وبلاغة اللسان وسلامة العقل، مثلما أوتيت أمة العرب تفضيلًا من الله"[1] ،أما عن قواعد الأصل اللغوي فيعدده في الكيفيات التي تكون بها اللغة العربية، " أبلغ " من سواها وهي:[2]

(أ) **قاعدة الإعجاز**: أي التسليم بأن اللسان العربي استعمل في القرآن الكريم بوجوه من التأليف، وطرق في الخطاب، يعجز الناطقون عن الإتيان بمثله دائما.

(ب) **قاعدة الإنجاز**: أي الالتزام بإنشاء الكلام جاريا على أساليب العرب وعاداتهم في التبليغ.

(ج) **قاعدة الإيجاز**: أي اختصار في العبارة وتأدية المقاصد.

2.4 عمر مهيبل:*

يرى "عمر مهيبل" أن مفهوم التواصل مشتق من أصوله اللغوية المحددة في المصطلح (continuite) الذي يعني الاستمرار، والذي يضمن مفهوما أخر يتلامس معه وهو مفهوم الاتصال (communication)أما اللاّتواصل (discontinuité) فهو يشير إلى الانقطاع والانفصال.[3]

ويرى "عمر مهيبل" أنّ "الفلسفة المعاصرة" أعطت للمصطلح "التواصل" أهمية بل جعلته قطب الرحى لأنّه يدخل في صلب البناء الفلسفي، والظاهر أنّ الباحث متأثر بالفلسفة الوضعانية (Positvisme Logique) والبنيوية (Structure) والتأويلية كما هو الحال عند "هابرماس"، وقد عكف "عمر" على دراسة إشكالية التواصل في الفكر الغربي المعاصر وخاصة عندما ظهرت إشكالية "التواصل" و "اللاتواصل" أو الانقطاع والانفصال، فهو يرى أن البنيوية شعرت بأهمية جدلية التواصل و اللاتواصل خاصة بعد الحدث الذي أخذته فلسفة "بشلار" مع بداية القرن العشرين بتأكيدها

([1]) المرجع السّابق،ص:95.

([2]) المرجع نفسه ص: 99.

* عمر مهيبل مفكر وكاتب جزائري، نال شهادة الماجيستير من جامعة دمشق حول "البنيوية في الفلسفة الغربية المعاصرة"، ثم الدكتوراه حول "إشكالية التواصل في الفلسفة الغربية المعاصرة" وله عدة مؤلفات وترجمات.

([3]) ينظر : عمر مهيبل، إشكالية التواصل في الفلسفة الغربية المعاصرة، الدار العربية للعلوم بيروت، 2005، ص:18.

على "لا تواصلية المعارف" وانقطاعها عن بعضها البعض، حتى جاءت البنيوية لتثري هذه الجدلية من جديد، بلغة وفهم جديدين.[1]

ويصف "مهيبل" تجربة "باشلار" على أنها نموذج لفلسفة التواصل في جميع مستوياتها، مبررا ذلك بتأكيده على القطيعة "الإبستمولوجية" عند "باشلار" لأن هذه القطيعة كانت بمثابة الحد الفاصل بين نمطين معرفين مغايرين لا تواصل ولا تداخل بينهما.[2]

واستنتج من فلسفة "هيدغر" أن إخضاعه التواصل لفلسفته وبطريقة تأويلية جعل مفهوم التواصل المشاركة في إنتاج التنوع، وإعادة ترتيب العلاقة بين الكائن والزمان، أما عند دراسته لفكر "فوكو" والتي تنبني على فكرة التواصل والانقطاع، انسجاما مع التوجيه البنيوي الذي يجعل "اللاتواصل" في جميع أشكاله، نقطة انطلاق.في تأسيس أي نظام معرفي، فتوصل الباحث إلى نتيجة منظمة داخل بُنى قائمة بذاتها لا تربطها روابط ولا تواصل فيما بينهما.

وحاول "عمر مهيبل" أن يبين أهمية التواصل المعاصر من خلال التصور النقدي لمدرسة "فرانكفورت"، فهو ينظر على أنها الخيط الرفيع الذي يربط أطراف الحداثة بما بعدها، فالجدل القائم يتجلى في تيارين:

- تيار عقلاني متجذر في الثقافة الغربية.
- تيار يرفض مكتسبات العقل التواصلي.

ولخّص "عمر مهيبل" هذا الجدل في:

- انفتاح فكرة التواصل الفلسفية على المجتمع بفئاته المختلفة، وهذا لأنها عبارة عن علاقة حوارية بين فئات المجتمع المختلفة للوصول إلى وعي نقدي لأوضاع المجتمع.
- تبنى نظرية الفعل التواصلي على أساس من رفض مفهوم العقل الأدائي والتقني، لقد أثمرت اهتمامات الكاتب لهذه الإشكالات أعمالا فلسفية وترجمات لنصوص الآخر، كان لها انتعاش في الفكر الفلسفي ونهضته في الجزائر.

([1]) المرجع السابق، ص: 19.

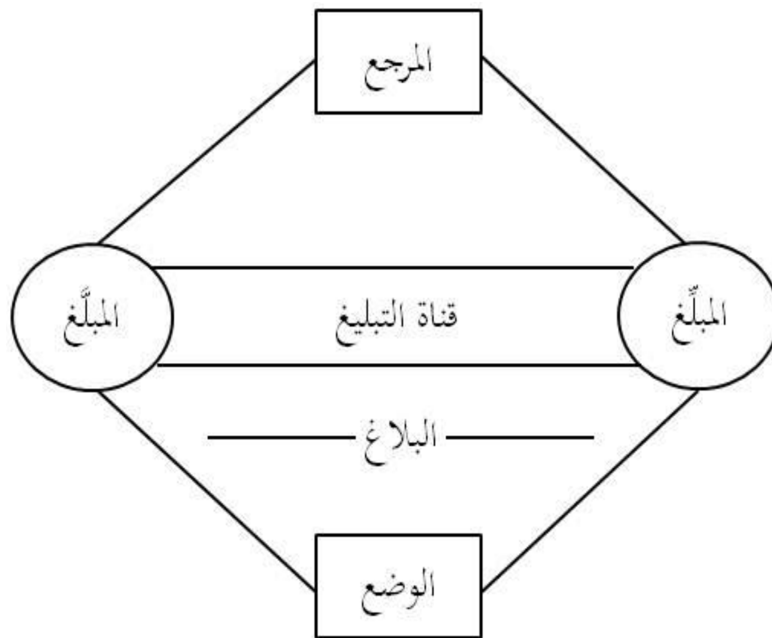
([2]) المرجع نفسه، ص: 23.

3.4 عبد الرحمان حاج صالح:

ينصح "عبد الرحمن حاج صالح" اختيار مصطلح التبليغ بدل مصطلح "التواصل" لما يتميز به المصطلح الأول من فصاحة ودقة دلالته، وكذا بخصوصية تنفرد بها المفردة العربية وهي الإشتقاق فبإمكان إشتقاق أغلب مكونات عملية التبليغ وأبعادها.

والإبلاغ: هو تلقي البلاغ والمعلومات من طرف واحد، والبلاغة هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فن إقناع الآخر والتأثير عليه بالقول الجميل، وبذلك مصطلح التبليغ أنسب من مصطلح التواصل فحسب، بل ليكون أكثر دقة ومرونة من نظيره في اللغات الأجنبية.

وانطلاقا من شمولية هذا المصطلح وديناميته، يقترح "عبد الرحمان حاج صالح" لعملية التبليغ أو دورة التخاطب المخطط التالي:(1)



وفضل استعمال لفظ "اتّصل" كفعل و "اتّصال" كمصدر، خاصة إذا كان مضافا إلى لفظة "علم" للدلالة على المصطلح "علم الاتصال" أو (science de communication) الذي بدأ

استلهم الباحث هذا المخطط وتعريف مكوناته حسبما أشار من:

(1)Francis Vanoye : Expression communication, opcit p :13-194-

يتبلور في السنوات الأخيرة من القرن الماضي، كعلم قائم بذاته، حقله الدراسي ونظرياته وأهدافه وتطبيقاته وتقنياته خاصة في مجال تكنولوجيا الاتصالات الحديثة.[1]

4.4 عبد المالك مرتاض:

يرى "عبد المالك مرتاض" أن العرب اصطنعوا مصطلح "التبليغ" أو "الإبلاغ" مقابل للمصطلح الأوربي (Communication)، وهو في تمثله أدق وأدل على هذا المعنى من مصطلح "التواصل" الذي قد يشيع في كتابات بعض النقاد العرب المعاصرين، ذلك أن المصطلح الأوربي إنما ورد في أصوله التعددية المعنوية، على حين أن معادلة العربي "التواصل" لم يرد في العربية بهذا المعنى، بل هو محايد لا يتعدى أي معنى في غيره، وإنما يقتصر على ما فيه من معنى في نفسه.[2]

والتبليغ عنده يشمل المفهوم العام للوضع والإخبار، أو نقل أمر من أعلى إلى أدنى، أو من أدنى إلى أعلى مستوى مماثل له في الدرجة، وهو لفظ قديم الاستعمال في اللغة العربية، والاسم منه "البلاغ" وقد ورد في القرآن العظيم وصفًا لوظيفة الأنبياء والمرسلين إزاء من أرسلوا إليهم من الأمم ليبلّغوهم رسالات الله.[3]

ويرتبط التبليغ أيضا، في مفهومه العام رسالة توجه من طرف (أ) إلى طرف آخر هو (ب) في حالة انعدام الوسيط، أمّا في حالة وجوده، فإن صورة التبليغ تغتدي مؤلفة، لكي تنجز من ثلاث أطراف:

(أ) باث أو مرسل

(ب) مستقبِل أو على سبيل الوساطة

(ج) مستقبِل آخر على سبيل العلم

---

(1) ينظر: عبد الرحمان حاج صالح، التحليل العلمي للنصوص بين علم الأسلوب وعلم الدلالة والبلاغة العربية،مجلة المبرز، عدد06، الجزائر،1995، ص :16.

(2) ينظر: عبد المالك مرتاض، مجلة الحداثة ع1، ص: 13.

(3) ينظر: المرجع نفسة، ص: 14.

والتبليغ في فكر "عبد المالك مرتاض" نظرية لسانياتية، لا تكتفي بالشبكة المظهرية الرابطة بين "المرسل" و "المتلقي" وما بينهما، ولا يعتري علاقتهما من متعارفات الدلالة الوضعية كالسياق الدال والشفرة المستخدمة بين الطرفين، فنظرته تتجاوز العلاقة الميكانيكية التي تحدث بين اثنين،[1] فهي تتجاوز ذلك إلى الخطاب الأدبي من حيث هو شبكة معقدة من النصوص التي وإلى يومنا هذا، لم يفلح المنظرون في علمنة قراءاتها ولا منهجية تحليلها بشكل متفق عليه، إذ كانت هذه الشبكة النصوصية تشكل نفسها شبكة أخرى من العلاقات المتواشجة، بحيث يستحيل في الوقت الراهن على أي جهاز فك ألغازها وتحليل كل أبعادها، وتفسير كل رموزها إلا تحت إجراءات تأويلية.[2]

5.4 أحمد المتوكل:

لقد استفاد "أحمد المتوكل" كثيرا من أعمال "سيمون ديك" وخاصّة "نظرية النحو الوظيفي"، التي جعل منها مصدر اغترافه وإطارا نظريا لأبحاثه، وتُوِّجت أعماله بنظرية جديدة للنحو العربي كانت بديلا للنظرية النحوية القديمة، التي لم تتجاوز الخطاب اللساني التقليدي.[3]

وفي كتابه "قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، بنية الخطاب من الجملة إلى النص"، انشغل "أحمد المتوكل" بجملة من القضايا من أهمها: قضية التعامل مع التراث الذي خلفها المفكرون العرب القدماء نحاة وبلاغيين وأصوليين ومفسرين، ووضع منهجية علمية لقراءة هذا التراث واستثماره".[4]

ويرى" المتوكل" أنّ نحو الخطاب الوظيفي يحتفظ بمبادئ النظر الوظيفية الأساسية وأهمها المبادئ العشرة التي تقوم عليها "النظرية الوظيفية المثلى"وبالخصوص المبادئ المعرفية الثلاثة التالية:[5]

المبدأ الأول:للغات الطبيعية وظيفةٌ أصلٌ هي وظيفة التواصل وما عداها فوظائف فرعية.

المبدأ الثاني:ليست بنية اللغات الطبيعية مستقلة عن وظيفتها التواصلية.

([1])ينظر: المرجع السابق، ص:13

([2])ينظر: المرجع نفسه، ص: 15 .16.

([3]) ينظر: أحمد المتوكل،قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية ، بنية الخطاب من النص إلى الجملة،ص:16

([4]) ينظر: المرجع نفسه، ن.ص

([5]) ينظر : أحمد المتوكل، مسائل النحو العربي في قضايا نحو الخطاب الوظيفي، دار الكتاب الجديدة المتحدة،(ط1)،2009،ص:8

المبدأ الثالث: تربط بين بنية اللغة الطبيعية، ووظيفتها التواصلية علاقة تبعيّة حيث تحدد الوظيفة خصائص البنية.

والتناول الكافي للقضايا اللغوية في نظر "المتوكل" إلا في خطاب متكامل، "فكل إنتاج لغوي يربط فيه ربط تبعيّة بين بنيته الداخلية وظروفه المقامية على حسب قول المتكلم".

ويرى "المتوكل" أنّ المحرك الأساسي الذي يغذي العملية التواصلية هو المستوى المعرفي للمتواصلين، أو ما سمّاه بـ" المخزون المعلوماتي"حيث ميز بين ثلاثة أنواع من المعارف:[1]

(أ) المعارف المقامية: مشتقة من عناصر المقام الذي تتم فيه عملية التواصل، ومنه فمقام التدريس ليس هو مقام الرياضة، بالتالي فإنجاح التواصل يقتضي مراعاة مقام المتكلم.

(ب) المعارف العامة: تتعلق بمدركات المتخاطبين على اعتبار أن لكل فرد مدركاته الخاصة، فمعارف الأمي في التكنولوجيا قليلة على عكس الإعلامي أو المعلوماتي، وبالتالي فالتواصل يقتضي مراعاة الفوارق بين المتخاطبين.

(ج) المعارف السياقية: يوفرها للمتخاطبين ما تم إيراده في قطعة خطابية سابقة، وهذه المعارف يشترطها سياق التخاطبي بين المتخاطبين.

ومن أجل نجاح العملية التواصلية صنف "أحمد المتوكل" الخطاب إلى أنواع متعددة تبعا لمعايير أو المعارف التي ذكرناها سابقا:[2]

- غرض المخاطب إلى خطاب سردي، حجاجي، وصفي، تعليمي، ترفيهي.
- نوع المشاركة إلى خطاب ثنائي، خطاب جماعي وخطاب فردي(مونولوج).
- طريقة المشاركة في الخطاب مباشرة إلى أي التباشر بين المتخاطبين في الخطاب مباشرة أو غير مباشرة، كأنْ يكون الخطاب مكتوبا كالجريدة والكتاب ، أو شبه مباشر خطاب هاتفي أو خطاب تلفزي أو خطاب إذاعي.

([1]) ينظر: أحمد المتوكل،قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية ، بنية الخطاب من النص إلى الجملة،ص:27

([2]) روبحي لخضر، جهود المتوكل في الدراسات اللغوية، مجلة الممارسات اللغوية في الجزائر، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر،العدد10، السنة 2012م، ص:36

- وجهة إلى خطاب موضوعي خاليا من تدخل ذات المتكلم وخطاب ذاتي تتدخل الذات المنتجة للخطاب.

ونخلص مما سبق إنّ كثيرا من الباحثين المعاصرين في عالمنا العربي الذين اهتموا بمجال "التواصل" اللغوي في العقود الأخيرة، معظمهم لم ينزلق خلف من يتشدّقون بأصالة الغرب في مجال الدراسات الإنسانية بشكل عام، واللغوية بشكل خاص وراحوا يفتشون في التراث عَلَّهم يجدون ما يصبون إليه.

المبحث الثاني: الكفايـــــــــات

1. تمهيد:

في سبعينيات القرن الماضي استطاع مجموعة من علماء اللغة أمثال "سيمون ديك"(S.DIK) و "هايمز" (HYMES) تقديم تفسير كاف لوظيفة الجملة وذلك بربطها بالحياة الإجتماعيّة وقواعدها وأغراضها وتقاليدها التي تتحكم باللغة، ولقد أدرك هؤلاء أنّ الطرح الذي قدمه "تشومسكي" والذي تضمنته نظريته التوليدية التحويلية اقتصر فقط على دراسة الجمل من جانبها اللغوي أو النّحوي فقط مهملا الظروف وملابسات الجملة أو العناصر غير اللغوية، التي تلازم الجملة أو الكلام أثناء التلفظ، ممّا جعل نظريّته وخاصة الكفاءة والأداء محل نقد، وفي مبحثنا هذا سنسلّط الضوء على ما استدركه اللغويون مما فات "تشومسكي" في مجال التفسير الوظيفي للجملة، أو الكلام واقتراح بديل يسد الثغرات المنهجية والمتمثلة في الكفاية التواصلية.

2. مفهوم الكـــفاية:

يستحضر "ابن منظور" مصطلح "الكفاية" في معجمه فيقول:" كفى يكفي إذا قام بالأمر ويقال استكفيته أمرا فكفايته، ويقال كفاك هذا الأمر أي حسبك وكفاك هذا الشيء يكفيك واكتفيت به، وفي الحديث: سيفتح الله عليكم ويكفيكم الله أي يكفيكم القتال بما فتح عليكم"[1]

وجاءت في المعجم الوسيط لتدلّ على الاستغناء فهي من "كفاه كفاية استغنى به عن غيره فهو كاف". [2]

ومصطلح الكفاية يقابله باللغة الأجنبية "Compétence"، وهو يشير إلى مفهومين أوّلهما: وهي التي تكمن عند الفرد وتمكّنه من إنتاج عدد لا متناه من الجمل، والثاني: الملكة اللسانية.[3]

3. الكفاية اللغـــوية عند "تشومسكي":

([1]) ابن منظور ،لسان العرب،(ج5) مادة كفى،ص: 269

([2]) المعجم الوسيط،ص:791

([3]) الفهري عبد القادر الفاسي، اللسانيات واللغة العربية،ص:265

مع "تشومسكي" يعود الدرس اللغوي إلى الحضيرة الفلسفية، بعدما خلّصه "فرديناد دي سوسير" من كل تبعيّة وخاصة الحقلين الفلسفي والديني، فمعنى النّص أو "اللغة"عنده مأخوذ من معجم ليس لمفرداته معان خارج البناء الذي يضمّها".[1]

فهو حينما ينظر إلى النّص يجرّده من كل سياقاته الخارجية التي ساهمت في تكوينه من قريب أو من بعيد، يبدأ من الجزء إلى الكلّ، من أصغر الوحدات إلى الوحدات الأكبر (الكلمات)، ثم الأكبر (الجمل)، دون إقصاء الوظيفة الأساسية الإجتماعية للغة. فلقد ألحّ على دراسة اللغة دون اللّجوء إلى معايير أخرى خارجة عن مادّتها البنيوية (النفسية مثلا) أو عن طبيعتها الاجتماعية، فلسانيات "سوسير" سعت إلى إبعاد المعايير الذهنية، والخارجية عن البنية خلال تحليل الظاهرة اللغوية من أجل إثبات موضوعيتها".[2]

لكن "تشومسكي" أراد تقديم بديل آخر يهدف من خلاله بناء نظرية قادرة في الظاهر على أقلّ تقدير أن تفي بمتطلبات الدّال والمدلول على حدّ سواء.[3] فأصدر كتابه المشهور "البنى التركيبية" (STRUCTURES SYNTAXIQUES). وفيه ينادي بالوصف الفونولوجي وقواعد التركيب أو بناء الجملة لأية لغة، على أنّها نظام شكلي دون الإلتفات إلى المعنى أو الدلالة للجملة، وإهمال "تشومسكي" الجانب الدلالي في نظريته، جعل محاولته لا تخرج عن الأسس التي وضعها سابقوه (التوزيعيون)، فعمل إلى سدّ الثغرة بالرجوع إلى محاولات معاصريه ومنهم "كاتز" (KATZ) و"فودور" (FODOR) اللذانناديا بإدماج التركيب في الدلالة، ثم لحق "بوسطال" (POSTALE) بـ "كاتز" حيث افترضا مبدئيا أنّ التفسير الدلالي للتركيب يتم في المجال الإجرائي للبنية العميقة دون سواها.[4]

([1]) خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية،ص:18

([2]) المرجع نفسه،ص:19

([3]) ينظر: أحمد حساني، البنية التركيبية في رحاب اللسانيات التوليدية التحويلية، مجلة الحداثة، معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة أحمد بن بلة، السانيا سابقا، وهران، العدد الأول، 1992،ص:68

([4]) ينظر: المرجع نفسه،ص:73

إنّ "تشومسكي" يرفض الإجراءات السابقة التي تعتمد الوصف والتجريب، والملاحظة الشكلية للحدث اللغوي؛ لأنّ " التحليل اللغوي لا ينبغي أن يكون وصفا لما قد قاله المتكلّمون، وإنّما هو شرح وتعليل للعمليات الذهنية، التي من خلالها يمكن للإنسان أن يتكلّم بجمل جديدة". (1)

وفي مقابل ثنائية (**اللسان والكلام**) وضع "تشومسكي" ثنائيته المشهورة (**الكفاية والأداء**) ".

والكفاية "هي معرفة المتكلم _ المستمع المثالي للغته؛ (2) أي القدرة الضمنية التي يمتلكها المتكلم _ المستمع المثالي للغته والتي تخول له إنتاج عدد لا حصر له من جمل لغته الأم، فهي حينئذ "حقيقة عقلية كامنة وراء الأداء الكلامي". (3)

أمّا الأداء الكلامي فهو "الإستعمال الفعلي للغة في الظروف المحسوسة". (4)

لقد جاءت البنيوية لتصوغ نظرية معتمدة على الوصف أو الأداء، وهي بذلك تخالف الطّرح الذي جاء به "تشومسكي"، فنظريته التوليدية التحويلية تقوم على وصف القدرة اللغوية " الكفاية" التي تمثل جوهر اللغة، أمّا الأداء أو "الاستعمال" فعدّته أمرا ثانويا أو جانبا من اللغة أو كلها.

وخلافا للبنيوية أو الدراسات التي سبقت "تشومسكي" والتي تمثلت بالأساس في وصف الجمل، نجده يقدم تفسيرا للغة الطبيعية من خلال نظام من القواعد والذي يتجزأ بدوره إلى مكونات ثلاثة، التركيبي، الدلالي والفونولوجي.

ورفضت هذه النظرية الآراء البلومفيلدية، التي اعتمدت النهج السلوكي والتجريبي في وصف اللغة؛ لأنّ اللغة من منظور التوليديين فطرية أو موروثة، ودراستها كمكتسب مغالطة وقع فيها التوزيعيون، ولم تستثن النظرية التوليدية التحويلية أيّة لغة في دراستها؛ لأنّ الهدف كان وضع قوانين عامّة تنطبق على جميع اللغات، والعكس عند البنيويين فقد وضعوا قواعد خاصة بكل لغة مراعين جوانب الإختلاف بين اللغات.

---

(1) مازن الوعر، النظريات النحوية والدلالية في اللسانيات التحويلية التوليدية،ص:25

(2) N.Chomsky, Aspect De La Théorie Synthaxique,P:28

(3)، زكريا ميشال، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية) المؤسسة الإجتماعية للدراسات والنشر والتوزيع،(ط1) بيروت لبنان، 1982 ، ص:110

(4) N.Chomsky, Aspect De La Théorie Synthaxique,P:30

وبالرغم من التحول الذي شهدته اللسانيات في هذه الفترة _الخمسينيات وستينيات القرن الماضي_ إلّا أنّها لم تسلم من انتقادات كثيرة، نذكر منها:

- إقصاء النظرية للجانب الاجتماعي من اللغة، فمثلا في تعريف "تشومسكي" لمصطلح الكفاية، نجده قد جرّده من العناصر الغير اللغوية، ونقصد ظروف وملابسات اللغة أو سياق الموقف أو حال الأشخاص، وطبيعتهم والعلاقة بينهم، طبيعة الموضوع، الزمن، الأفعال المصاحبة للكلام، ولا يمكن الفصل بين اللغة (الكلام) والسياق فهما متممان لبعضها البعض.

- انتقد اللغويون عبارة "المفردات النحوية المحضة"،[1] فصحيح "المتكلم" يختار مفرداته من معجمه اللغوي بإعمال من الفكر، لكنّ اختياره يقع عليها من أجل التعبير عن أغراض أو تواصل، ولا يكون هذا الإختيار بمنأى عما تمليه قيود المقام.[2]

- دحض منتقدوا النظرية التوليدية التحويلية فكرة "اللغة هي تعبر عن الفكر وليست أداة تواصل،[3] وعدّوا اللغة وظيفة أساسية للتخاطب والتواصل أو التعبير عن الأغراض.

- يرى المنتقدون أن الاكتفاء بالمنظومة النحوية واستبعاد الأنظمة الأخرى لا يقدم التفسير الكافي للكفاية أو القدرة الضمنية التي يمتلكها المتكلم، ولا يمكن للقواعد النحوية بمفردها أن تشكل نظاما لدراسة استعمال اللغة، لذا ألحّ "هايمز" على إعادة النّظر في مضمون النظرية التوليدية التحويلية، وخاصة الشق الذي يتعلق بالأداء الكلامي أو الاستعمال الفعلي للغة، والذي انحصر في التجسيد الفعلي للقواعد النحوية، فـ"الأخد في الاعتبار سلسلة من القدرات الأكثر اتساعا من القدرات التي تتقيد بمعرفة النحو، فقد كان من الممكن أن يأتي في بال الكثيرين الإضافة إلى مصطلح "الكفاية" لفظة التواصل".[4]

([1]) يرى "كلاوس هيشن" أنّه من الصعب أن يقرّر إلى أي مدى تعد السمات التي استخدمها "تشومسكي" مثل حي، مجرد...سمات نحوية محضة وليست سمات دلالية، ويرى أيضا أنّ "تشومسكي" لا يقيم وزنا كبيرا لهذا السؤال، ينظر: ظاهر كاظم عبد الرزاق، الجملة العربية في ضوء اللسانيات العربية، دكتوراه مخطوطة مقدمة لكلية الآداب، جامعة البصرة، العراق،2011،ص:117

([2]) عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم،ص:170

([3]) Dell Hymes, Vers La Compétence De Communication H.France Mugler –Didier-Paris,1991,P:19

([4]) Ibid., p:123

فبالرغم من الثغرات التي ميّزت هذه النظرية، والانتقادات التي وجّهت إليهان فإنّها لم تعدم شيئا من إيجابياتها، فلا تزال أرضيتها خصبة لمجالات كثيرة، نذكر على سبيل المثال لا الحصر، استثمارَها إلى حدّ الساعة في مجال علم النفس اللغوي، أو علم النفس التربوي.

4. الكفاية التواصلية:

اتجه مجموعة من العلماء وخاصة الوظيفيون الجدد منهم، في سبعينيات القرن الماضي إلى العناية بالجانب الاستعمالي للغة، بعدما أن سجّلوا قصورا تمثّل في إقصاء العناصر غير اللغوية من النحو التوليدي التحويلي، وذلك لإدراكهم " عدم استقلالية اللغة الطبيعية عن الوظيفة التواصلية، وأنّ بنيات اللغات الطبيعية ووظيفتها التواصلية تربطهما علاقة تبعية حيث تحدد الوظيفة خصائص البنية".(1)

وطوّر العالم اللساني "هايمز" مفهوم الكفاية اللغوية إلى مفهوم الكفاية التواصلية، كبديل يزيل الضبابية والغموض الذي شاب النحو التوليدي التحويلي، وهو مفهوم ظهر في الساحة نتيجة تآلف التّيّار التوليدي التحويلي مع تيار آخر كان سائدا أنداك هو تيار أتنوغرافيا التواصل.(2)

واحتفظ "هايمز" بفكرة القدرة الضمنية للمتكلم، إيمانا منه بعدم جدوى الملابسات والظروف الخارجية في حال غياب القدرة على تركيب بنى اللغة، واستحالة إقامة تواصل إذا لم يتوفر الفرد على القدرة الذهنية المسؤولة على إنتاج عدد غير نهائي من الجمل (الكلام).

1.4 مكونات الكفاية التواصلية:

أشرنا في المبحث الأول من هذا الفصل أنّ "سيمون ديك" افترض عدد من الطاقات، أو المكونات التي يجب أن يتوفّر عليها الفرد حتى ينجح في التواصل، وهي مكونات تسمح بإمداد مستعمل اللغة الطبيعية بما يساعده على إنتاج وتأويل العبارات اللغوية، كالمكون اللغوي، والمعرفي، والمنطقي والإدراكي والإجتماعي، وقد خصّ "ديك" هذه المكونات في قسم التواصل غير اللفظي.(3)

---

(1) ينظر: أحمد المتوكل، مسائل النحو العربي في قضايا نحو الخطاب الوظيفي،ص:08

(2) Voir, Sophie.M, Enseigner Communiquer En Langue Etrangere,P:15

(3) ينظر: أحمد المتوكل، اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية،ص:26، ويحيى يعيطيش، نحو نظرية وظيفية للنحو العرب،ص:286

وتجتهد الباحثة الفرنسية " صوفي موارون"(S.Morond) في تصنيف مكونات الكفاية التواصلية، وترى أن نجاعة العملية التواصلية وسيرورتها لا تتحقق إلا بتكامل هذه المكونات مع بعضها البعض، وهي مرتبة كالآتي:[1]

المكون اللساني COMPOSANTE LINGUISTIQUE: ويتمثل في امتلاك الفرد القواعد التركيبية والدلالية والصوتية لنظام اللغة.

المكون الخطابي COMPOSANTE DISCURSIVE : ويتمثل في التمييز بين الخطابات ومعرفة أشكالها على حسب الوضعيات التواصلية التي تنتج فيها وتؤول.

المكون المرجعي COMPOSANTE REFERENTIELLE: يتمثل في معرفة مجازات التجارب المكتسبة وموجودات العالم والعلاقات القائمة بينها.

المكون السوسيوثقافي COMPOSANTE SOCIOCULTURELLE: معرفة القواعد الإجتماعية (طبوع، أشخاص، عادات، تقاليد، عقيدة، تاريخ)

وتظافر هذه المكونات تسمح بإنتاج وفهم ملفوظات مناسبة للوضعية التي أنتجت فيها.

ولقد سبق "صوفي مروان" عالمان مشهوران هما "كنال وسوين"، اللذان ميّزا أربع كفايات تواصلية وهي: النحوية والخطابية والاجتماعية والاستراتيجية، وهي من أخطر المكونات وتعقيدها فهي تجمع ما بين لغوي وغير لغوي، ويعمد المتكلم إلى استخدامها في حال عدم توفره القدرة لإيصال الرسالة، فهي خطة في المقام الأول للوصول إلى الغرض المنشود و هو ذو بعدين؛ أوّلهما البعد التخطيطي ويتحقق في المستوى الذهني، وثانيهما: البعد المادي الذي يجسد الاستراتيجية لتتبلور فيه فعلا.[2]بمعنى أن الخطاب المنجز يكون خطابا مخططا له، بصفة مستمرة وشعورية، ومن هنا يتحتم على المرسِل أن يختار الإستراتيجية المناسبة التي تستطيع أن تعبّر عن قصده وتحقق هدفه بأفضل حالة، وأهم هذه الإستراتيجيات:

---

(1)Sophie.M, Enseigner Communiquer En Langue Etrangere,P:20

(2) ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية،ص:55

الاستراتيجية التضامنية: وتتمثل في العلاقة التي يحاول المرسل تجسيدها مع الآخر وعادة ما تتحقق بأسماء الإشارة وأسلوب الالتفات.

الاستراتيجية التوجيهية: وتتمثل في الأوامر والدعاء والنهي والنداء وهي أفعال إنشائية ومن محاور الدرس "التواصلي".

الاستراتيجية التلميحية: وفيها يعمد المرسل توصيل رسالته من غير طريق التصريح المباشر، بل يختار طريقا آخر هو التضمين أو الإقتضاء.

الاستراتيجية الحجاجية: ويستخدمها المرسل للإذعان أو للإقناع حينما يريد إحداث تغيير في الموقف الفكري أو العاطفي.

حاصل النظر فيما سبق أنّ مصطلح الكفاية دلّ على القيام بالأمر والوصول إلى المبتغى، وورود الغناء والإستغناء بمعنى الكـفاية، أمّا في اللسانيات الحديثة فدلّ على القدرة والملكة الإنسانية، وهو عند "تشومسكي" القدرة الضمنية التي يمتلكها المتكلم-السامع المثالي للغة، والتي تخول له إنتاج عدد لا حصر له من جمل لغته الأمّ، أمّا عند الوظيفيين الجدد أمثال "هايمز" و"صوفي موارون"، و"هاليداي" و"ديك" و"كانال وسوين" يتحول المصطلح إلى الكفاية التواصلية كبديل ومفهوم ليشمل العوامل المعرفية والنفسية والسوسيوثقافية والتي ترتبط بالقواعد الإجتماعية.

5. الكفاية التفسيرية (النفسية، التداولية والنمطيّة):

لقد أدرك علماء اللغة – الوظيفيون الجدد- أنّ الوظيفة الأساسية للغة هي التواصل، وأنّ القواعد الإجتماعية والأعراف والتقاليد تتحكّم بها، فدأبوا إلى بلورة نظرية شبه مكتملة تقوم بتقديم الوصف والتفسير الكافي لما اصطلحوا عليه "**الكفاية التفسيرية**"، وميّزوا تظافر ثلاث كفايات رئيسية هي:[1] الكفاية التداولية، الكفاية النفسية والكفاية النمطيّة.

1.5 الكفاية التداوليّة: يحدد المتوكّل الكفاية التداولية معتمدا في ذلك على تنظيرات سيمون ديك"، والتي ترى من مهام النحو الوظيفي الرئيسية هو استكشاف خصائص التركيب اللغوي، المرتبطة

(1) ينظر: أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر،(ط1)،1985،ص:10

بكيفية استعمال هذه التراكيب، وأن يتم هذا الاستكشاف في إطار علاقة هذه الخصائص بالقواعد والمبادئ التي تحكم التواصل اللغوي،[1] وهو بهذا التحديد أو المفهوم يميّز صنفين من الخصائص:[2]

-**خصائص مرتبطة بالإستعمال:** ويمكن للنحو الوظيفي استكشافها، أثناء العملية التخاطبية لأنّها الأغلب، فالخصائص الصرفية والتركيبية والتطريزية التي يحدّدها قصد المتكلم.

خصائص غير مرتبطة بالإستعمال: أوما أسماه "المتوكل" بـ : "التركيب المستقل " تحدد الخصائص في المكوّن الصرفي.

وفي مسعى تحقيق "الكفاية التداولية"، يقترح النحو الوظيفي بنية للنحو تفرد مستوى تمثيليا مستقلا للوظائف التداولية، إضافة إلى المستويين التمثيلين المخصصين للوظائف الدلالية والوظائف التركيبية:[3]

- **مستوى لتمثيل الوظائف الدلالية:** نحو وظيفة المنفد، وظيفة المتقبل وظيفة المستقبل ووظيفة المستفيد.
- **مستوى لتمثيل الوظيفة التركيبية:** كوظيفة الفاعل والمفعول.
- **مستوى لتمثيل الوظائف التداولية:** كوظيفة المبتدأ ووظيفة المحور.

ويتّكئ في بناء نموذجه على مصدرين: الأوّل نظرية "سيمون ديك" وهي من أكثر النماذج استجابة لشروط التنظير ومقتضيات النمذجة للظواهر اللغوية؛ إذ "يمتاز من غيره من النّماذج بأنّه يمثّل محاولة جادّة لصهر مقترحات من أنحاء أخرى كالنحو العلائقي، ونحو الأحوال، والوظيفية، ونظرية الأفعال اللغوية" والنحو المعجمي الوظيفي، والثاني: تحليلات ومفاهيم من التراث اللغوي القديم موضحا أن هناك نظرية تداولية تنتظم العلوم اللغوية المختلفة النحو، واللغة، والبلاغة، وفقه اللغة.[4]

([1]) ينظر: أحمد المتوكل، المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي، الأصول والامتداد، دار الإيمان، الرباط المغرب(ط2)،2006،ص:63

([2]) ينظر: المرجع نفسه،ص:64

([3]) ينظر: أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية،ص:11

([4]) ينظر: عطا محمد الموسى، مناهج الدرس النحوي في العالم العربي في القرن العشرين، دار الإسراء للنشر والتوزيع، الأردن،(ط1)،2002،ص:329

وينطلق "المتوكل" من وصف الجملة العربية كلغة طبيعية معجما وتركيبا وصرفا ودلالة وتداولا في إطار النحو الوظيفي، ويتم اشتقاقها في إطاره بواسطة بنيات ثلاث هي :البنية الحملية، البنية الوظيفية والبنية المكونية، وتنبني هذه البنيات عن طريق تطبيق ثلاث مجموعات من القواعد هي:[1]

قواعد الأساس؛ قواعد إسناد الوظائف، وقواعد التعبير، وتتكون قواعد الأساس من مجموعتين من القواعد، هما "المعجم" وقواعد "تكوين المحمولات".

وينطلق "المتوكل" من فرضية تعتبر أن مفردات اللغات الطبيعية صنفان:[2]

مفردات الأصول: مفردات يتعلمها المتكلم كما هي قبل استعمالها.

مفردات مشتقة: مفردات يتم تكوينها عن طريق قواعد اشتقاقية انطلاقا من مفردات الأصول.

يتكون المعجم من أطر جملية "أصول" كالفعل، وأطر "حدود" هي سائر الكلمات في الجملة وباستخدام قواعد تكوين المحمولات، يتم تكوين أطر جملية نووية؛ أي اطر تشتمل إلا على "الحدود" أو "الموضوعات"، وباستخدام قواعد توسيع الأطر ينتج ما يطلق عليه "حدود اللواحق"، بعد ذلك يجري تطبيق قواعد إدماج حدود ليتم بذلك تكوين البنية الجملية.[3]

ويصنّف النحو الوظيفي المحمولات في الجملة على النحو التالي:[4]

شرب زيد شايا.

شرب **(فعل) (حي) (منفّذ) (سائل) (متقبل) (زمان).**

والإطار الحملي النووي لهذه الجملة هو (شرب زيد شايا)، والظاهر أنّ المحمول (شرب) يرافق المحور (الفاعل، المفعول)ولكل وظيفة دلالية، ويمكن توسيعه ليصبح شرب زيد شايا (في المقهى) أي بإضافة المكان (المقهى) ويصبح إطارا حمليّا موسّعا، ووفق تصوّر "المتوكل" فإنّ الإطار المحمولي يدل على واقعة يقوم كل عنصر في بنيتها بدور معيّن، وقد تكون الوقائع:[5]

([1]) ينظر: أحمد المتوكل، وظائف التداولية في اللغة العربية،ص:11

([2]) ينظر: المرجع نفسه،ص:12

([3]) ينظر: المرجع نفسه،ص:15

([4]) ينظر: أحمد المتوكل، دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي،ص:13

([5]) ينظر: المرجع نفسه، ص.ن

أعمالا: نحو شرب زيد لبنا.

أو أحداثا: نحو فتحت الريح النافذة.

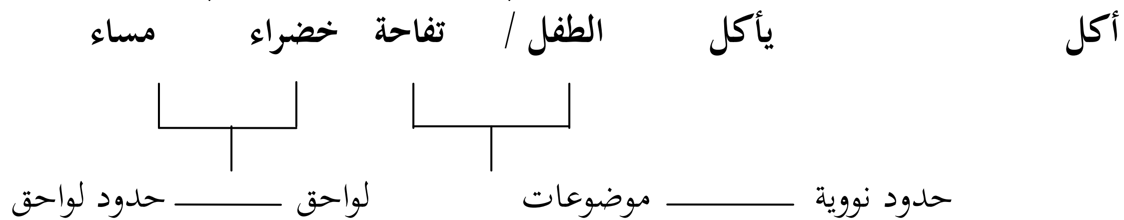
أو أوضاعا: نحو زيد جالس فوق الأريكة.

أو حالاتك نحو زيد فرحٌ.

أمّا ما يرافق المحمول من محلات لحدوده فتفرضها قيود الإنتقاء التي يوفّرها هذا المنحى وتفرضها طبقة المحمول. ويمكن تمثيل قواعد صوغ بنية النحو الوظيفية في المخطط التالي:

(أكل الولد تفاحة خضراء في المساء)

الأســــــــاس							
المعـــــــــــجم							
المحمــــول		**الحدود**					
أصل	**مشتقّ**	**حد فاعل**	**حد مفعول**	**حد صفة**	**حد ظرف**	....	....



ولتحليل المحمول (أكل) نقول فِعل:

حي ـــــــ تقوم به كائن

(منفد) ـــــــ مفعول يقوم بوظيفة المتقبل

(متقبل) ـــــــ (صفة)

أي أنّ هذا الفعل يقوم به كائن حيّ، يقوم بوظيفة المنفّذ.

ولا بدّ من مفعول "جامد" يقوم بوظيفة المتقبَّل.

ولتحليل المحمول "أكل" نقول: فعل (صفة) حـيّ، أي إنّ هذا الفعل يوصف به كائن حي يقوم بوظيفة الموصوف.

وتعدّ البنية الحمليّة مدخلا (input) للبنية الوظيفية، وأوّل ما يتم إسناده هو الوظائف التركيبية والتي يبرز من خلالها وظيفة الفاعل ووظيفة المفعول، ويعلّل "المتوكل" السبب في أسبقيّة إسناد الوظائف التركيبية فيقول:" ويبرز إسناد الوظائف التركيبية قبل إسناد الوظائف التداولية بأنّ ثمة وظائف تستند بالدرجة الأولى إلى مكونات حاملة لوظائف تركيبية معيّنة، فالوظيفة التداولية "المحور"، مثلا تسند بالدرجة الأولى إلى المكوّن الحامل للوظيفة التركيبية "الفاعل" وفق لاتجاه عام يخضع له عدد كبير من اللغات الطبيعية".[1]

أمّا إسناد الوظائف التداولية فإنّه يأتي بعد الوظائف التركيبية، وهي وظائف تعتمد على السّياق والمقام والعلاقة القـــائمة بين المتكلم والمخاطب وفي هذا السّـــياق يقول:" فالوظائف التداولية حسب النحو الوظيفي، وظائف تستند إلى مكونات الجملة بالنّظر إلى ما يربط بين هذه المكوّنات في البنية الإخباريّة، أي النّظر إلى المعلومات التي تحملها هذه المكونات في طبقات مقامية معيّنة، بعبارة أخرى تسند الوظائف التداولية إلى مكوّنات الجملة طبقا للعلاقة القائمة بين المتكلم والمخاطب في طبقة مقامية معيّنة".[2]

ويميّز المتوكّل نوعين من الوظائف التداولية: وظائف خارجية ووظائف داخلية.

1.1.5 الوظائف الخارجية: يحصرها في ثلاث وظائف هي:

المبتدأ: وهو لا يدخل ضمن نطاق الحمل فحين يقول (زيد، أبوه مريض)،* فإنّ زيدا لا يدخل ضمن نطاق الحمل،[3] فهو يتميّز بخصائص تجعله مختلفا عن الفاعل والمفعول، ويورد "المتوكل" تعريفا

(1) أحمد المتوكّل، الوظائف التداولية في اللغة العربية،ص:16.15

(2) أحمد المتوكل، الوظيفة والبنية، مقاربات وظيفية لبعض قضايا التركيب في اللغة العربية، منشورات عكاظ، الرباط،1993،ص:16

*يرى الباحث عطا محمد الموسى أنّ العبارات في النحو العربي لا تقتصر على هذا النّمط فهناك مثل (الولد مجتهد)، فهل يعني ذلك أنّ الولد يقع خارج الحمل، وحتّى ولو قيل: إنّ في (مجتهد) ضميرا مقدّرا هو، فإنّ ذلك لا يقف شاهدا على أنّ (مجتهد هو) يشكّل حملا يقع الولد خارج نطاقه وإلّا فإنّ هذه ستكون غير واقعيّة.ينظر: عطا محمد الموسى، مناهج الدرس النحوي في العالم العربي في القرن العشرين،ص:332

(3) المرجع السّابق،ص:113

اقترحه "سيمون ديك" في كتابه "النحو الوظيفي" حين قال:" المبتدأ (THEME) هو ما يحدّد مجال الخطاب(UNIVERSE OF DISCOURS) الذي يعتبر الحمل (PREDICATION) بالنسبة إليه واردا (RELEVANT)" [1]، ويشترك المبتدأ مع الوظائف الأخرى كالمحور والذيل والبؤرة في الخاصية التي يميّزها عن كل الأدوار الدلالية والوظائف، والوظائف التركيبية وهي أنّها مرتبطة بالمقام؛ أي أنّ تحديدها لا يمكن أن يتمّ انطلاقا من الوضع التخابري القائم بين المتكلم والمخاطب في وظيفة مقامية معيّنة.[2]ويعزّز طرحه بمثال: (زيد، قام أبوه).

يمكن أن يمثّل لبنية هذه الجملة تمثيلا أوليّا كما يلي:

زيد (المبتدأ) قام أبوه (حمل).

الجملة تتركّب إذن من ركنين أساسيين:

حمل (قام أبوه)

مبتدأ (زيد) وهو الذي يحدّد المجال الذي يغير إسناد مجموع الحمل واردا إليه.

الذيل (TAIL): وهو يحمل معلومة توضح عنصرا داخل الحمل أو تعدلها أو تصححها،[3] وهو عند "المتوكّل" ثلاثة أنواع:

1. **ذيل التوضيح**: نحو (أبوه مهاجر، زيد) فـ(زيد) مكون أسندت إليه وظيفة أزالت إبهام الضمير في (أبوه).
2. **ذيل التعديل**: نحو (قابلت الطلبة نصفهم)، فإنّ المكون (نصفهم) جاءت ذيلا لتعديل الكلام وإظهار المقصود فقط.
3. **ذيل التصحيح**: نحو (أكلت تفاحا بل برتقالا) فالمكوّن (برتقالا) يحمل وظيفة ذيل تصحيح.

وما يلاحظ في وظيفة الذّيل أنها تشبه "المبتدأ والمؤخر" في (01) والبدل في(02) والمشرب به (03) أو البنيات الإضرابية في النحو العربي التقليدي.وإذا كان الذّيل يحمل وظيفة تداولية كالمبتدأ

([1]) م.ن،ص.ن،ص:115

([2]) م.ن،ص:116

([3]) المرجع نفسه،ص:116

والمؤخّر فإنّه يأخذ الحالة الإعرابية "الرفع بمقتضى هذه الوظيفة "،أمّا إذا كان ذا وظيفة دلالية أو تركيبية كذيل التعديل والتصحيح، فإنّه يأخذ حالته الإعرابية في ضوء مبدأ (الإرث) أو الإتباع بالمعنى التقليدي.[(1)]

المنادى:

أحصى "سيمون ديك" أربع وظائف تداولية: اثنتان خارجية (المبتدأ والذيل)، واثنتان داخلية (البؤرة والمحور)، ويقترح "المتوكل" وظيفة خارجية أخرى "المنادى" ويعرفها بقوله:" وظيفة تسند إلى المكون الدال على المنادى في مقام معيّن".[(2)]نحو (يا زيد أخوك مقبل) فجملة (يا زيد) واقعة خارجة عن إطار الحمل (أخوك مقبل).

أمّا حالة المنادى الإعرابية بالنصب فيأخذها من كونه يحمل وظيفة تداولية، ولا يحمل وظيفة تركيبية أو دلالية، وهما وظيفتان لا يصلهما إلّا المكوّن الذي يكون موضوعا من موضوعات محمول هذه الجملة.

2.1.5 الوظائف الداخلية:

وتتمثل في وظيفتين (البؤرة والمحور):

البؤرة: وتسند وظيفتها إلى المكون الحامل للمعلومة الأكثر أهمّية، أو الأكثر بروزا في الجملة، وهو تعريف اقترحه "سيمون ديك" في كتابه النحو الوظيفي.[(3)] ويميّز "المتوكل" بين نوعين من البؤر؛ بؤرة الجديد وبؤرة المقابلة.

- **بؤرة الجديد:** هي البؤرة المسند إلى المكون الحامل للمعلومة التي يجعلها المخاطب (المعلومة التي لا تدخل في القاسم الإخباري المشترك بين المتكلم والمخاطب)، وتسند هذه الوظيفة إلى أحد مكونات الجملة مثل قولنا:[(4)]

---

(1) المصدر السابق،ص:161

(2) المصدر نفسه،ن.ص

(3) ينظر: أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية،ص:28

(4) ينظر: عطا محمد موسى، مناهج الدرس النحوي،ص:333

عاد زيد من السفر البارحة لا اليوم، وحدّثني عمر البارحة عن مقالته لا كتابه، وقد تتحقق هذه الوظيفة بإسنادها إلى أحد أسماء الإستفهام كقولنا:

من زارك البارحة؟

ماذا شرب زيد؟

متى عدت من السفر؟

بؤرة المقابلة: وهي الوظيفة التي تسند إلى المكون الحامل للمعلومة التي يتردد المتكلم في ورودها، وقد تسند إلى الحمل برمته أو إلى أحد مكوناته، نحو: أَحَضَرَ الضّيوف ؟أم لا؟ (الإسناد إلى الجملة) .أغدا ألقاك أم بعد غد؟ الإسناد إلى أحد مكونات الجملة.[1]

وللعلم قد أماء العرب النحاة إلى ذلك حينما ميّزوا بين استعمال الهمزة، وطلب التصوّر واستخدامـها لطلب التصديق.[2]والفرق بين البؤرة الجديد وبؤرة المقابلة، هو أنّ الثانية يملك المخاطب معلومتين ويريد الصحيحة منها، أمّا الأولى يحمل المكون جديدا لجهل المخاطب الذي يسأل عنه.

المحور:

وهو وظيفة تداولية داخلية "تسند إلى الحدّ الذي يشكّل محطّ الحديث في الحمل بالنسبة لمقام معيّن"،[3] مثل قولنا: متى رجع زيد؟ ومن قابل زيد؟ فزيد في الجملتين يحتل وظيفة محور.[4] ووظيفة المحور قد تسند إلى أي من عناصر الجملة، ويكون موضع الحديث على ألّا يحمل وظيفة تداولية أخرى.[5] أمّا الوظائف الدلالية فقد جاء حصرها في الوظائف التالية المنفد، والمتقبّل والمستقبل والأداة والزمان والمكان.

([1]) ينظر: أحمد المتوكل،الوظائف التداولية في اللغة العربية،ص:33

([2]) ينظر: عطا محمد موسى،مناهج الدرس النحوي،ص:333

([3]) ينظر: أحمد المتوكل، الوظائف التداولية،ص:74

([4]) ينظر: المرجع نفسه،ص:69

([5]) المرجع نفسه،ص:68

وقد أطلق على قواعد إسناد الوظائف: التركيبية والتداولية البنية الوظيفية التي تتحوّل باستخدام قواعد التعبير إلى بنية أخرى، أطلق عليها "البنية التكوينية" ،وذلك يعني أن البنية الوظيفية تشكل مدخلا للبنية المكونيّة.[1]وتتمثل قواعد التعبير فيما يلي:[2]

.قواعد إسناد الحالات الإعرابية.

.قواعد إدماج مخصصات الحدود(ادماج أداة التعريف مثلا).

.القواعد المتعلقة بصيغة المحمول(بناء الفاعل، بناء المفعول الحاق، الرابط (كان)، المطابقة).

.قواعد الموقعة وتركب المكونات بمقتضاها داخل الجملة.

.قواعد إسناد النبر والتنغيم.

ويخلص "المتوكل" إلى أنّ المكونات التي تشكل حدودا للمحمول تأخذ حالاتها الإعرابية بمقتضى وظائفها، فالمكون الذي حمل وظيفة دلالية وحسب يسند إليه النصب، أمّا إذا حمل وظيفتين –التركيبية والدلالية- فيسند إليه الرفع فاعلا والنصب مفعولا، والحالات الإعرابية التي استخلصها في اللغة العربية الفصحى ثلاث: حالتان إعرابيتان وظيفيتان وهما الرفع والنصب وحالة بنيوية هي الجر.[3]

ويختزل "سعيد البحيري مراحل تشكل الجملة من منظور "النحو الوظيفي" كالآتي:[4]

إطار حملي نووي (حدود–موضوعات) + (حدود لواحق) ← إطار حملي موسع

إطار حملي موسع قواعد إدماج الحدود ← بنية حملية

بنية حملية (دخل) قواعد إسناد الوظائف التركيبية والدلالية ← بنية وظيفية

بنية وظيفية (دخل) قواعد التعبير ← بنية مكونية

بنية مكونية (دخل) قواعد صوتية ← الجملة

كما يمكن أن نستخلص الوظائف النحوية من خلال الخطاطة الآتية:[5]

([1]) المرجع نفسه،ص:19.18

([2]) أحمد المتوكل، دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي،ص:18

([3]) ينظر: محمد عطا موسى، مناهج الدرس النحوي، ص:338

([4]) سعيد البحيري، عناصر النظرية النحوية في كتاب سيبويه، المكتبة الأنجلومصرية،(ط1) القاهرة، مصر1981،ص:125

([5]) عطا محمد الموسى، مناهج الدرس النحوي،ص:337

مراحل تشكل الجملة من منظور النحو الوظيفي

<table dir="rtl">
<tr><td>وظائف تركيبية فاعل مفعول</td><td>شرب | علي | لبنا | ساخنا | في | البيت | صباحا
محمول | حد | حد | حد | حد | حد | حد
أصل
فاعل منظور أول   مفعول منظور ثان</td></tr>
<tr><td>وظائف تداولية محور بؤرة (داخلية و خارجية)</td><td>مبتدأ منادى | وظيفة المحور | وظيفة البؤرة | ذيل</td></tr>
<tr><td>وظائف دلالية منفذ مستقبل مستقبل مستفيد أداة زمان ومكان</td><td>وظيفة منفذ | وظيفة مستقبل | وظيفة صفة | وظيفة مكان | وظيفة زمان</td></tr>
<tr><td>قواعد التعبير</td><td>الإعراب= دلالية= نصب أو جر أو تركيبية+ دلالية+ رفع أو نصب أو
دلالية + تركيبية + تداولية= رفع أو نصب أوجر
الرتبة (الموقعة)   النبر والتنغيم
قواعد الإدماج   قواعد صوغ المحمو</td></tr>
</table>

الوظائف النحوية

2.5 الكفاية النفسية:

لقد استفادت نظرية "النحو الوظيفي" كثيرا من بحوث علم النفس وخاصة "علم النفس اللغوي، أو ما يصطلح عليه (psycolinguistique)، والفضل يعود إلى "نعوم تشومسكي" الذي دأب إلى البحث في العلاقة ما بين اللغة والقدرة العقلية، باعتبارها ركنا أساسيا لصيرورة الإنسانية، وبهذا العمل دحض "تشومسكي" النزعة التجريبية أو الفكر السلوكي، ففكرة العلاقة الشرطية بين المثير والإستجابة قبلت بالرفض، لأنها تعتمد على الملاحظة والوصف لما ينتجه المتكلم، أما هدفه "تشومسكي" كان السعي إلى استكشاف القدرة أو القابلية الفطرية وراء الحدث اللساني، وهنا يركز "تشومسكي" على الإنسان "الطفل"و كيفية اكتسابه اللغة وقواعدها، وآليات فهمها وإنتاجها.

جهاز اكتساب اللغة (L.A.D):

أطلق نعوم "تشومسكي" على الفطرة أو ملكة اللغة اسم جهاز اكتساب اللغة (LANGUGE AQUISITION DEVICE) أو بالمختصر (LAD) وهي تخص الإنسان دون غيره من المخلوقات،[1] فهو يولد بها، وكأن الطفل يولد مبرمجا كالحاسوب بهذه الآلية، فهي مغروسة فيه تجعله لاحقا يكتسب لغة عبر مراحل من خلال البيئة، أو المحيط والوسط الإجتماعي الذي يعيش فيه، وقد حدد العلماء جملة من المراحل يكتسب فيها الطفل اللغة تدريجيا وهي:[2]

مرحلة ما قبل اللغة: وحددها العلماء بـ "الثمانية الأشهر الأولى" من حياة الطفل، وفيها يعبر الطفل بالصراخ والصياح.

مرحلة المناغاة: وتشمل المرحلة الأولى لكن تبدأ من الشهر السادس حتى بلوغ الطفل السنة الأولى من عمره، وفيها يقوم الطفل بإصدار أصوات يرددها من حين لآخر نتيجة الإتصال الصوتي والسمعي.

([1]) ينظر: عبد الكريم غريب وعبد الكريم فليو، التعلم والإكتساب، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2001،ص:51

([2]) ينظر: زكريا ميشال، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية) ،ص:54، وخامي خليل، اللغة والطفل، دراسة في ضوء علم اللغة النفسي، دار النهضة العربية، (ط1)، بيروت، لبنان،1986،ص:28

مرحلة الكلام: يحاول الطفل فيها تقليد الأصوات أو الكلمات المفردة،كالأفعال والصفات والأدوات والضمائر، أي يبدأ الطفل بتشكيل معجم أحادي اللفظ خاصا به، فاللفظ يؤدي معنى الجملة نحو خبز أي أريد خبزا.وما بين السن الثانية والخامسة يكتسب الطفل جملة من الخصائص تؤهله إلى إنتاج جمل يعبر بها عن مواقفه ومشاعره وعن الأشياء التي تحيط به، ويستطيع التحكم في اللغة بداية من السن الحادية عشر.

لكن نظرية التوليديين حول اكتساب اللغة كانت محطة انتقاد من لدنّ الوظيفيين بالرغم من القاسم المشترك الذي يجمعهما، وهو عامل "الفطرة" فهم يرون أنّ "جهاز الاكتساب اللغوي" (LAD)/ الذي يولد الطفل مزودا به لا يقتصر على القدرة النحوية فقط، وإنّما يزاوج بين النسق النحوي ونسق القواعد والأعراف المتحكمة في الاستعمال المناسب للغة في مواقف اجتماعية معينة.[1]

وفي هذا السياق يقول "فان ديك":"تنقسم النماذج النفسية بطبيعة الحال إلى نماذج إنتاج ونماذج فهم، تحدد نماذج الإنتاج كيف يبني المتكلم العبارات اللغوية وينطقها، في حسن تحدد نماذج الفهم كيفية تحليل المخاطب للعبارات اللغوية وتأويلها".[2]

فالوصول إلى الكفاية النفسية باعتبارها هدفا أساسيا تتم بعكس ثنائية الإنتاج/الفهم، فضابط الكفاية النفسية حسب تعريف "فان ديك"، يقضي بأن يصاغ النحو على أساس أن يعكس الإواليات التي تقوم بالذهن في شقي عملية التواصل كليهما، في شق إنتاج المتكلم للخطاب وشق تحليل المخاطب له وتأويله".[3]

ومن أجل تحقيق الكفاية النفسية يقدم النحو الوظيفي نماذج على أساس أنّ إنتاج الكلام أو الخطاب ينطلق من القصد إلى النطق عبر الصياغة وفقا للترسيمة.[4]

---

(1) يحي بعيطيش، نحو نظرية وظيفية للنحو العربي، رسالة دكتوراه مخطوطة مقدمة لكلية الآداب واللغات، جامعة منتوري، قسنطينة 2006.2005،ص:102

(2) فان ديك نقلا عن أحمد المتوكل، المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي الأصول والإمتداد، دار الأمان،الرباط، المغرب،(ط1)2005،ص:66

(3) المرجع نفسه، ص:67

(4) ينظر: المرجع نفسه، ن.ص

قصد ⟵ صياغة ⟵ نطق

فإذا عكسنا الترسيمة نجد أن الخطاب أو النطق هو السبيل الوحيد للكشف عن قصد المتكلم، لأن "تأليف الألفاظ راجع حتما إلى تأليف الدلالات النحوية، التي تشكل صورة واقعية أو واقعا ماديا لتأليف المعاني في النفس."[1]

إنّ الوظيفيين لا يعولون على المعنى الذي حدده النص أو الخطاب، بل المعنى الذي قصده المتكلم، لأنه يكشف عن حسن تخيره وصحة تأليفه أو عملية التلاؤم بين ما وقع قبل المنطوق وما وقع في المنطوق.[2] وبالعودة إلى الترسيمة السابقة يتضح أنّ التداول والدلالة يشكلان المكون القاعدي، الذي على ضوء ما يتوافر فيه من مؤشرات تصاغ البنية الصرفية- التركيبية ويتم تحققها الصوتي.[3]

ولقد استبعدت النظرية الوظيفية كل قواعد التحويل التي تتم على مستوى البنية كـالحذف، التقديم التأخير، أو التعويض أو النقل لعدم مطابقتها لأية عملية ذهنية يقوم بها المتكلم حين ينتج العبارة اللغوية، أو المخاطب حين يؤولها، لأنها غير مطابقة للواقعية النفسية. وهو ما يؤكد عليه "أحمد المتوكل" حينما يعلل هذا الإستبعاد بثنائيات من الجمل:[4]

(أ) أحب خالد هندًا

(ب) هندًا أحبّ خالد

فالجملة (ب) لا تعد محولة عن الجملة (أ) في النحو الوظيفي بواسطة قاعدة نقل مكون المفعول إلى الموقع الصدر، إذ أنّ لها بنيتها التحتية التي تختلف عن البنية التحتية للجملة (أ)، فبإرجاع الجملتين إلى بنيتهما التحتية نجد:

أ. (أحبّ) (خالد) محور (هند) بؤرة جديدة

---

(1) سعيد بحيري، دراسات تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، مكتبة الآداب، القاهرة (ط1)2005م،ص:201

(2) ينظر: المرجع نفسه،ص:208

(3) ينظر: أحمد المتوكل، المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي،ص:66

(4) المرجع نفسه، ص:67

ب. (أحبّ) (خالد) محور (هند) بؤرة مقابلة

وبالمقارنة بين البنيتين (أ) و (ب) يتبيّن أن مكون المفعول يحمل وظيفة بؤرة الجديد في البنية الأولى، فيتموقع بذلك بعد الفعل في حين أنّه يحمل في البنية الثانية، وظيفة بؤرة المقابلة التي تخوله احتلال الموقع الصدر.

3.5 الكفاية النمطية:

حاول الوظيفيون دراسة معظم اللغات الطبيعية ذات البنى اللغوية المختلفة، قصد وصف خصائصها كالصوت المميز لكل لغة والمقومات الصرفية كالإسم والفعل والصفة والوظائف التركيبية، كوظيفتي الفاعل والمفعول، وهم بهذا الإجراء يختلفون عن مقارني القرن التاسع عشر الذين دأبوا إلى تصنيف اللغات وجمعها في فصائل سلالية، لغات سامية، كالعربية والعبرية، ولغات هندأروبية وسلافية، وراحوا يفسرون تطورها وما يلحق بها من تغيير.

وسعيا لإحراز الكفاية النمطية، وضع الوظيفيون معايير لتنميط اللغات الطبيعية وعلى رأسها معيار بنية اللغات، بغضّ النظر عن الفصيلة السلالية التي تنتمي إليها، وشمل المستويات الأربعة التداول والدلالة والصرف وتركيب الأصوات، ويعد المستويان الأخيران المحط الأساسي للإختلاف بين اللغات، وكان للسياق دور مهم في تحديد النمط اللغوي والنمط الخطابي وفي مسار تطورهما.[1]

ومن أجل بلوغ هذا المسعى أو تحقيق ما يسمى بـ "اللسانيات التنميطية"، اهتم الوظيفيون بالإشتغال على جملة من اللغات الطبيعية، فاشتغل "المتوكل" على اللغة العربية (نموذج النحو الوظيفي المتعدد الطبقات) واشتغل "هنغفلد" على نحو الخطاب الوظيفي، واشتغل "دكروت" على اللغة الهنغارية، و"سيمون ديك" على اللغة الهولندية. ويقترح أحمد المتوكل للتنميط الوظيفي للغات جملة من المعايير نذكر منها: الرتبة والتغليب والإنعكاس البنيوي.

([1]) ينظر: أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية المقارنة، دراسة في التنميط والتطور، دار العربية للعلوم ناشرون، (ط1)الرباط، المغرب،2012،ص:13

1.3.5 الرتبة: ويقصد بها الترتيب الذي تحدده علاقات النحو، وهو فعل وفاعل ومفعول في الجملة الفعلية ومخبر عنه ومخبر به في غيرها.[1]

ومن خلال الرتبة استطاع الوظيفيون ومنهم "المتوكل" تنميط اللغات إلى فئتين "لغات مبتدئية"، كأن يتقدم المبتدأ كوظيفة تداولية ولا يحتاج إلى ضمير يربطه بالجملة الواردة بعده ويعزز قوله بمثال:[2]

Nuike shu yezi da ← جملة صينية

في اللغة العربية:
- كبيرة الأوراق الشجرة هذه
- هذه الشجرة أوراقها كبيرة

ولغات فاعلية (غير مبتدئية كاللغة العربية والإنجليزية والفرنسية)، وهي لغات يعود فيها ضمير رابط على المكون المبتدأ وجوبا كما في الأمثلة التالية:[3]

في اللغة العربية:
- هذا كتاب ألّفه خالد
- هذا كتاب ألّف (Ø) خالد

في اللغة الإنجليزية:
- This book khalid wrote it
- This book khalid wrote (Ø)

في اللغة الفرنسية:
- Ce livre khalid l'a écrit
- Ce livre khalid (Ø) a écrit

---

(1) أحمد المتوكل، المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي،ص:190

(2) المرجع السابق،ص:21

(3) المرجع نفسه، ن.ص

وتجاوز الوظيفيون بهذا الإجراء – اعتماد معيار الرتبة– في التنميط– المقارنين الأوائل الذين اعتمدوا التنميط السلالي.

2.3.5 التغليب:

ويقصد به تغليب مستوى علاقي تداولي على المستوى التمثيلي (الدّلالي) أو العكس،[1] على هذا الأساس يوجه النحو الوظيفي اللغات إلى نمطين رئيسين: نمط اللغات الموجهة تداوليا، المغلبة للمستويين البلاغي والعلاقي ونمط اللغات الموجهة دلاليا، التي تغلب المستوى الدلالي على المستويين الأخيرين.[2] وأهمّ معيار يؤخذ بعين الإعتبار في التغليب هو معيار الشّفافية والكتوم للتراكيب. فاللغات الموجهة تداوليا غالبا ما تكون شفافة التركيب أمّا الموجهة دلاليا فتكون كاتمة التركيب، فماذا يقصد "المتوكل" بالشفافية والكتوم للخطاب؟

الخطاب الشفاف والكاتم:

يقترح "المتوكل" في شفافية الخطاب أربعة شروط أو كما يسميها معايير المصفوفة، وهي لا التباس، لا الطي، لا انحراف ولا تداخل.[3] أمّا في حال ورود عنصر من عناصر مصفوفة يدرج الخطاب في خانة "الكتوم" أو الموجهة دلاليا.

الخطاب الملتبس:

وهو أن يحتمل الخطاب لأكثر من قراءة واحدة ،[4] وبالتالي يصعب تأويله ومن أمثلة الإلتباس ما نجده في العبارة التالية:

أنا معجب حقا بعيون هند

فالعيون تحتل معنين: –جواسيس هند أو مقلتا هند.

الخطاب المطوي:

(1) ينظر: أحمد المتوكل، المنحى الوظيفي،ص:80

(2) ينظر: المرجع نفسه،ص:80

(3) ينظر: أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية المقارنة، دراسة في التنميط والتطور، ص:39

(4) المرجع نفسه،ص:80

يربط "المتوكل" هذا النوع من الخطاب بالسرد مثلا حينما لا يستوفي السارد "شرط التمام"، أو لا يلم بكل مراحل الواقعة موضوع السرد أو يربطه المحاج الذي لا يذكر جميع عناصره (دعاوى وحجج ونتائج)،[1] ويقفز على حلقات من السلسلة الحجاجية، ومن أمثلة القفز:

استحق اللاعب الكرة الذهبية.

الملاحظ أنّ هذه العبارة أو الخطاب، لم تستوف "شرط التمام" فقد فقدت حلقة المقدمة، والمتمثلة في إمكانيات وقدرات هذا اللاعب والتي تمكنه الإستحقاق، وفي هذه الحالة نقول عن هذا الخطاب أنه "مطوي".

الخطاب المنعرج:

وهو الخطاب الذي يوجه لمتلقيين، لأنّ من شفافية الخطاب أن يكون مباشرا ويلقى إلى مخاطب واحد.[2] ومن أمثلة هذا الخطاب المنعرج:

محمد لعيسى—و هما من السكان الأصليين للولاية- لحظة حصولهما على سكن جديد:

"**لقد ظفر كل الناس بسكن وهم لا ينتمون لهذه المدينة**".

المتكلم "محمد" يوجه خطابه إلى "المستمع" عيسى بوصفه متلقيا صريحا، وينعرج الخطاب في حال شخص لا يقطن في الولاية المعنية.

الخطاب المتداخل:

وهو أن "يتداخل خطابان اثنان مصدرهما اثنان في خطاب واحد"،[3] ويطلق على الخطاب الأول الأصل، والثاني الناقل الذي يعمل على تغيير مغزى الخطاب الأول، بإضافات مثلما هو مبين في المثال الآتي:

محمد: لا يمكن المرور عبر الطريق الوطني رقم6.

عيسى: لا يمكن المرور عبر الطريق الوطني رقم 6 المهترئ.

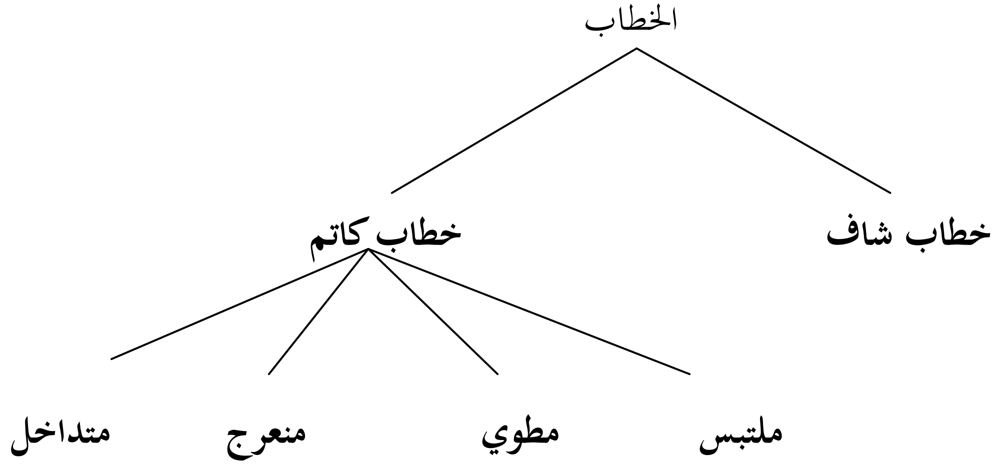
---

(1) ينظر: المرجع السابق،ص:80

(2) ينظر: المرجع نفسه،ص:81

(3) المرجع نفسه،ص:82

فالإضافة تظهر في الخطاب الناقل وهي صفة "المهترئ" إلى خطاب الأصل، ويمكن تمثيل جميع الخطابات في المخطط الآتي:



3.3.5 الإنعكاس البنيوي:

يعرف "أحمد المتوكل" "الإنعكاس البنيوي" بأنّه "تحقق عناصر مستوى تحليلي ما في عناصر مستوى تحليلي آخر"،[1] وتتمثل مستويات التحليل في نحو الخطاب الوظيفي في "المستوى العلاقي" (التداولي)، و"المستوى التمثيلي" (الدلالي) والمستوى الصرفي التركيبي والمستوى الفونولوجي، وتظهر جوانب اشتغال الإنعكاس البنيوي حينما تنتقل البنيتين التحتيتين التداولية والدلالية في البنيتين الصرفية والتركيبية والفونولوجية.

1. **الإنعكاس العلاقي (التداولي):**

تتمثل الخصائص التداولية المنعكسة في البنيتين الصرفية التركيبية والفونولوجية في السمات الإنجازية والإحالية والوظائف التداولية كالبؤرة مثلا.[2]

2. **القوة الإنجازية:**

وتتمثل في الأساليب اللغوية كالإستفهام مثلا، و يمكن أن نوضح بأمثلة :

الأستاذ ←——— الطالب

---

(1) أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية المقارنة دراسة في التنميط والتطور، ،ص:36

(2) المرجع السابق، ص:38

هل أنهيت بحثك ؟

ألم تنهي بحثك؟

هلّا تنهي بحثك؟

فالجمل أو العبارات الصادرة من الأستاذ أفضت إلى إنجاز أفعال كلامية أو خطابية، تحمل قوة استفهامية وتؤدي أغراضا تواصلية مختلفة تبعا للقوة المستلزمة (النبر والتنغيم)، والتي توضح مراد المتكلم وقصده، وتختلف كذلك تبعا لسياقها. فنلحظ في العبارة الأولى توافق بين العلاقة والتركيب والوظيفة التواصلية، أو تطابق بين معنى الجملة ومعنى القول وفي هذه الحالة قصد المتكلم هو السّؤال. أمّا العبارة الثانية أو الفعل الكلامي مهّد إلى إنجاز فعل آخر غير مباشر ويحمل قوة استفهامية، لكن يفيد التعجب لأن الطالب تأخّر في إنجاز البحث. أمّا القصد في العبارة الثالثة ليس السّؤال، وإنّما الالتماس، وما يميّز العبارات الثلاث هو النبرة التنغيمية لكل واحدة منها وللعلم قد تنبه العلماء العرب القدامى لهذه الظاهرة، وسنبيّن أثرها في بناء القواعد النحوية لاحقا.

السمات الإحالية:

ويقصد بها الإشاريات، يستخدمها المتكلم في مقامات مختلفة وتختلف دلالاتها تبعا لمقاصده، ففي العبارتين التاليتين:

الأستاذ ←—— الطالب

أي عمل **هذا**؟

الطالب ←—— الزملاء

ذلكم أستاذنا

إسم الإشارة في العبارة الأولى دال على القرب والقصد من وراء ذلك تحقير عمل الطالب أمّا العبارة الثانية فدلالتها وقصدها يختلف عن الأولى لأنّ قصد الطالب تعظيم الأستاذ.

الوظائف التداولية:

تتحقق الوظائف التداولية بالتّركيب، إمّا بواسطة الرّتبة كالتقديم مثلا، أو بواسطة بنيات مخصوصة كبنية الفصل، ففي التقديم تتحقّق البؤرة كما هو الحال في اللغة العربية.[1]

ففي المثال التالي:

(1) سيقابل خالد **هندا**.

(2) **هندا** سيقابل خالد.

إنّ هندا في الجملة (2) هي البؤرة المقابلة وتسند إلى المكون الحامل للمعلومة التي يشكّك المخاطب في ورودها، أو ينكرها.

أمّا في اللغات الأخرى كاللغة الإنجليزية والفرنسية، فإنّ نفس الغرض يؤدّى عبر استراتيجية ما يسمى "الفصل"، والذي يتم تبئيره تبئير مقابلة بإحلاله بين الحاضنتين: (It be…that) و (C'est .. que)، ويمكن أن نمثل بالجملتين الآتيتين:[2]

(1) It is **Hind** that khalid will meet.

(2) C'est **Hind** que khalid recontrera .

والظاهر من الأمثلة السابقة التي ساقها "أحمد المتوكل" أنّ تنميط اللغات قد يعتمد على رتبة المكوّنات، وتغيّر مواقعها في الجمل في اللغة العربية، وعلى الفصل في اللغات الأخرى كالفرنسية والإنجليزية.

الإنعكاس التمثيلي (الدلالي):

ويتعلق بالوظائف الدلالية كوظيفة المنفد والمتقبل والمستقبل ووظيفة المستفيد، وكذا الزمان والمكان ومحمولات (أفعال وأسماء وصفات)، وحدود (موضوعات ولواحق الحدود) وكيفية انعكاس خصائصها كبنية تحتية.

([1]) ينظر: أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية المقارنة، ص:60

([2]) ينظر: المرجع نفسه، ص:60

ويمكن أن نمثل بأمثلة ساقها "أحمد المتوكل":[1]

أبكرًا شكر المدير؟

<مضى* / تام (واقعة) : محمول 1 شكر (ش ك ر)

(< مذكر س1 مدير) منفذ (س$_2$ بكر) متقبل واقعة)

يتحقق مخصص المحمول في صيغته الماضي (شكر) مع مخصص الحد الجنس، والعدد مذكر مفرد (المدير). وتتحقق الوظائف الدلالية عن طريق نقلها إلى وظائف تركيبية (فاعل. مفعول..) بالنسبة إلى اللغات التي تستخدم هذه الفئة من الوظائف كاللغة العربية.[2]

جملة القول إنّ الوظيفيّين حاولوا تقديم الوصف والتّفسير الكافي للمادة اللغوية من خلال ثلاث كفايات:

الكفاية التداولية : يحاول الوظيفيون من خلالها استكشاف خصائص العبارة اللغوية المرتبطة بكيفية استعمال هذه العبارات؛ أي لا ينظر إليها على أنّها مجرد موضوعات منعزلة، بل على أساس أنّها وسائل يستخدمها المتكلم لإبلاغ معنى معيّن، في إطار سياق تحدده العبارات السابقة.

الكفاية النّفسية : سعيا لإحراز الكفاية النفسيّة انطلق الوظيفيون في معالجة المادة اللغوية، بعكس ثنائية (الإنتاج/الفهم)، أو من القصد إلى النّطق مرورا بالصياغة.

الكفاية النّمطية : يحاول الوظيفيّون من خلالها وصف خصائص أكثر عدد من اللغات على أساس معايير معيّنة، كمعيار الرّتبة، معيار التغليب ومعيار الإنعكاس البنيوي.

([1]) ينظر: المرجع نفسه ،ص:40

*درج المتوكل على الإحتفاظ بمصطلح "المضي" للدلالة على المخصص الزمني، فالمقولات الدلالية الزمنية عنده هي (مضي وحال واستقبال وصيغتان صرفيتان ماض ومضارع) مع العلم أنّ التطابق ضروري بين الصيغتين والمقولات الثلاث.

([2]) ينظر: المرجع السابق،ص:40

الفصل الثالث

الأبعاد التداوليـّة بين الإختيار الصرفي للصيغ ومعيارية المسائل النحوية

المبحث الأول: الأبعاد التداولية من خلال اختيار الصيغ الصرفيّة

تمهيد

1. مراحل نشأة النّحو والصّرف.
2. مفهوم علم الصّرف.
3. بين الكلمة أو اللّفظ والصيغة.
4. موضوعات علم الصرف.
5. اختيار الصيغ الصرفية وتداوليتها.

   1.5 اختيار صيغ الأفعال في ديوان الأمير عبد القادر الجزائري

   2.5 اختيار صيغ الأسماء في ديوان الأمير عبد القادر الجزائري

   3.5 اختيار صيغ المصادر في ديوان الأمير عبد القادر الجزائري

   4.5 اختيار صيغ المشتقات في ديوان الأمير عبد القادر الجزائري

   5.5 اختيار أسماء الحيوانات والطبيعة في ديوان الأمير عبد القادر الجزائري

المبحث الثاني: الأبعاد التداولية من خلال تقعيد وتوجيه المسائل النحوية

تمهيد

1. قصد المتكلم
2. علم المخاطب
3. قصد المتكلم وعلم المخاطب وتوجيه الحالات الإعرابية.
4. السياق

المبحث الأول: الأبعاد التداولية من خلال اختيار الصيغ الصرفية

1. تمهيد:

إنّ النّاظر في المدونات النحوية وخاصة القديمة منها، يجدها تخصص في ثناياها أبوابا كثيرة حول الصرف والتصريف، وإنّ الجمع بين هذين العلمين في المصنفات الأولى دليل على الصلة أو العلاقة الموجودة بينهما، وقد تنبّه النحاة إلى هذه الصلة، لذا نجدهم يشترطون قبل الخوض في المسائل والقواعد النحوية معرفة الصّرف، لأنّ معرفة ذات البنى الثابتة ينبغي أن يكون أصلا لمعرفة حاله المتنقلة.*

وفي هذا المبحث سنقف عند مسألة هامة شغلت حيّزا واسعا في مباحث علماء اللغة على اختلاف أطيافهم ومرجعياتهم الفكرية، وهي مسألة اختيار الألفاظ أو الصيغ الصرفية للتراكيب اللغوية من لدن المتكلم قصد التواصل وإقناع المتلقي بأفكاره أو الدفاع عنها، أو للتعبير عن شعور، ومبرزين في نفس الوقت دور السياق في استدعاء وتوجيه هذه الألفاظ. ولكن قبل الخوض في ذلك لابأس أن نستهلّ مبحثنا بـــ نبذة عن مراحل نشأة الصرف والنحو باعتبارهما علمين متلازمين.

2. مراحل نشأة النحو والصّرف:

إنّ معظم الدراسات التي اطلعنا عليها، والتي اهتمت بتأريخ النحو العربي ونشأته، وجدناها اتفقت على مراحل أساسية هي : النشأة والتأسيس، التدوين والتصنيف، البيان والتحصيل، الحصر والتنظير، التأصيل والتقويم، التصحيح والتثبيت والتجديد والتيسير، ولم تغفل هذه الدراسات عن ذكر الباعث الأساسي من وضع النحو العربي والذي تمثل في اختلاط العرب المسلمين بمن أسلم من الأقوام الأخرى، وتسهيل قراءة القرآن وفهمه لغير العرب، فالنشأة والبداية كانت على يد الإمام "علي بن أبي طالب" رضي الله تعالى عليه الذي قدّم المشورة ووضع الخطوط البدائية لهذا العمل لـ"أبي

---

* يرى ابن جني أن التصريف هو لمعرفة أنفس الكلم الثابتة، والنحو هو لمعرفة أحواله المتنقلة، ويقدم أمثلة فيقول: ألا ترى إذا قلت (قَام بكرٌ) و(رأيت بكرًا) و(مررت ببكرٍ) فإنّك خالفت بين حركات حروف الإعراب لاختلاف العامل ولم تعرض كباقي الكلمة؟ فالرفع والنصب والجر هو تغير في الحركات الإعرابية وهو موضوع علم النحو، ينظر: ابن جني، المنصف، شرح كتاب التصريف للإمام ابن عثمان المازني النحوي البصري، تحقيق لجنة من الأساتذة،مطبعة مصطفى الباي الحلبي وأولاده، مصر القاهرة،(ط1)،1954،ص:04

الأسود الدؤلي"(ت:68هـ) الذي قام بوضع ضوابط إعرابية في أواخر الكلمات، كما وضع أبواب النحو الأساسية مثل باب الفاعل والمفعول والتعجب،[1] ثم أتى من بعده رعيل من النحاة اقتفوا أثره على رأسهم "يحيى بن يعمر"(ت:129هـ) الذي استخدم القياس والعلل والعوامل في التقعيد النحوي.[2] ثم سار على خطاه "عيسى بن عمر"(ت149هـ) الذي تبدأ معه فترة التدوين والتصنيف وقد كتب نيفا وسبعين كتابا في النحو واشتهر بمناظراته مع " أبي عمرو بن العلاء" و"الكسائي"،[3] وقد تعامل بفكرة العامل ويستدل مؤرخو النحو على ذلك حينما أجاز مقولة "ليس الطيب إلا المسك"، وفي ذلك إلماح إلى أنّ عمل "ليس" كان ماثلا في ذهنه، وربط الحالات الإعرابية بقصد "المتكلم" أي "المعنى" كنصب الإسم فيه معنى التعظيم أو التحقير، ومن شواهد هذه الحالة "حمّالةُ الحطب " فالنصب جاء للندم لها. ومن أعلام هذه المرحلة "يونس بن حبيب الطبي"'(ت182هـ)وهو تلميذ لـ "أبي عمر بن العلاء"[4]، واستخدم السماع لتطبيق القياس، ويعد أول من وضع قواعد أصول الكلمات وزوائدها ووزان مقابلها بلفظ الفعل.[5]

كما عرفت هذه المرحلة عالما يوثق بعربيته هو " الأخفش الكبير" أو" أبو الخطّاب" قرأ عليه "سيبويه"، وأخذ عنه توجيه القراءات، وجاء في الكتب المؤرخة للنحو أنّ "سيبويه" استفسر منه معنى "لبيك وسعديك" فعرف منه أن **لبيك** من الإلباب والدنو وأنّ **سعديك** من المساعدة وهي متابعة الأمن، ويذكر "سيبويه"(ت108هـ) أن "الأخفش " وضع ثلاثة مستويات وكانت تشكل أساسا للسماع، الأول هو مستوى الإستعمال ويتعلق بمن يوثق بعربيتهم، والمستوى الثاني من أصحاب اللغات الفصيحة ولكن ما يميزها أنّها غير مطردة إطرادا تاما، أمّا المستوى الثالث خاص بالاستعمال خارج القواعد العامة واشتهرت به قبائل ذات اللهجات المحلية، وصنّف "سيبويه" هذا المستوى في

([1]) ينظر: محمد عطا موسى، مناهج الدرس النحوي، ،ص:02

([2]) ينظر: المرجع نفسه،ن.ص

([3]) ينظر: محمد مختار ولد أباه، تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب، ، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان،(ط2)2008،ص:50

([4]) ينظر: محمد عطا موسى، مناهج الدرس النحوي،ص:04

([5]) ينظر: محمد مختار ولد أباه، تاريخ النحو العربي،ص:68

خانة اللغات الرديئة.(1)كما شهدت هذه المرحلة ظهورا إماما في النحو واللغة وهو " الخليل بن أحمد الفراهيدي" صاحب كتاب "العين" قرأ من "أبي عمر بن العلاء" و" عيسى بن عمر"، وقارن بين ما سمع وما رأى من جهود سابقيه في بناء الصرح اللغوي، كل هذا جعله يخلص إلى أنّ اللغة صنعت صنعا منطقيا، مثّل له بدار محكمة البناء، عجيبة النظم، وكل ما وضع فيها من رسوم وحدود وأبواب جاء لعلل قامت في عقول العرب وأنّ لم تنقل عنهم لأنهم نطقوا على سجيتهم وطباعهم. (2)

وميّز في الكلام أصغر الوحدات "الفونيمات" و"التنسيق" الذي يتركب من الكلمات، وركز في تحليلاته على الأساليب المطردة وجعل منها نموذجا مختارا للاستعمال الصحيح وحكم على الشذوذ على ما سواه.(3) والإعراب عنده ليس وضعا عشـــوائيا يقع دون أسباب، لذلك يـــــرى أن التركيب الكلامي لا يتغير إلا بسبب تأثير عوامل خاصة وميّز أقساما من العوامل، الظاهري والمعنوي، والمحذوف والمفترض.(4)

وهو بهذا يرفض مقولة "اعتباطيّة الإعراب" لأنه _الإعراب_ يقع لأسباب معينة، وظهر كذلك في هذه المرحلة عالم حمل "علم الخليل" وهو إمام النحاة قاطبة وسمي كتابه "الكتاب"بـ"قرآن النحو" ، إنه "سيبويه"الذي قال عنه "السيرافي" :" إنّه لم يسبق إلى مثله أحد قبله ولم يلحق به من بعده"، (5) وعُدّ "الكتاب" خلاصة الفكر النحوي وقد ضم مباحث في النحو والصرف فتحدث صاحبه عن أقسام الكلام وعن علامات الإعراب وعن أحوال اللفظ مع المعنى، اختلافا واتفاقا وعن علاقة المعنى في استقامته واستحالته وفي حسنه وقبحه، وقد اعتمد في تحليلاته وتوجهاته لمسائل النحو على جملة من الشواهد التي زاد على الألف بالنسبة للشعر واستشهد بنحو أربع وخمسين آية من القرآن الكريم وببضعة أحاديث لا تتجاوز العشرة.(6) وتكلم في الصرف وموضوعاته المختلفة، وإن لم

(1) ينظر: سيبويه، الكتاب، تحقيق وشرح عبد السلاك محمد هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان،(ط1)(د.ت)ص:181

(2) ينظر: محمد ولد مختار ولد أباه، تاريخ النحو في المشرق والمغرب،ص:74

(3) ينظر: المرجع السابق،ص:75

(4):ينظر: محمد ولد مختار ولد أباه، تاريخ النحو في المشرق والمغرب،ص:77

(5) أبو سعيد السيرافي، شرح كتاب سيبويه، تحقيق أحمد منى مهدي وعلي سيد علي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان،(ط1)،2008،ص:64

(6) ينظر: محمد مختار ولد أباه، تاريخ النحو العربي،ص:86

يرتبها ويبوّبها كما فعل المتأخرون، وكان يفرد بعد كل قسم من أقسام المعتلّ بابا يذكر فيه ما تبين مما لم يرد عن العرب على ما ورد منهم".[1]

ومن نحاة هذه المرحلة "الكسائي" الملقب بـ الأستاذ الجامع "أبو جعفر الكسائي" وضع نحو الكوفيين، وذكر له المؤرخون كتابين "معاني القرآن" و"كتاب القراءات"، وعُد أوّل من اهتم بتعليل أوجه القراءة وربط هذا التعليل بالقياس النحوي.[2]

وسار على منهجه تلميذه "الفراء"(ت:207 هـ) وكانت مصادره في نهل العلوم مختلفة، على رأسها علمي "الكسائي" و "سيبويه"، واصطنع منهجا قائما على توليفه من آراء البصريين والكوفيين،[3] ومن ابتداعاته النصب على الخلاف، والفعل الدائم (اسم الفاعل)وتأثير الأدوات، وقدرته الفائقة على الاستنباط والتحليل والتركيب مكنته من استكمال المزايا النهائية للنحو الكوفي.([4]) ومن نحاة هذه المرحلة "الأخفش الأوسط" اعتمد في منهجه على القراءات، وأقرّ نظرية العامل وإعمالها دون تركيز على العلل، ولإثبات القاعدة النحوية كان يتوسع في القول بالزيادة والحذف والتقدير.[5]

أمّا مرحلة "البيان والتحصيل" فكانت حصيلة النحاة السابقين، وظهر فيها "أبو العبّاس المبرد" صاحب "المقتضب" لخص فيه كتاب "سيبويه". وخالف "سيبويه" في بعض القضايا،[6] كمخالفته أعمال "إن" التي بمعنى "ما" ففي مثل "إن زيد منطلق" لا يرى سيبويه غير الرّفع جــائزا و"المبرّد يجيز النّصب مستدلا بقوله تعالى ﴿إِنْ يَقُولُون إِلاَّ كَذِبا﴾،[7] وعاصـر "المبرد" "أبو العباس ثعـــلب" وكان

([1]) خديجة الحديثي، أبنية الصرف في كتاب سيبويه، منشورات مكتبة النهضة، بغداد العراق،(ط1)، 1965،ص:35

([2]) ينظر: المرجع السابق،ص:108

([3]) ينظر: عطا محمد موسى، مناهج الدرس النحوي،ص:95

([4]) شوقي ضيف الدين، المدارس النحوية، دار المعارف مصر،(ط2)، 1972،ص:95

([5]) ينظر: محمد مختار ولد أباه، تاريخ النحو العربي،ص:63

([6]) ينظر: المرجع نفسه،ص:137

([7]) سورة الكهف، جزء من الآية05

خصما له وقد اعترف "المبرد بعلمه وخاض في مسائل كثيرة.*

ثم تأتي مرحلة التقويم والتأصيل والبداية كانت مع "أبي اسحاق الزجاج" وكتابه "معاني القرآن وإعرابه" الذي استدلّ فيه بالحجج العقلية للنظريات اللغوية ،[1] ومن تعليلاته التي اعتمد فيها العقل والمنطق رفع الفاعل ونصب المفعول** وما يميز فكر هذا الرجل تفطنه للمعنى ودوره كعامل للإعراب***، ومن نحاة هذه المرحلة "أبو بكر ابن السراج"(ت316هـ) وإليه ينسب كتاب "الأصول في النحو" وضمّ مسائل كثيرة كجواز التقديم والضرورات الشعرية****.

وعرفت هذه الفترة ظهور عالم آخر وهو الفارسي، إمام في اللغة والنحو والقراءات وعرف بالذكاء، فكان يعتمد إعمال العقل والتفكير المنطقي في كل تحليلاته وقياساته واستنباطاته، ومن كتبه "كتاب الحجة في علل القراءات السبع" والإيضاح الذي شرحه "عبد القادر الجرجاني" إنه "الفارسي" فقد اهتم بمسائل تتعلق بالشذوذ في القياس والاستعمال. [2]

وفكره النحوي قد استفاد منه "ابن جني" في كثير من الأصول التي حررها في كتابه "الخصائص" والمتصفح لهذا الكتاب يجده يتضمن الكثير من القواعد منها في تعارض السماع والقياس وباب الاستحسان، وباب في تعارض العلل في الإمتناع من تركيب ما يخرج عن السماع حمل الأصول على الفروع وباب في اللغة مأخوذة قياسيا.[3]

والمتأمِّل في دراساته يجد اختلافا ملحوظا بينه وبين سابقيه فهو يتناول الظاهرة اللغوية بصورة أشمل وأعمق رابطا إيّاها بالنحو في عملية متكاملة ترمي إلى التفسير من حيث الصلة بين الألفاظ

---

* من المسائل المشهورة فرّق بين الصفة والنعت، فالنعت أخص مثل من المسائل المشهورة فرّق بين الصفة والنعت، فالنعت أخص مثل الأعرج وأن الصفة عامة، ولذلك فإن الله يوصف ولا ينعت، ينظر: المرجع السابق،ص:144

(1) ينظر: المرجع السابق،ص:150

**يرى أن الإعراب جاء ليفرق بينهما فرفع الفاعل بالضمة لأنه واحد واختص بها أما المفعولات فتعددها جعلها تنصب لخفة العلامة التي هي الفتح

***فمثلا يقول إن علة الجزم "لم" للمضارع أنها أردته الى الماضي، وإن كل حرف لزم الفعل وأحدث فيه معنى فله قسط من الإعراب

****يمنع ابن السراج التقديم في ثلاثة عشر موضعا(الصلة على الموصول، الصفة واتصف بها على الموصوف وجميع توابع الأسماء، المضاف إليه وما اتصل به على المضاف، ومن الضرورات الشعرية أن يضطر الوزن إلى حذف أو زيادة، أو تقديم أو تأخير وإبدال حرف أو تغيير إعراب)

(2) ينظر: مناهج الدرس النحوي،ص:169، وتاريخ النحو العربي،ص:288

(3) ينظر: ابن جني، كتاب الخصائص،ص:186

والتراكيب والدلالات، وقد أولى "ابن جني" اهتماما كبيرا بالسماع فألّف في القراءات، وجعل من القياس أساسا بني عليه آراءه اللغوية ، كما اهتمّ هذا العالم بعلم الصّرف ووضع مباحثا وأبوابا له، وكان له السّبق في تسمية نوع من التقليبات التي تجري على مستوى الكلمة أو الأصل بالاشتقاق الأكبر ففي معرض حديثه عنه يقول: "فهو أن تأخذ أصلا من الأصول الثلاثية فتعقد عليه وعلى تقاليبه الستة معنى واحدا تجتمع التراكيب الستة وما يتصرّف كل واحد منها عليه؛ وان تباعد شيء من ذلك عنه ردّ بلطف الصنعة والتأويل اليه كما يفعل الإشتقاقيون ذلك في التركيب الواحد".(1) وأتى بعد "ابن جني" "ابن الأنباري" صاحب كتاب "لمع الأدلة" وبسط فيه الموضوعات حسب توجيه الأصوليين فبدأ بالفصل ثم الفرع والعلة والحكم.*

ثم تأتي مرحلة التأويل والتقويم وفيها يمتدّ الدرس النحوي إلى الأندلس والمغرب، ويعدّ "ابن مضاء القرطبي" من أبرز علماء هذه الفترة، وله كتاب "الرد على النحاة" الذي دعا فيه إلى "إلغاء فكرة العامل فالذي يعمل الرفع والنصب والجر وغير ذلك في رأيه هو المتكلم".(2)

وشهد القرن السابع هجري، ظهور أوّل مصنّف مستقل في الصرف على يد "ابن عصفور الإشبيلي" (ت 669هـ)، وضمّ فيه مسائل صرفية كأبنية الإسم المجرد (الثلاثية والرباعية والخماسية) وأبنية الإسم المزيد، وحروف الزيادة كاللام في تلك و"ذلك" والهاء في "فه" والميم من مثل "دلامص" والأصل "دليص"، وتطرق إلى حروف الإبدال التي جمعها في (أجد طويت منهلا)، والحذف في المضارع من مثل وعد ووزن، وذلك بوقوعها بين ياء وكسرة، والإدغام الذي يقع في المثلين (الألف والهمزة) والمتقاربين من مثل (الجيم والكاف) و (الشين والميم). (3)

وحاصل النظر فيما سبق أنّ النحو العربي مرّ بمراحل عديدة، فمن اللبنة الاولى التي وضعها "أبو الأسود الدؤلي"، إلى دراسة العلاقة بينه وبين اللغة من خلال القراءات القرآنية والسماع كما هو

---

(1) الخصائص، ج2،ص:134

*ومن الأمثلة دلالة رفع الفاعل ما لم يسم فعله، أنه أسند إليه الفعل مقدما عليه فوجب أن يكون مرفوعا قياسيا على الفاعل، فالأصل هو الفاعل، والفرع ما لم يسم فعله، والعلة الجامعة هي الاسناد، وهو الحكم هو الرفع، ينظر: تاريخ النحو العربي،ص:380

(2) ينظر: التواتي بن التواتي، محاضرات في أصول النحو،دار الوعي للنشر والتوزيع، الجزائر، (د.ط)2008، ص:286

(3) ينظر: محمد مختار ولد أبّاه، تاريخ النحو العربي ، ص:273.276

الحال عند "عمر بن العلاء" إلى وضع قواعد وتعاليل وأوجه القياس وهي مرحلة مثّلها "قيس بن عمر" على سبيل المثال، لتأتي مرحلة وضع اللمسات الأخيرة بإضافات فرعية مثلما هو ملاحظ عند "الفراهيدي" و"سيبويه" ثم تأتي مرحلة الحصر و التنظير و على رأس ممثليها "ابن جني" و "ابن الانباري"، ولم تخلو مصنّفات النّحويين من علم الصرف أو التصريف الذي ظل مرتبطا بالمباحث النحوية في معظم مراحل نشأته إلى أن ظهر "ابن عصفور" الذي جعل من علم الصرف علما مستقلّا في كتاب أسماه "الممتع في التصريف".

3. بين الصرف والتصريف:

الصّرف مصدر للفعل (صرّف) وتدور دلالته في المعاجم العربية حول التبديل والتحويل والتغيير والتقليب، يقول ابن منظور:"هو تصريف الرّياح صرفها من جهة إلى جهة وكذلك تصريف الرياح جعلها جنوبا وشمالا وصرف الشيء أعمله في غير وجه، كأنّه يصرفه عن وجهه إلى وجه.(1)

وخصّص صاحب "الكتاب" له بابا فقال:" هذا باب ما بنت العرب من الأسماء من الصفات، والأفعال غير المعتلة، وما قيس من المعتل الذي لا يتكلمون به ولم يجيء في كلامهم إلا نظيره من غير بابه، وهو الذي يسمّيه النحويون التصريف والفعل. (2)

أمّا "الجرجاني" يعرفه فيقول:" اعلم أن التصريف تفعيل من الصرف، وهو أن تصرّف الكلمة المفردة فتولّد منها ألفاظ مختلفة، ومعان مختلفة".(3)

وهو عند "ابن مالك" علم يتعلق ببنية الكلمة وما لحروفها من أصالة وزيادة وصحة وإعلال وشبه ذلك. (4)

أمّا ابن هشام فيرى أنّ التصريف هو "تغيير في بنية الكلمة لغرض معنوي أو لفظي".(5)

(1) ابن منظور، لسان العرب، ج1،ص:498

(2) ينظر: سيبويه، الكتاب، ج1،ص:242

(3) عبد القاهر الجرجاني، المفتاح في الصرف، تحقيق علي أحمد، مؤسسة الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، 1981،ص:04

(4) ينظر: ابن مالك، تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، تح: محمد كامل بركات، دار الكتاب العربي، القاهرة، مصر،(ط1)، 1967،ص:240

(5) ابن هشام، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (ط2) ج4،2003 ،ص:360

والغرض المعنوي وفيه تتحول الكلمة من بناء إلى آخر من أجل الوصول إلى معان مقصودة لا تحصل إلا بها كالتصغير، الجمع والتثنية واسم الفاعل، واسم المفعول، والمصدر... أما الغرض اللفظي وهو التحول الذي يقع في بنية الكلمة ويغيّر من هيئتها لعلّة تتعلق باللفظ كالإبدال والإعلال، والقلب والإدغام.(1)

وما نلحظه في التعاريف السابقة أن العلماء استخدموا لفظة التصريف عنوانا لهذا العلم، ولم يكن اختيارهم اعتباطا، بل لذلك دلالة على المعنى الاصطلاحي الذي أرادوه وهو معنى :تغيير الأبنية من وضع إلى وضع، و من مثال إلى مثال، وقد استطاع المتأخرون أن يميّزوا بين المصطلحين "الصرف والتصريف"، فحيثما يتعلق الأمر بدراسة الأبنية الكلمة واشتقاقها أو ما يسمى بالعمل والتدريب وكثرة التمارين على حدّ قول "سيبويه"*، جاز أن يطلق على هذا العلم "التصريف"، أمّا في حال دراسة أصول الكلمة التي تبنى عليها معرفة أحوال الكلمة، والمسائل والقواعد التي وضعها العلماء جاز أن يطلق على هذا العلم الصرف.

4. بين الكلمة أو اللفظ والصيغة:

يشير "محمد يونس علي" في كتابه "المعنى وظلال المعنى" أنّ الكلمة في التراث لم تحض بمفهوم محدّد عند العلماء المتقدمين، ويرجع السبب في ذلك اقتناعهم بسهولة التعرف عليها في تطبيقاتها الإعرابية، وفي تصنيف المعاجم، أمّا المتأخرون منهم فقد وضعوا لها حدودا علمية، فكان "الزمخشري"(ت538هـ) أول من وضع تعريفا لها حينما قال:" اللفظ الدّال على المعنى مفرد بالوضع"، أمّا "يعقوب بن يوسف السكاكي" (ت626هـ) حدّدها بقوله:" اللفظة الموضوعة لمعنى مفرد" وعند صاحب شرح الشافية (ت 646هـ) هي "الكلمة لفظ وضع لمعنى مفرد"، وعند "بهاء الدين عبد الله

(1) ينظر: هادي نهر، الصرف الوافي، مطابع التعليم العالي، الجامعة المستنصرية،(ط1)1889،ص:157

*التصريف عند سيبويه هو أن تبني من الكلمة بناء لم تبنه العرب على وزن ما بنته، ثم تعمل في البناء الذي بنيته ما يقتضيه قياس كلامه، وهذا هو المعرورف عند المتأخرين "بمسائل التمرين" ينظر: خديجة الحديثي، أبنية الصرف في كتاب سيبويه،ص:24.

بن عقيل" "اللفظ الموضوع لمعنى المفرد"، ويخلص المؤلف من هذه التعريفات أربع خصائص وهي:[1] (كونها لفظة، دلالتها على المعنى، الإفراد والوضع).

أمّا الصيغة في المعاجم القديمة فتعني الهيئة، يقال: صيغة الأمر كذا وكذا أي هيئته التي بني عليها،[2] وهي مصدر للفعل صاغ، "ويقال صاغ شعرا وكلاما، أي وضعه ورتبه".[3] أمّا "الرضي" يعرفها فيقول: "المراد من بناء الكلمة ووزنها وصيغتها هيئتها التي يمكن أن يشاركها فيها غيرها وهـــي: عدد حروفها المرتبة وحركاتها المعينة وسكونها، مع اعتبار الحروف الزائدة والأصلية كل في موضعه".[4] أمّا عند المحدثين فهي:" القالب الذي تصاغ الكلمة على قياسه وتشمل كل ما يرجع إلى أصول اشتقاقية أي الأفعال والأسماء والصفات.

5. موضوع علم الصرف:

يدرس الصرف الكلمة المفردة في نفسها لمعرفة التغيرات الطارئة عليها سواء أكان ذلك لداع لفظي أو معنوي ، فهو يدرس : الأسماء المعربة ، والأفعال المتصرفة . ولا يدرس الأسماء المبنية كأسماء الإشارة والضمائر والأسماء الموصولة ولا يدرس الحروف ولا الأفعال الجامدة كعسى وليس ونعم وبئس . ولا توجد كلمة يدرسها الصرف تتألف من أقل من ثلاث أحرف وما كان ظاهره كذلك لا بد من حرف محذوف حينئذ نحو : دع هناك واو محذوفة وقل ، أصله : قَوَل.

1.5 الأفعال:

الفعل هو ما دلّ على معنى في نفسه ودلّ بهيئاته على الزمان.[5] وتأتي الأفعال ثلاثية أو رباعية: [6]

(1) ينظر: محمد محمد يونس علي، المعنى وظلال المعنى، أنظمة الدلالة العربية، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان،(ط2)2007،ص:270

(2) ابن منظور، لسان العرب، مادة (صاغ)، ج4،ص:237

(3) المصدر نفسه،ج4،ص:252

(4) الأستراباذي، شرح كافية ابن حاجب، تحقيق وشرح محمد محي الدين عبد الحميد وآخرين، دار الكتاب العلمية، بيروت لبنان،(ط1)،1998،ص:02

(5) ينظر: مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية،ج1،ص: 157

(6) محمد بن صالح العثيمين، شرح المقدمة الأجرومية، دار الإمام مالك للكتاب، الجزائر (ط2)، ،2010 ص:11

الثلاثية: يستخدم "المتكلّم" لإيصال رسالته صيغا لأفعال كثيرة، منها صحيحة ومعتلّة ويدخل في قسم الصّحيح (السّالم، المهموز والمضاعف)، أمّا المعتلة فيدخل (المثال، الأجوف، الناقص واللفيف)، وتتنوع من حيث الزّمن والحدث إلى ماض ومضارع وأمر وقد تكون بالنّسبة إلى فاعلها معلومة أو مجهولة، أمّا بالنسبة إلى عملها إمّا أن تلتزم بفعل أو تتعدى إلى مفعولين أو أكثر.

ويأتي الثلاثي المجرّد على ثلاثة أوزان (فَعَل وفَعِل وفَعُل)، أمّا المزيد ففيه اثنا عشر وزنا ثلاثة فيه حرف واحد (أَفْعَل، فَعَّل، فَاعل)، والمزيد بحرفين أوزانه خمسة: (انْفَعل، وافْعلّ، تَفعَّل وتَفاعل)، والمزيد بثلاثة أحرف فله أربعة أوزان (استفعل، إِفعوْعل، فعْوَّل، إفْعالّ).

الرّباعية: ولها وزن واحد، وهو (فعلل)، ويكون متعدّيا غالبا وقد يكون لازما، وقد يصاغ هذا الوزن بالنحت من مركب لاختصار الكلام، كقولهم "فلفلت الطّعام" (إذا وضعت فيه الفلفل)، أو "بسملت وحمدلت وحوقلت وحسلبت وسبحلت وجعفلت" (بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله، وحسبي الله، وسبحان الله، وجعلني الله فداءك)، ويسمّى هذا الصنيع (النحت)، وهو أن تختصر من كلمتين فأكثر كلمة واحدة ويشترط فيها اعتبار ترتيب الحروف.

أمّا المزيد بحرف واحد له وزن واحد وهو "تفعلل" والمزيد فيه حرفان وزنان "فعنلل، وفعلَلّ" ويلحق به ثلاثة أوزان من الثلاثي فيه ثلاثة أحرف وهي "افعَنْلل، وافعنْلى، وافتَعلى".

2.5 الأسماء:

يلجأ المتكلم إلى اختيار أسماء كثيرة ليعبر بها عن وظيفة تواصلية، والإسم: ما دلّ على مـــعنى في نفسه غير مقترن بزمان ويفيد الثبوت لا التّجدد والحدوث،[1] ولقد وضع له الصّرفيّون أقساما فمن حيث التجرد ميّزوا في الثلاثي عشرة أوزان (فعْل، فعِل، فعُل، فِعل، فِعِل، فُعل، فُعَل، فُعُل)، أمّا

([1]) ينظر: جامع الدروس العربية،ج2، جامع الدروس العربية، ت:أحمد زهوة، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان،(ط1) ،2009.ص:201 وتاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب، ص:276.274، ورضوان منيسى عبد الله، الفكر اللغوي عند العرب (ابو عبيدة)، دار النشر للجامعات2006،ص:157.151إبراهيم قلاتي، قضية الإعراب، دار الهدى، الجزائر،ص:70.65

([2])ينظر: خديجة الحديثي، أبنية الصّرف في كتاب سيبويه،ص:146

الرباعي المجرّد فله ستّة أوزان(فَعْلَل، فِعْلِل، فُعْلُل، فَعِلل، فِعَلل، فَعْلِل)، والخماسيّ المجرّد له أربعة أوزان: (فَعلَلَّ، فُعَلَّلُن فَعْلِلَّ، فِعْلَلٌ).

أمّا المزيدة وهي كثيرة، بلغت ثلاثمائة وثمانية أوزان، وزيد عليها نحو مائة وخمسين وزنا، والحروف المزيدة جمعت في قولهم "سألتمونيها". ويتميّز الإسم أو يختلف عن أجزاء الكلام بإلحاقه التنوين في آخره أو إقترانه بالألف واللام يسبقه حرف جر أو نداء والمسند إليه، وجمع ابن مالك هذه العلامات (علامات التصريف) في قوله: [1]

بالجرّ والتنوين والندا وال ومسند اسم تمييز حصل

وفي كتاب "اللغة العربية مبناها ومعناها" اجتهد "تمّام حسان" في وضع تقسيم مميز للإسم وجعله في خمس[2]

الاسم المعين: ويطلق عليه كذلك إسم الذات ويشمل الأعلام والأجسام.

اسم الحدث: ويدخل في نطاقه كل المصادر واسم المصدر واسم المرّة واسم الهيئة.

اسم الجنس: وهو أنواع كثيرة الجمعي كعرب وترك وإسم الجمع كإبل ونساء.

الميميات: أو الأسماء ذات الصيغ المشتقّة التي تبدأ بالميم الزائدة كأسماء الزمان والمكان وأسماء الآلة.

الإسم المبهم: ويندرج تحت هذا القسم كل الأسماء التي لا تدل على مسميّات معيّنة مثل فوق وتحت، وقبل وبعد، وأمام ووراء وحين ووقت وأوان.

3.5 المصادر:

المصدر: هو اللفظ الدال على الحدث، مجردا عن الزمان، متضمنا أحرف فعله لفظا أو تقديرا أو معوّضا.[3] ويكون مجرّا من الشخص والمكان وهو عند البصريين أصل المشتقات ويسميه سيبويه "الحدث". [4]

---

(1) ابن عقيل العقيلي، شرح ابن عقيل، تح حنا فاخوري، دار الجيل، بيروت لبنان،ج1،(د.ت)،ص:14

(2) ينظر:تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها،عالم الكتب، القاهرة، مصر،(ط3)،1998، ص:133

(3) جامع الدروس العربية،ج1،ص:13

(4) ينظر: خديجة الحديثي، أبنية الصرف في كتاب سيبويه،ص:208

وهو ثلاثة أنواع: [1] الأول قياسي، وهو الذي نستطيع أن نقيس عليه مصادر الأفعال التي وردت عن العرب، والثاني سماعي، وهو الذي يسمع في الفعل خارجا عن الوزن القياسي الذي يجب أن يكون عليه والمصدر الصناعي، وهو المصوّغ بإضافة "ياء النسبة" إلى اسم مفرد، بـ "تاء التأنيث" للدلالة على صفة فيه ويكون ذلك في الأسماء الجامدة كالحجرية، والإنسانيّة، والحيوانيّة، والكميّة والكيفيّة.

وينسقم إلى قسمين: مصدر للفعل الثلاثي المجرد ومصدر غير ثلاثي أو لما فوقه..

المصدر الثلاثي:وتأتي على التقدير **"فعْل"**، وهو المصدر الأصلي للأفعال الثلاثية المجردة، وعلى "فَعَل، وفعْلَة، والفعلان والفعلان"، و"فعل وفعلة، وفعل وفُعول وفُعُولية وفُعْليا وما كان مفتتح المصدر منه غير مفتتح الفعل. [2]

المصدر الرباعي:وتأتي على الأوزان التالية، الفِعلال والفَعْللة، والإفْعال، والفعال والمفاعلة والإفْتعال، والتفعّل، والتفعْليل والإستفعال، ويأتي الرباعي مزيدا "بالتاء" نحو "التفعال".

المصدر الميمي: ويكون على وزن "مِفعَل" في جميع الأفعال عدا ما كان معتلا الفاء بالواو مكسور العين في المضارع، فإنّه بجيء "مَفعِل". [3]

اسم المرّة: وهو المصدر الذي يدلّ على حدوث الفعل مرّة واحدة، وله في الثلاث المجرد بناء واحد هو "فَعلة" نحو "قعد قعدة" و"ضرب ضربة". أمّا في الثلاثي المزيد والرباعي المجرّد والمزيد فيأتي على وزن مصدره المستعمل بزيادة التّاء نحو "أكرم إكرامة" و "عذّب تعذيبة". [4]

المصدر الصّناعي: وهو المصوغ بإضافة ياء النسبة إلى اسم مردفة بتاء التأنيث للدلالة على صفة فيه، ويكون ذلك في الأسماء الجامدة والإنسانية والحيوانية والكمية والكيفية، فالإنســـــانيّة هي الصفة

---

(1) المرجع السابق،ص:209

(2) ينظر: الفكر اللغوي عند العرب،ص:187، وجامع الدروس العربية،ج1،ص:127، وخديجة الحديثي، أبينة الصرف في كتاب سيبويه،ص:211

(3) ينظر: سيبويه، الكتاب،ج2،ص:241

(4) ينظر: المصدر نفسه، ص:250

المنسوبة إلى إنسان، والحجريّة إلى الحجر.(1)

4.5 المشتقّات:

المشتق أو **الإشتقاق** هو "أخذ كلمة من أخرى بينهما تشابه في المعنى بتغيير في اللفظ".(2) والمشتقّات عند الصرفيين سبعة، أسماء الفاعلين والمفعولين، والصفات المشبهة، واسم التفضيل، وأسماء الزمان والمكان والآلة.(3)

ويعمد المتكلم إلى استخدام هذه الصّيغ أو المشتقات لإنجاز التأثير الأقوى على السامع أو المتلقي بهدف المحاججة والإقناع أو بالتعبير عن وجهة نظره كما هو الحال عند شاعرنا "الأمير عبد القادر" الذي يضع صيغه في سياقات مناسبة وبتوجه من المقام الذي يستدعي صيغة دون أخرى، لترتبط بعنصر دون آخر في ظروف خاصّة لأداء الوظيفة المقصودة من الكلام وبهذا الإستدعاء تتحقق تداولية المفردة أو الصيغة وتأثيرها في المتلقي ويتحقق الإقناع.(4)

6. اختيار الصيغ الصرفية وتداوليتها:

1.6 تداولية الصيغة الصرفية:

يعمد المتكلم إلى اختيار صيغ لتراكيبه الكلامية من مخزونه اللغوي بغية توصيل أو إبلاغ رسالته، وانتقاؤه لكلماته إنّما يأتي عن قصد حتى تحصل الفائدة لدى السامع من الكلام، وأولى علماء العرب اهتماما كبيرا لمسألة الاختيار فها هو صاحب "الدلائل" يؤكد على أهمّيته ويجعله شرطا للكلام البليغ فيقول:"لا فضيلة حتى ترى في الأمر مصنعا وحتى تجد إلى التخيّر سبيلا".(5)

وفي معرض حديثه عن النظم أو التركيب اللغوي يبيّن "الجرجاني" أسبقية اختيار الوحدات اللغوية عن الترتيب أو تحديد مواقعها وفق ما يقتضيه قصد المتكلم، لأن الاختيار لا يأتي عشوائيا،

---

(1) ينظر: خديجة الحديثي، أبنية الصرف في كتاب سيبويه، ص:209

(2) عبد الهادي الفضلي، مختصر الصرف، دار القلم، بيروت، لبنان (د.ط)(د.ت)،ص:57

(3) ينظر:جامع الدروس العربية، ج3،ص:120، عبد الهادي الفضلي، ومختصر الصرف، ص:57، الفكر اللغوي عند العرب،ص:205

(4) ينظر: صابر الحباشة، التداولية والحجاج، صفحات، دمشق، سوريا، 2008،ص:56

(5) دلائل الإعجاز، ص:141

وإنّما عن قصد أو غرض تواصلي، وفي هذا السّياق يقول: "وجملة الأمر أنّه لا يكون تركيب في شيء، حتى يكون هناك قصد إلى صورة وصنعة". (1)

ويربط "الجاحظ" اختيار اللفظ وفقا لوظيفته المرتبطة بالمقام وظروف الخطاب وملابساته مؤكّدا فكرة "بشر بن المعتمر" في المطابقة قائلا:" إن سخيف المعاني إنّما يشاكله سخيف الألفاظ فالعبرة بالمعنى وأحوال المستمعين النفسية". (2)

ويرى "أبو سليمان بن محمد إبراهيم الخطابي"(ت388هـ) أنّ اختيار أجزل الألفاظ وأفصحها في القرآن الكريم يفضي إلى تعميق القدرة التعبيرية عن المعنى المراد، وفي هذا المضمار يقول: "واعلم أنّ القرآن إنّما صار معجزا لأنّه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف مضمنا أصحّ المعاني". (3)

ومن الشواهد التي رأى فيها "الخطابي" اختيارا نموذجيا للألفاظ قوله تعالى ﴿وانْطَلَقَ المَلَأُ مِنْهُمْ أَن امْشُوا واصْبِروا عَلَى آلِهتِكُمْ﴾ (4) يعزى سبب إعطاء أولوية استخدام كلمة "امشوا على حساب بعض الكلمات الأخرى كـ "امضوا" هو اقتراب هذه الكلمة من المعنى القصدي الذي يريده الله تعالى لأنّه "قصد به على العادة الجارية ولزوم السجية المعهودة في غير انزعاجه منهم ولا انتقال عن الأمر وذلك أشبه بالثبات والصبر المأمور به في قوله تعالى "واصبروا على آلهتكم"* والمعنى كأنّهم قالوا "ولا تبالوا به ، وفي قوله "امضوا وانطلقوا" زيادة انزعاج ليس في قوله "امشوا ولا تقوم لم يقصدوا ذلك ولم يريدوه". (5)

ويمكن أن نستخلص فيما سبق ذكره:

---

(1) المصدر نفسه،ص:253

(2) الجاحظ، البيان والتبيين،ج1،ص:145

(3) الخطابي أبو سليمان بن محمد إبراهيم، إعجاز القرآن، تحقيق محمد خلف الله أحمد ومحمد زغلول،دار المعارف (ط3)(د.ت)،ص:27

(4) سورة ص،الآية:06

*جاء في "تفسير القرآن العظيم:" لما يدعوكم إليه محمد من التوحيد، ينظر: إسماعيل بن كثير الدمشقي، تحقيق مصطفى السيد، محمد، ومحمد فضل العجماوي، محمد سيد رشاد، وعلي أحمد عبد الباقي،مجلد12، مؤسسة قرطبة، الجبزة مصر،(ط1)،2000،ص:84

(5) الخطابي، إعجاز القرآن،ص:145

1. أنّ اختيار المتكلم ألفاظا لتراكيبه اللغوية في نظر "الجرجاني" يأتي عن قصد، وهو مبدأ ركّز عليه التداوليون الذين ربطوا التراكيب اللغوية بالقصد العام من الكلام.

2. ربط اللفظ المختار بالمقام وظروف الخطاب وملابساته ليؤدي وظيفة تواصلية كما هو الحال عند "الجاحظ" من التنظيرات الحديثة التي أقرّتها اللسانيات التداولية والتي تعمل على دراسة اللغة في ضوء الإستعمال والسياق بنوعيه (اللغوي والموقف).

3. تختار الكلمة لدرجة شدتها أو قوتها الإنجازية (**FORCES ILLOCUTION**) لأداء وظيفة مقصودة من الكلام، فبالرغم من التشابه الكبير القائم بين الكلمتين "امشوا" و"امضوا" إلّا أنّهما يختلفان في درجة القوة الإنجازية، فـ"امشوا" فعل كلامي إنشائي مباشر ذو بعد مقصدي موجّه إلى المتلقّين للتأثير فيه.

2.6 صيغ الأفعال في ديوان الأمير عبد القادر الجزائري:*

لقد بات واضحا أنّ رصد خصائص التداولية يرتبط دائما بطرفي العملية التواصلية(المتكلم والسامع)، أي أثناء الأداء الحي والنطق الفعلي للغة، وقد يعترض البعض على أن تناول النص مكتوبا مضى زمن على إنشائه وأدائه، لكن ما غاب عن هؤلاء المعترضين أنّ التداولية أعادت المبدع للواجهة بتركيزها على قصديته ومنحت النص فرصة إظهار هذه المقاصد، إذ جعلت فعل التلفظ يفضي إلى إنجاز ما، ويحتاج هذا الإنجاز إلى إضافة تأويلية لفهمه وإدراكه، لهذا ميز "عبد السلام المسدي" ثلاثة أنواع من التداولية.**

- تداولية حقيقية: مجالها دراسة استعمال اللغة أثناء النطق بها.
- تداولية افتراضية: ومجال دراستها النصوص المحكية، كأن تتصور واقعا حيا لأدائه وتفترضه، لترصد الخصائص المطلوبة بعد ذلك.

تداولية إبداعية: تهتم بدراسة النص من حيث بناه التي حددتها مواقف تواصلية معينة، فتكشف العلاقات القائمة بين هذه المواقف وبناها وترصد ما يتعلق بالمتكلم والسامع.

1.2.6 صيغ الأفعال الثلاثية:

الثلاثي المجرّد (فعَل، فعُل، فعِل): ومن أمثلتها في شعر الأمير عبد القادر:

(الوافر)[1] **ألا قُل للتي سَلـــــَبت فؤادي وأبْقَـــتني أهـــــيم بِكل واد**

*هو الأمير عبد القادر بن محي الدين بن مصطفى، بن محمد، بن مختار، بن عبد القادر، بن أحمد المختار، بن أحمد المشهر بابن خدة، بن محمد بن عبد القوي، بن علي بن أحمد، بن عبد القوي، بن خالد، بن يوسف، بن أحمد، بن بشّار، بن محمد بن مسعود، بن طاوس، بن يعقوب، بن عبد القوي، بن أحمد بن محمد، بن إدريس الأصغر، بن إدريس الأكبر، بن عبد الله المحض، بن الحسن المثنى، بن الحسن السبط، بن علي بن أبي طالب، وأم الحسن فاطمة الزهراء بين سيد الوجود محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم. وكان يكنى بأبي محمد، أمّا ألقابه فهي متعددة أطلقت عليه في المناسبات المختلفة منها أمير المؤمنين، ناصر الدين، الأمير، ابن الراشدي، ابن خلاد، ولد سنة(1222هـ) الموافق لشهر ماي (1807م) بقرية وتسمى القيطنة، معسكر الغرب الجزائري، التحق بمدرسة القيطنة، حتّى أصبح في عداد حفظة القرآن الكريم متمكنا من الحديث وأصول الشريعة، ثم قرر أبوه إيفاده إلى وهران فأخذ من علمائها، حيث طالع كتب الفلسفة والحساب والجغرافيا، وفي سنة (1243م) أدّى فريضة الحج، بعد رحلة كانت ذات أثر كبير في حياة الأمير عبد القادر الذي أخذ مباشرة بعد عودته في اعتزال الناس والإنصراف إلى العبادة والدراسة، بويع الأمير سنة (1852م) وخاض معارك كثيرة ضد المحتل وألحقه خسائر، واستسلم سنة (1847م،). وأسر الأمير في قلعة "الاماق" بفرنسا بعدما أخلت بوعدها، ثم غادرها سنة (1852م)متجها إلى "تركيا" ثم "دمشق" واستقر فيها إلى أن وافته المنية يوم 24 ماي (1883م) .

** في لقاء خصه الأستاذ خليفة بوجادي مع الباحث عبد السلام المسدي على هامش ملتقى اللسانيات بقسنطينة أفريل 2004، ميّز هذا الأخـــــير

(الوافر)[1] **أبكيها فتَضْحك مـــِـلء فيها وأســـهر وهِي في طِيب الرّقاد**

(الطويل)[2] **عسَى ولعلَّ الله أن يبرد الأسَى فإنَّ رَجاء الوَصل بعـْـض دواء**

الفعل	أصله	نوعه	معناه
سلبت	سَلَب	فَعَل	التّجريد، الإنتزاع بقوة
أسْهر	سهِر	فعِل	الإمتناع (عن النّوم)
يَبرد	برُد	فَعُل	الإتصاف

النّاظر في الشواهد السابقة يجد أنّ صيغ الأفعال قد لاءمت السياق لكل بيت، واختيارها كان وسيلة من ورائها قصد المتكلم، لأنّ الغاية التي كان يبغيها هي الإقناع من جهة والتعبير عن الشّعور من جهة أخرى، ففي البيت الأول اختار "الأمير" صيغة "فعل" في قوله "سلبت" لتفيد التجريد والإنتزاع بقوة، وقد ذكر "ابن مالك" في التّسهيل أنّ "فعَل" بالإضافة إلى دلالته على غلبة المقابل ونيابته عن "فُعل" يجيء على معان أخرى منها: الجمع، والتفريق والإعطاء والمنع والإمتناع، والإيذاء والغلبة والتحويل والإستقرار والسير والسّر والتجريد والرمي والإصلاح والتصويت.[3]

ويقع اختيار الشاعر في البيت الثاني على صيغة "فعِل" نحو قوله في المضارع "أسهر" من الفعل الثلاثي المجرّد "سهِر" ليفيد الامتناع عن النّوم، فلقد امتنع أميرنا عن الرّقاد والسّبب في ذلك كما هو

ثلاثة أنواع من التداولية كما هو مبين أعلاه، ينظر: خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مقاربة بين التداولية والشعر، دراسة تطبيقية، بيت الحكمة، 2012،ص:24

(1) ديوان الشاعر الأمير عبد القادر الجزائري،1807م-1883م، جمع وتحقيق وشرح وتقديم الدكتور العربي دحو، دار ثالة للطبع،الجزائر،2007،ص:57

(2) الديوان،ص:58

(3) الديوان،ص:58

(4) ينظر: أبو أوس ابراهيم الشمسان، أبنية الفعل، دلالتها وعلاقاتها، دار المدينة، جدة، المملكة العربية السعودية،1987،ص:14

عند كل عاشق مستهام، انشغاله بمحبوبه، وكيف لا وهو يرجو لقاء طيفه مثلما صرّح في قصيدة "جودي بطيف" لكن المحبوب ينعم بجميل الرقاد، بينما شارعنا يظل يراقب النجوم ساهرا.

أمّا البيت الثالث وردت صيغة فعُل" نحو قوله:" يُبرد" من الفعل "برُد" ويدل على الإتصاف، والبيت مجتزأ من قصيدة "ليس للحب دواء" ومناسبتها إجابة الأمير عن سؤال طرح في مجلس من مجالسه بفرنسا وهو "هل للحبّ دواء"، فاختلف في شأنه، فمنهم من عدّه مرضا، ومنهم من عدّه طبيعة فردّ الأمير عليهم بـ : ليس للحب دواء،[1] لأنّه قد عاش هذه التجربة، فالسبيل الوحيد للتخفيف من حدّته هو التّوجه بالدعاء إلى الله سبحانه وتعالى عسى أن يخفف شدّته.

2.2.6 صيغ الأفعال المزيدة بحرف:

يقول الأمير:

(الكامل)[2]**كم نافسواكم سارعوا،كم سابَقوا** **مِن ســـابق لفضائل وتفضُّــــــل**

(الطويل)[3] **لِتُرسل لي عنْد الوفَــاة مبـــشّرا** **بِرضوانك الأَوْفى وفوزي في الحَشر**

(الطويل)[4]**أُسائِل كلّ الخَلق هَل منذ مخْبِر؟!** **يُحدّثني عنْكم فينعشــــــني الخَبـر**

إنّ الشّاعر في اختياره أبنية الأفعال لم يكن بمنأى عما تمليه قيود المقام، واختياراته جاءت تبعا لوظيفة الأبنية المرتبطة بمقاماتها وسياقاتها، ويمكن أن نبيّن ذلك من خلال الشواهد الثلاثة السّابقة:

الفعل	أصله	وزنه	معناه
نافسوا سارعوا سابقوا	نافس سارع سابق	فاعَل	المفاعلة (المشاركة)

(1) ينظر: زكريا صيام، ديوان الأمير عبد القادر الجزائري، تحقيق وشرح وتعليق، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1998ص:250

(2) الديوان،ص:86

(3) الديوان،ص:114

(4) الديوان،ص:107

ترسل	أرسل	أفعل	الجعل
يحدّثني	حّث	فعّل	التكثير

في الأبيات الثلاثة جاءت أبنية الأفعال متّسقة ومنسجمة مع ما يفرضه السياق، فالأفعال الثلاثية المزيدة بحرف (نافس، سارعوا، سابقوا) قد دلّت على المفاعلة من "فاعل" و"فاعل" "النسبة أصله إلى أحد الأمرين متعلقا بالآخر للمشاركة صريحا فيجيء العكس ضمنا".[1] فمن قول الشاعر نافسوا وسارعوا وسابقوا ينسب أصل الأفعال إلى عناصر جيش الأمير عبد القادر ولكنّها تجيء من غيرهم ضمنا، لأنّ صيغة "فاعل" جاءت تؤدّي معنى وهو المفاعلة أو المشاركة، وفي هذا السياق يقول سيبويه:" إذا قلت: فاعلته، فقد كان من غيرك إليك مثل ما كان منك إليه حين قلت فاعلته".[2]

أمّا البيت الثاني، وقع اختيار الشاعر على فعل ثلاثي مزيد بحرف، وهو على وزن "أفعل"، فالفعل "أرسل" هو فعل متعدي إلى مفعول به "مبشرا" وقد دلّ على الجعل، وربما يسمى الجعل تعدية على نحو ما عند "الزمخشري" والسبب أنّ مفهوم التعدية هي "أن يجعل ما كان فاعلا للازم مفعولا لمعنى الجعل فاعلا لأصل الحدث على ما كان".[3] وجاء الفعل " ترسل" متماشيا مع السياق اللفظي العام للقصيدة ومع جوّها، لأنّ موضوع القصيدة يدور حول أمر غيبي هو أجل الشاعر، فنجده متضرّعا ومتوسلا ومتذللا إلى الله سبحانه وتعالى ليرسل له مبشرا، واختياره لهذا الفعل إنّما كان عن قصد، لأنّ الإرسال يكون من الطرف الأول إلى الطرف الثاني وأن يجمع الطرفين علاقة، وشاعرنا قد سبق وعرّج إلى ربه من قبل(العروج الصوفي).

وفي عجز البيت الثالث ترد صيغة "فعّل"، اختارها الشّاعر للدلالة على التكثير، والنسبة إلى أصل الفعل نحو "حدّث" أي نسبة إلى الحديث، وقد لاءمت هذه الصيغة السياق اللفظي للقصيدة،

([1]) شرح الشّافية للرضي، ج1،دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،(د.ط)1995،ص:96

([2]) سيبويه، الكتاب، ج4،ص:68

([3]) أبو أوس إبراهيم الشمسان، أبنية الفعل دلالاتها وعلاقتها،ص:22

وخاصة ونحن نقف أمام ذات صوفية والهة متمزقة تستغيث بشيخها التي تنتظره وهي "تسائل كل الخلق" وهو ضرب من المجاز يناسب حالة الشاعر لأنّه يريد أخبارا وأحاديث كثيرة عنه لتنعشه.[1]

أسائل كُّل الخَلق هل مخْبرٍ   يُحدِّثني عَنْكم فيُنعشُني الخبَر

3.2.6 صيغ الأفعال المزيدة بحرفين:

يقول الأمير:

(الكامل)[2] **يَا صـــاح أنَّك لو حَضرْت سَماءنا   وَقْت انشــقاقها حـــين لا تـــتماسكُ**

(الطّويل)[3] **فما ارتَدّ من وَقع السماء عنَـــانه   إلـــى أن أتَاه الفـــوز راغم من عنوى**

(الطويل)[4] **إذا ما اشْـتكت خيْـــلي الجِراح   أقُول لها صَبرا كصبري وإجمالي تحمحما**

(الكامل)[5] **جَاء السـرّور مصاحـبا بقـُـدومه   وانزاح ما قـــــدكان قـــبل ملازمي**

(الطّويل)[6] **خليلي! قل:لي كَيـف أمْسَيته؟! إنـّي   تَحمّلت حُزنا مِنك بـــــغيا له رِضــوى**

ويمكن أن نبيّن أصل ونوع ومعاني الأفعال المزيدة بحرفين في الجدول التالي:

الفعل	أصله	وزنه	معناه
تتماسك	تماسك	تفاعل	المشاركة بالفعل
ارتدّ	ارتدّ	افْعَلّ	الرجوع
اشتكى	اشتكى	افتَعل	للزيادة على معنى "شكى"
انزاح	إنزاح	انْفَعل	الإزالة والإبتعاد والإفتراق

(1) الديوان،ص:107
(2) الديوان،ص:129
(3) الديوان، ص:53
(4) الديوان،ص:149
(5) الديوان،ص: 90
(6) الديوان، ص:70

تحمّل	تحمّل	تفعّل	التكلّف

يختار الأمير عبد القادر صيغا لتراكيبه ليعبر بها في سياق معين عن وظيفة تواصلية محدّدة بدقة، فنجده في البيت الأول اختار صيغة "تفاعل" وهي تدل على المشاركة، وأكّد "سيبويه" معناها حين قال:"وأمّا تفاعلت فلا يكون إلّا وأنت تريد فعل اثنين فصاعدا".[1] والبيت الشعري مجتزأ من قصيدة "لو حضرت"، ويصف فيها الشاعر لحظة "عروجه الصوفي" إلى "الحق"، فتشرع السماء في الانشقاق، وهي لحظة لا تتماسك أجزاؤها على حدّ تعبيره ، واختيار الشاعر لهذه الصيغة أو الكلمة المسبوقة بحرف نفي "لا" ليعبّر بها عن حدث عظيم وهو بداية العروج وينتهي إلى الحضرة الإلهية مثلما عبّر بها البيت الأخير من القصيدة.

ويقع الإختيار الثاني على صيغة "افعلّ" بمعنى الرجوع في البيت الثاني، والوزن مقصور من "افعالّ" لطول الكلمة ومعناها كمعناها".[2] وتأتي كلمة "ارتدّ" في سياق الفخر والحماسة، فالشاعر يصف شجاعة أخيه "أحمد بن محمد سعيد" الذي استشهد في معركة "خنق النطاح"، فبالرغم مما أصابه من وقع السهام لم ينسحب من المعركة أو لم "يرتدّ" إلى أن أتاه الفوز أي "الشّهادة".

أمّا البيت الثالث ورد فعل ثلاثي مزيد بحرفين على صيغة "افتعل" وتأتي لمعان وأغراض تواصلية، وفي هذا البيت وردت للمبالغة في معنى الفعل أو الزيادة في معنى "اشتكى"، وخيل الأمير تشتكي لأنها شاركته معارك كثيرة وأصيبت مرات عديدة. في عجز البيت الرابع اختار الشاعر صيغة "انفعل" في قوله "انزاح"، للدلالة على الإزالة والابتعاد، والأمير قال هذا البيت حينما استقبل صديقه "محمد الشاذلي" وهو قطب من أقطاب الصوفية، فسرّ الأمير بلقائه، وزال ما كان يلازمه أي نسي كل همومه وما كان يشغل باله.

([1]) الكتاب، ج4،ص:69

([2]) أبو أوس إبراهيم الشمسان، أبنية الفعل دلالتها وعلاقتها،ص:26

وقع اختيار الشاعر في البيت الخامس على صيغة "تفعّل" ودلالتها كثيرة تحدد بحسب السياق، فقد تختار لمطاوعة الفعل أو للتكلف، [1] والبيت الشعري مطلع قصيدة "نعمة الشفا" قالها الشاعر حينما عاد صديقه "الشاذلي" في مرضه فلم يجده في بيته وتركها له في المنزل،[2] وغياب "الشاذلي" جعل الأمير يتكلّف حزنا.

4.2.6 صيغ الأفعال المزيدة بثلاثة أحرف: ولم نجد إلّا صيغة "استفعل".

يقول الأمير :(البسيط) [3]

تسْتنشق نَسِيما طَاب منْشقا يزيد في الرّوح، لم يمرر على قَذَر

اختار الشاعر صيغة "استفعل" للدلالة على المصادفة، والبيت الشعري مجتزأ من قصيدة "ما في البداوة عيب"، وفيها ينـــتصر الشاعر للبادية ويوجه دعوته إلى من انتـــــصر للحضر، لزيارة البادية فأول ما يصادفه هو استنشاق النسيم الطيّب على عكس المدينة.

5.2.6 صيغ الأفعال الرباعية المجردة:

وله وزن واحد وهو "فعلل"و ومن شواهده في الديوان، يقول الأمير:(البسيط) [4]

واهْدُم وزلزِل وفرِّق جَمع شانئه واجْعَل فُؤادهم بالرّعب ملآنا

البيت الشعري مجتزأ من قصيدة "توسلات ودعاء" وفيها يدعو الشاعر ويتوسل إلى ربه من أجل نصرة الدولة العثمانية في معركتها مع روسيا في جزيرة القرم عام 1953، [5] واختار الأمير لتركيبه صيغة "فعْلل" في قوله "زلزل" وهي تعبّر عن المطاوعة لحظة الشروع في الفعل بسرعة وطواعية،[6] والصيغة لاءمت السياق العام للقصيدة لأنّها تعبر عن الهلاك أو ما كان يقصده الشاعر من خلال دعائه وتوسلاته إلى الله سبحانه وتعالى، وخاصة أن الأمير تجمعه صداقة مع سلطان الدولة العثمانية.

---

(1) ينظر: الأسترابادي، شرح كافية ابن حاجب، ج1،ديوان المطبوعات الجامعية، بيروت، لبنان،(د.ط)،1995،ص:104

(2) ينظر: زكريا صيام، ديوان الأمير عبد القادر،ص:263

(3) الديوان،ص:50

(4) الديوان،ص:92

(5) ينظر: زكريا صيام، ديوان الأمير عبد القادر، ص:185

(6) ينظر: الأسترابادي، شرح شافية ابن حاجب، ج1،ص:108

وجملة القول إنّ الأمير عبد القادر (المتكلم) يختار لتراكيبه صيغا أو أبنية أفعال ثلاثية مجردة ومزيدة رباعية ليعبر بها عن ووظيفة تواصلية بدقة وعن قصد، من أجل إقناع "السامع" أو (المتلقي) بأفكاره والدفاع عن مواقفه أو للتعبير عن شعور، وتظهر تداولية اختيار هذه الصيغ حينما نربطها بالمقام والسياق وحينما نراعي قصدية المتكلم.

3.6 اختيار صيغ المصادر في الديوان:

1.3.6 اختيار صيغ المصادر الثلاثية:

في ديوان "الأمير عبد القادر" تختلف مباني المصادر باختلاف أفعالها، ويختارها الشاعر في مواضع كثيرة ليؤكد بها معنى الصفة في الموصوف بالفعل، و ظهرت في شعره على أوزان كثيرة، ويختار الشاعر المصدر ليتواصل مع غيره ويعبر عن غرضه.

يقول الأمير:

(الوافر)[1] **إذَا عنها توانى الغَيْر عجْزا فنَحن الرّاحلون لها العِجال**

(البسيط)[2] **كَم غمة كَشفوا؟ كم كُربة رفعوا؟ وكم أزاحُوا عن الإسْلام عُدوانا؟**

(الوافر)[3] **فَإن رضيت عليّ أَرت محِبّا بشوشا بالمَلاحة ظَلّ باد**

(الطويل)[4] **ليَالي صَدوحٍ وانقطاع وجَفوة وهِجران سَادات فلا ذكْر الهجر**

(الوافر)[5] **بِطاح بها الصّيد الحلال محرم ومَن حلها حاشَاه يبقى له وزْر**

(الوافر)[6] **فَما في الذّل للمحبوب عار سبيل الحُب ذل للمراد**

المصدر	وزنه	فعله	دلالته

([1]) الديوان،ص:46

([2]) الديوان،ص:93

([3]) الديوان،ص:102

([4]) الديوان،ص:112

([5]) الديوان،ص:108

([6]) الديوان،ص:90

عجز	فعْل	فَعِل(عَجِز)	عدم القدرة
كربة	فعلة	فَعَل(كرب)	المشقة والثقل
ملاحة	فَعالة	فَعُل(ملُح)	الحسن والجمال والعذوبة
هجران	فِعلان	فَعَل(هَجَر)	الترك والإبتعاد
وزر	فِعْل	فَعَل(وزر)	الذنوب والآثام
ذلّ	فُعْل	فَعَل(ذَلَّ)	الهوان والخضوع

إنّ الناظر في الشواهد المتعلقة بأبنية المصادر يجد أنّ استخدامها كان لوظيفة تواصلية مقصودة، لأنّ الشاعر يختار من صيغ المصادر ما يخدم غرضه، وما يتناسب مع السياق أو الموقف والمقام، فموقف الشاعر في البيت الأول موقف بطولة وشجاعة وأخلاق، فإن غيره لم يقدر على مساعدة وإغاثة الضعيف فإنّه قادر على هذا الفعل مهما كانت انتماء هوية المستجير، وذلك لأنّ الفروسية العربية لم تعرف إلّا التخصيص ولا تعرف الذاتية الموجودة الضيقة فهي للجميع.

أمّا البيت الثاني الذي اجتزأناه من قصيدة "توسلات ودعاء" يتوجه بها الأمير عبد القادر إلى ربه متضرعا داعيا ينصر إخوانه العثمانيين في جزيرة القرم، وفيه يقع اختياره على صيغة "فعلة" في قوله "كربة" لتدلّ على المشقة والتي ما توانى عنها المجاهدون من رفعها عن المستضعفين والمضطهدين، والصيغة لاءمت السّياق اللغوي وموقف الشاعر، وكان للمقام دورا في اختيارها، فالشاعر يريد بدعائه الملحاح وتضرعه الصادق يستحضر كلمة "كربة" من مخزونه اللغوي والمعجمي الذي يفيض بألفاظ دينية وإسلامية وبعلم جزاء من يفرج كربة من أخيه من كرب الدنيا لقول رسول الله صلى الله عليه

وسلّم :"مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنيَا نفَّسَ الله عَنْه كُربَةً مِنْ كُربِ يَوْمِ القِيَامَةِ".(رواه مسلم).[1]

ويوجّه الشاعر خطابه في البيت الثالث إلى "بنت العم" ويقع اختياره على صيغة "فَعالة" في قوله "مَلاحة" فهو يطلب رضاها، فإن رضت عنه فلن ترى إلّا محبا طليق الوجه ومشرق بالجمال أو "الملاحة"، وللمقام دور في اختيار الشاعر لهذه الصيغة، فالموضوع أو الحدث هو تغزّل الشاعر بزوجته مما جعل الشاعر يستعمل معجما خاصّا يختار منه هذه الصيغة لتركيبه والغاية المنشودة هو إقناع السامع أو المتلقي.

ويستخدم في البيت الرابع وزن "فِعلان" في قوله "هِجران" ليدلّ على الترك والابتعاد، فليله حالك وهو بحاجة إلى نور أو ضياء ليخفف عنه الخوف والصراع والقلق، ولن يحصل هذا إلا بلقاء "السادة" ويقصد بهم "الصوفية" أو "أستاذه الصوفي" "محمد الفاسي"، واختيار الشاعر لهذه الصيغة جاء ليبرر أسباب الحالة النفسية التي كان يعيشها قبل البشرى الكبرى، أو الفتح الرباني.

وتأتي صيغة "فِعْل" في قوله "وزر" في البيت الخامس متسقة ومنسجمة مع المفردات الأخرى ومع ما يفرضه السياق لتؤدي الوظيفة المنوطة بها لتتحقق غاية الشاعر، وهي تعبير عن إحساس أو عن شعور وهو في البطاح، أو بيت الله المعظّم الذي جعله حرما آمنا يحرم فيه الصيد مع أنّه مباح في بقية الأنحاء الأخرى، والصيغة قد اختيرت في مقام الخشوع والتدبر لتؤدي وظيفة تواصلية محددة بدقة، فكلّ من حلّ بالبطاح وأدّى مناسكه كما سنّها له الشرع غفرت له ذنوبه، ولم يبق له شيء من أوزار أو آثام وذنوب.

واختيار الشاعر صيغة "فُعْل" في قوله "ذل" لتدلّ على الخضوع والهوان كما هو ظاهر في البيت السادس، فالمحبّ قد تنازل عن كبريائه أمام محبوبه، وهذا ما يحصل عند الشاعر حينما يتعلّق الأمر "بابنة العم" عند محادثتها أو مكاتبتها، والشاعر يريد أن يوصل هذه الفكرة إلى المتلقي لإقناعه، ومفادها أن المحب قد يتنازل عن أثمن شيء يملكه أمام المحبوب شريطة أن يبادله الشعور نفسه.

([1]) يحيى بن شرف الدين النووي، شرح متن الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية، مكتبة دار الفتح، دمشق، سوريا،(ط4)،1984،ص96.

2.3.6 اختيار صيغ المصادر غير الثلاثية:

ومن أشهر صيغها في ديوان الأمير عبد القادر:

(الطّويل)[1] **كساه رَسول الله ثوب خــِلافة   له الحُكم والتّصـــــريف والنـهي**

(الطّويل)[2] **أقول لمَحبوب تَخلّف من بعدي   عَليك بأوجـــاع الفِراق والبــعد**

(الطويل)[3] **فَما همّتي إلا مـــُـقارعة العدا   وهَزمي أبْطالا شــــداد بأبْـطالي**

المصدر	وزنه	فعله	دلالته
الفراق	الفعال	فرّق(فَعْلُل)	الإنفصال والتباعد
التصريف	التفعيل	صرّف(فَعْلَل)	الإمتثال للأوامر
مقارعة	مفاعلة	قَارع (فاعل)	الضرب والعراك

تأتي صيغة "الفعال" في قوله "الفراق" في البيت الأول لتؤدي غرضا معينا وفي حال خطاب موضوعه منجاة الشاعر لزوجته، فنجده يشكو الفراق والوحدة، وجاءت كلمة "الفراق" لتدل على الإنفصال والتباعد، واختيارها كان لغاية منشودة، هي توصيل الشاعر فكرة تعبر عن حالته البائسة وعن شعوره.

ومن مخزونه اللغوي والمعجمي يختار "الأمير" صيغة "التفعيل" في قوله "التصريف" لتدل على الإمتثال للأوامر، فهو يتحدث عن شيخه "محمد الفاسي"، لقد أورثه النبي محمد صلى الله عليه وسلّم النسب أو الإرث العظيم وخصّه بالفضل العظيم،" فالإمتثال لأوامره في نظره واجب شرعي لأنّ له مطلق الحرية في التصرف على هدي السنة الطيبة الشريفة".[4]

([1]) الديوان،ص:109

([2]) الديوان،ص:60

([3]) الديوان،ص:49

([4]) ينظر: عبد الرزاق بن سبع، الأمير عبد القادر الجزائري وأدبه، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري،أوت،(ط1)،2006 ص:132

ويستخدم الشاعر في البيت الثالث صيغة "مفاعلة" في قوله" مقارعة" لتدلّ على المشاركة والتجدد، أي مشاركة إخوانه المجاهدين في المعارك وتجددها في مواقع كثيرة من البلاد، والمصدر "مقارعة" مصوّغ من الفعل "قارع" وهو حمل لم يتوانى عنه الأمير عند المبايعة، ونجد هذه الصيغة قد اختيرت بدقة متناهية فقد عدل عن استخدام صيغ أخرى كـ "المحاربة" لكنّه عزز تركيبه الكلامي بهذه الصيغة لأنّها أقوى وأبلغ حين ترتبط أو تتسق مع باقي المفردات وتفي بغرضه.

3.3.6 اختيار صيغ المصادر (الميمية، الصناعية والمرة)

المصدر الميمي: يقول الأمير:(البسيط) [(1)]

لا تَذمّن بيوتا قد خَفّ محملها وتَمْدحن بيوت الطِّين والحجَر

اختار الشاعر صيغة "مفعل" من الفعل الثلاثي"حمل" في قوله "محمل" لتؤدي وظيفة معينة ومقصودة موجه إلى دعاة المدينة أو إلى المتلقي.

المصدر الصّناعي: يقول الشاعر:(الطويل) [(2)]

شَددت عليْهِ شدّة هاشِمية وقَد وردوا ورْد المنايا على الغَوى

والهاشمية مصدر مصوغ من الإسم "هاشم"، زيد بياء مشدّدة وتاء مربوطة، وجاءت في سياق الفخر، فهو يفتخر بنسبه الشريف لأنّه سليل النبي الهاشمي صلى الله عليه وسلم، ويفتخر بأعماله البطولية الجهادية.

المصدر المرّة: يقول الأمير:(الطويل) [(3)]

تَوالت علَيه جَوعَةٌ بعد جوعة أَخوكم لهَا قَد صَار كالقَلم المُبرا

تأتي صيغة "فَعلة" في قوله "جوعة" لتدل على حدوث الفعل مرة واحدة، وشاعرنا كان متضامنا مع صديقه "الشاذلي" الذي التزم حمية للشّفاء من مرضه، واستخدام الشاعر لهذه الصيغة جاء في سياق وصف مرض خليله الذي بدا هزيلا كالقلم المبــرا.

(1) الديوان،ص:50

(2) الديوان،ص:52

(3) الديوان،ص:74

حاصل النّظر فيما سبق أنّ المتكلم أو الشّاعر يختار بدقة من مخزونه اللغوي صيغ المصادر ليؤدّي وظيفة تواصلية معيّنة، ولملابسات الكلام وظروفه دورا مهمّا في توجيه هذه الصيغ وترتيبها في التراكيب الكلامية لتؤدي الوظيفة المقصودة.

4.6 اختيار صيغ المشتقات (الصفات) في الديوان:

1.4.6 اختيار صيغة اسم الفاعل:

اسم مشتقّ يدل على معنى حادث وعلى فاعله،[1] وعند "ابن هشام" هو "الوصف الدال على الفاعل".[2] أمّا عند صاحب "الشافية" فهو "ما اشتقّ من فعل لمن قام بمعنى الحدوث، وصيغته من الثلاثي على فاعل ومن غير ثلاثي على صيغة المضارع، بميم مضمومة وكسر ما قبل الآخر.[3]

ويعتبر "إسم الفاعل" من نماذج الوصف التي يدرجها المرسل في خطابه، بوصفها حجة ليسوّغ لنفسه إصدار الحكم الذي يريد. [4]

ومن أمثلته في الديوان:(الكامل) [5]

أَهْلا وسهلا بالحَبيب القادِم   هَذا النّهارُ لديَّ خيرُ مواسمٍ

"القادم" اسم فاعل مصوغ من الفعل الثلاثي (فَعِل) "قدِم" ودلالته على الزمن هي "الإستقبال"، ومناسبة القصيدة التي اجتزأنا منها هذا البيت هي ترحيب الشاعر بشيخه، فنجده يرحب به باستقبال عظيم، فهذا اليوم الموعود هو بمثابة عيد عند الشاعر، بل أفضل لأنّه سيفوز فيه بلقاء "العارف الرّباني" ولم يستعمل الشاعر هذه الصيغة "فاعل" لمجرد الوصف وإنّما استعملها كحجة لإقناع القارئ أو المتلقي، على أنّ هذا الشيخ ذو مكانة تستحقّ التعظيم ضف إلى ذلك فشاعرنا بحاجة ماسّة إلى شيخه في مثل هذه الأحوال.

---

(1) ينظر: محمد بن صالح العثيمين، شرح المقدمة الأجرومية، ص:239.

(2) جمال الدين بن هشام الأنصاري، شرح قطر الندى وبل الصدى، ص:280

(3) الرضي الأسترابادي، شرح شافية ابن الحاجب،ج2، ص:198

(4) عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص:488

(5) الديوان،ص:69

2.4.6 اختيار صيغة اسم المفعول:

كل اسم مشتق من مصدر الفعل لذات وقع عليه الفعل،[1] أمّا عند "ابن هشام" فهو يصاغ من الثلاثي على زنة مفعول قياسيّا مطردا، نحو قصدته فهو مقصود، ومن غير الثلاثي على زنة اسم الفاعل، ولكن بفتح ما قبل الآخر نحو "مضارَب ومقاتَل، وقد يأتي على زنة فعيل مثل: قتيل بمعنى مقتول.[2] ويصنّف على أنّه من الأوصاف الحجاجية المستعملة.[3]

ومن أمثلته في الديوان:(الوافر) [4]

ومَا لي فِي اللَّذائِذ من نَصيب تُودع منه مَســـْلوب الرَّقاد

"مسلوب" اسم مفعول مصوّغ من الفعل الثلاثي (فعَل) "سَلَب" ودلالته على الزمن الحالية، والقراءة المتأملة في قصائد الشاعر الغزلية والصوفية تكشف لنا علاقة الشاعر باللّيل، ففي الثانية يتمنى الشاعر عدم انبلاج الفجر واستبطاء الليل، أمّا في الأولى فنجده يشكو لياله وتوالي ساعاتها حتى وليخال وكأنّ عجلة الزمن قد توقفت عن الدّوران، فالنوم جناه والسهر أضناه وقد عبّر بذلك بـ "مسلوب" الرقاد، وجاءت هذه الصيغة(اسم المفعول) لحاجة السياق إليها، وهي دقيقة في الوصف،وقد بيّن الشاعر للقارئ من خلالها عن حزنه وآلام الفرقة والبعد.

3.4.6 اختيار الصفة المشبّهة:

اسم مشتقّ يدل على الثبوت والدّوام، [5] وتصاغ من الفعل اللازم للدّلالة على الإستقرار، [6] وهي مشبّهة باسم الفاعل، ولكن يختلف عنها لأنّه يفيد الحدوث والتّجدد.

ولقد استخدمها الشاعر في سياقات كثيرة منها: (الطّويل) [7]

---

(1) شرح المقدمة الأجرومية، ص:245

(2) ينظر: شرح ابن عقيل، ج3،ص:106

(3) ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب،ص:499

(4)الدّيوان،ص:57

(5) ينظر: ابن هشام،أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك،ج2،ص:268

(6) ينظر: فاضل صالح السامرائي، معاني الأبنية في اللغة العربية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، الأردن،(ط1)،2000 ص:64

(7) الديوان، ص:109

حَريص عَلى هَدْي الخَلائِق جاهِد رَحِيم بها برّ خَبيـــر له القدْر

"حريص" صفة مشبّهة مصوغة على وزن "فعيل" وهي تدلّ على الثبوت مما هو "مكتسب"، ووقع اختيار الشاعر على هذه الصيغة لأنّها لاءمت سياق الموضوع وهو وصف الشيخ، وتبيان الهدف الأسمى له وهو العمل على الإصلاح ما استطاع إلى ذلك سبيلا، من أجل غاية محدودة هي إقرار الحق والعدل وإنصاف المظلوم، وهداية الإنسان وفي هذا حجة لإقناع القارئ والمتلقي لمكانة هذا الشيخ.

4.4.6 اسم التفضيل:

من المشتقات، وهو أن يشترك شيئان في صفة واحدة ويزيد أحدهما على الآخر ويصاغ على وزن "أفْعل"، وفي هذا السياق يقول "الأستراباذي":"هو المبني على أفعل لزيادة صاحبه على غيره في الفعل، أي في الفعل المشتق هو منه".[1]

ومن أمثلته في الديوان:(البسيط) [2]

رَأيت في كلّ وجْه من بَسائطِها سِربا الوحْش يَرعى أطْيَب الشّجر

يستخدم الشاعر صيغة "أفعل" في قوله "أطيب" في سياق المفاضلة بين البدو والحضر، فحتّى الحيوان الذي يرعى في البدو يقتات أفضل النباتات وأطيب الشّجر، قد لا تحصل عليه الحيوانات في أماكن أخرى كالحضر مثلا.

5.6 إختيار صيغ الأسماء في الديوان:

1.5.6 اختيار أسماء الأعلام:

وترد في ديوان الأمير بكثرة وبأوزان مختلفة، وهي نقطة إرساء تسمح للقارئ أن يركز تأويله مباشرة على المعنى الكلّي بمجرد الشروع في القراءة ونذكر منها: (عامر، مسعود، محمد، سعاد، هند،

---

(1) شرح الكافية، ج3،ص:447

(2) الديوان،ص:50

يوسف، مصطفى، المختار، علي حاطب، بلال، الزبير، أبي حفص، عقبة، عثمان، عبد المجيد...)
ونكتفي بثلاثة أسماء على سبيل المثال في التحليل:

مسعود: هو اسم علم مأخوذ من الصّفة المشبّهة على وزن "مفعول" ويشير إلى واحدٍ شيخه "محمد بن مسعود الفاسي".[1] يقول الأمير:(الطويل) [2]

أمَسعود! جَاء السعد والخَير واليُسر ووّلت جُيوش النَّحس ليس لَها ذكر

اختار الشّاعر هذا الإسم "مسعود" دون غيره لأنّ المقام يستدعي هذه الكلمة، فهو يعبّر عن سعادته بـ ."الفتح الربّاني" أو ما يطلق عليه المكاشفة أو الإتّصال، وجاءت الصّيغة منسجمة ومتّسقة كما هو ظاهر في سياقها اللغوي، حتّى كلمة "السّعد" تناسبت مع سابقتها "مسعود" وأكّدت على حال الشاعر.

موسى: وهو اسم علم على وزن "مُفْعَل" وعبّر به الشاعر عن فرحته وعن فجأته بالإمارة، فقد فاجأته على غير انتظار كما فوجئ "موسى" عليه السلام بكلمة من ربّه في الوادي المقدّس طوى.

يقول الشاعر:(الطويل) [3]

إنّا بَنوا الحَـــرب العـــوان لنَا بها سُرور إذا قامت وشَـــانِئَنا عوى
لِذاك عروس الملك كانت خَطيبتي كفَجْأة "موسى" بالنّـبوة في طُوى

واختيار الشّاعر اسم النبي "موسى عليه السلام" لاءم سياق الكلام، فموسى كان سيّد قومه ومرشدهم ومنجيهم من ظلم فرعون بفضل الله سبحانه وتعالى، وشاعرنا تحدّث عن انتصاراته وهو يقود ويوجّه جيوشه، ويظهر ذلك من القصيدة التي اجتزأنا منها هذين البيتين، فشجاعته أهّلته لأنّ يكون سيّد قومه مثلما كان حال موسى عليه السلام.

(1) ينظر: عبد الرزاق بن السبع، الأمير عبد القادر الجزائري وأدبه،ص:110
(2) الديوان،ص:102
(3) الديوان،ص:54

أمّ البنين(العلم الكنية):* يوظّف الشّاعر "اسم البنين" إيماء لتحقيق لمّ شمل العائلة (الزّوجة والأبناء)، فالصفة الملحقة بالمرأة تلعب أهمّية كبيرة في الكشف عن العلاقات التي تربطها بالمتكلّم، أو الرّغبات التي يفصح عنها من خلال استخدام هذه الصفة، فالشاعر حينما يخاطب زوجته يمنحها تقديما وإبرازا على نفسه، يقول الشاعر: (الطويل) (1)

جَفـــــاني مِن أُمّ البنين خَيال فَقلبي جَريح والدُّموع سِـــجال

أمّا أنتِ حقّا لَو رأيت مِن بَعدي لَهَان عليك الأمر من شِدّة الوُجد

لقد حنّ الشّاعر إلى عائلته فنظّم قصيدته وهو في رباطه، وحتّى حينما يخاطبها "أمّا أنت حقّا" فنجد الضّمير لا يقف استعماله في السّياق عند الإحالة على المرجع فقط، بل يتجاوز ذلك ليصبح دليلا على غرض تواصلي أو تداوليّ، فالمتخاطبان تجمعهما علاقة حميمية(قيم مشتركة وقرابة).

2.5.6 أسماء الأماكن:

ومنها (تلمسان، وهران، المرساة، باب، الدار، الكعبة، طيبة، الهند، دمر، البيت، بروسا، البادية، غريس، الجزائر)، وهي تحمل دلالات رمزيّة في شعر "الأمير عبد القادر" ونختار منها:
الكعبة: اسم رباعي جامد مؤنث على وزن "فعلة" يتكرّر كثيرا في شعره الصوفي، واختاره الشاعر في قصيدته "أستاذي الصوفي"، فقال: (الطويل) (2)

فَمكَّـــة ذي الــخَير البِـــــلاد فَما طَاولتها الشَّمس –يوما– ولا النَّسر

بها كَعْبـتان: كَــعبة طاف حَــولها حَجِيج الملا بل ذاك عنْـدَهم الضـّــفر

وكَعْبة حجَاج الــجناب الذِي سمـا وجَلّ فــلا رُكـــن لـــــَـديْه ولا حَجَر

واختيار الشّاعر كلمة "الكعبة" في البيت الثاني جاء عن قصد وتناسبت مع التركيب ليؤدّي وظيفة تواصلية معيّنة، فالكعبة الأولى يرى فيها الحاج مناسك ربّه وله أجر ما أحرم وطاف وسعى ووقف، أمّا الثّانية والتي تصدّرت البيت الثالث فهي تشير إلى أستاذه، فقد شبهه بـ "كعبة" يحجّ إليها

* العلم الكنية: ما وضع ثانيا أي بعد الإسم وصدّر بأب وأمّ، ينظر: مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية،ص:89

(1) الديوان،ص:61

(2) الديوان،ص:110

مريدوه فيغترفون من بحر علمه ويبددون ركام الجهل عن عقولهم، شأنهم في ذلك شأن حجيج بيت الله يكسبون الأجر والثواب". [1]

غريس: اسم رباعي جامد مذكّر على وزن "فعيل" ورد مرّة واحدة في الدّيوان كإشارة مكانية استحضرها الشاعر ليعدد صفات فرسانها الذين رفعوا راية الشّجاعة والفروسية، وغدوا يطلبون الجهاد ويفرحون للنّزال، يقول الشاعر:(الطويل) [2]

جَزى الله عنا كل شهم، غَدت به غَريس لها فَضـْـــل أتَانا وما انْزوى

فَكم أضْرموا نار الوَفى بالضبا معي وصَالوا وجالوا والقُلوب لها اشتوى

مثّلت "غريس" مرجعية كلام الشّاعر، واختيارها لم يأت عشوائيا بل عن قصد منه، وكل الدراسات التي اهتمّت بتاريخ وحياة هذا الرّجل تشير إلى أنّ البدايات كانت من هذه المنطقة "غريس" فيها ولد* وبويع وجيّش، ولكن هذا لا ينفي مشاركة رجال المناطق الأخرى معارك الأمير، وإنّما جاءت في سياق كلامه لأنّ أهلها ساندوه وآزروه في بداية استنفاره للجهاد ضد العدوّ.

بابل: اسم رباعي على وزن "فاعل" ورد هو الآخر مرة واحدة في الديوان ؛ يقول الشاعر:(البسيط): [3]

لها مَنطق حلوٌ به سِحر بَابل رَخيم الحواشي وهو أمْضى من الخَال

هذا البيت مجتزأ من قصيدة "ذات الخلخال"، وجاءت معبأة بالبديع ردّ بها الأمير على صديقه "داوود البغدادي" الذي مدحه هو الآخر بقصيدة مطلعها :

جَاءت مبشرةً الأحْباب بالبَشر حَيــث فأحْيـــت بنشْر منيــت البشر

(1) ينظر: زكريا صيام، الأمير عبد القادر الجزائري، ص:154

(2) الديوان،ص:54

*ولد في القيطنة وهي قرية صغيرة تبعد حوالي 20 كلم عن مدينة غريس.

(3) الديوان،ص:63

واختيار الشاعر للإسم "بابل" دون غيرها من المدن فيه أطراء لصديقه، لأن "بابل" مدينة قديمة في العراق، يضرب بها الناس المثل لجمالها، حتى اتّضحت عُرفا شائعا بين مستعمليها، كما انّها ناسبت غرض الشاعر وانسجمت في التركيب مع مثيلاتها من الكلمات لتؤدي وظيفة تواصلية معينة.

3.5.6 أسماء الزمان: وهي كثيرة في الديوان وجاءت دالة على أزمنة مختلفة نحويّة وكونيّة ونذكر منها (أيام الليل، الفجر، الصّبح، السّاعة، قبل، بعد...)، ولقد استخدم الشاعر هذه الأسماء استخداما خاضعا لما يقصده، ولا يمكن للقارئ أن يدرك دلالته إلّا بمعرفة السّياث الذي وردت فيه ونقتفي منها:

الليل: اسم ثلاثي مفرد جامد مذكر، وهو عند الشاعر بطيء الحركة ثقيل يحمل هموم الأيام وآلام البعد والشّوق ويخشى قدومه، يقول الشاعر:(الطويل) [1]

وقَد كلفتني اللَّيل أرعى نُجومَه   إذا نَامه المُرتاع بالبعد والصَدّ

واختيار الشاعر "الليل" في هذا البيت محكوم بالموقف والمقام ويخدم غرضا منشودا، وفي مواقف أخرى يحمل الليل دلالات أخرى، فالأمير يستحث لقاء "أمّ البنين" علّه يفوز بطيفها، فنجده يقول: (الطويل)[2]

أُحبّ اللَّيالي كي أفــــوز بِطيْفها   وأرجو المُنــــى بل قد أقول أنَال

الفجر: اسم ثلاثي مفرد جامد مذكّر، وهو زمن يتوخاه الشاعر بعد اليل أو بعد شدة الأزمة أو هو بمثابة "الفتح الربّاني" وما يطلق عليه المكاشفة.*

يقول الأمير: (الطويل)[3]

أَمولاي طال الهَجر وانْقطَع الصبر   أَمَوْلاي هذا اللّيل هل بعْده فجرُ؟

([1]) الديوان،ص:61

([2]) الديوان،ص:60

*هي حضور لا ينعت بالبيان، وعن طريقها يتمكن العبد من الإدراك، الجرجاني، التعريفات، نقلا من قدور رحماني، أوراق حول الشعر والتصوف، البديع للنشر والخدمات الإعلامية، الجزائر،(ط1)،2008،ص:188

([3]) الديوان،ص:106

فالشّاعر يعيش زمنا فيه حالة من التمزّق والحيرة قبل التقاء "أستاذه الصوفي" وهو حال عدم الوصال والانفصال، ويختار الشاعر "الفجر" ليضع حدّا لمعاناته كما يستخدمه غيره من الشعراء عن تدبر وقصد.

4.5.6 أسماء الحيوانات: ومنها (الظبي، الأسد، الغزال، عناكب، الخيل، النحلة، الطير، البقر، النّمر، النسر، الإبل...)

الحمام: اسم جنس مفرد جامد، ورد في الديوان ليحمل دلالات كثيرة، ففي نمط الشعر الصوفي سخّره الشّاعر ليخدم معنى مقصودا،. يقول الشاعر:(البسيط) [1]

وعِشْ هنيئا فأنْت اليَوم آمن مِن حَمام مكّة إحْراما وإحْلالا

يوجه الشاعر خطابه إلى صديقه "عبد المجيد" سلطان الدولة العثمانية، الذي رحب به في تركيا سنة 1852،[2] وسياق القصيدة التي اخترنا منها هذا البيت سياق مدح، والأمير اختار لفظ الحمام وأنسبه إلى أطهر مكان وهو مكة المكرمة، كما اختار له زمان يعيش فيه بأمان وهو أشهر الحرم حيث يحرم الصيد، والحال ينطبق على "سلطان الدولة العثمانية" الذي يرى فيه الشاعر مصدر عز وقوة.

الظّبي: اسم مفرد ثلاثي جامد، استخدمه الشاعر في شعره الغزلي مرّتين، مرة في قصيدة "يتيه بدله عمدا" ومرة أخرى في قصيدة "بنت العم"، يقول الشاعر:(الوافر) [3]

وَهذا الظَّبي لا يرعى ذِمــــاما ولا يَرْضـــــى مُــؤانـــسة لجار

وفي اختياره أو استخدامه لهذا الإسم مجاراة لشعراء العرب، فكثيرا ما يرد هذا الإسم "الظبي" أو "الغزال" في تراكيب قصائدهم الغزلية، فهم يستلهمون مادتهم الشعرية من الطبيعة، وكذلك الأمير فقد سار على هدي صورهم وأخيلتهم، وجال في صحراء الجزائر الشّاسعة، واستأنس بمظاهرها

(1) الديوان،ص:90

(2) يحيى بوعزيز، الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري، دار النشر ابن خلدون، تلمسان، الجزائر،2002،ص:66

(3) الديوان،ص:58

الطبيعية وحيواناتها ومنها هذا الحيوان، الذي لاءم اسمه السياق اللغوي من جهة، وسياق الحال من جهة أخرى فهو يمثّل الرشاقة واللطف والجمال.

5.5.6 أسماء النباتات وبعض عناصر الطبيعة:

أسماء النباتات: ومنها (الورد، الزهر، الكافور، قرنفل...).

القرنفل: اسم خماسي مجرد جاء على وزن "فعللّ"، يقول الشاعر: (الكامل) [1]

وأُهدي إلي من بالرِّياض حَديثهم أَذكى وأحْلى من عبير قُرنفلِ

هذا البيت أو الكلام موجّه إلى جيشه المرابط بجبال "جرجرة"، وهو مجتزأ من قصيدة "الباذلون أنفسهم"، وفيه يستخدم الشاعر اسم "القرنفل" في سياق الشوق والمحبّة، فيأمر الرياح أن تأتي بأحاديثهم التي هي أحلى من عبير قرنفل، وإنْ دل هذا الكلام على شيء فإنّما يدلّ على التآزر والمحبة التي يكنها الأمير لجنوده بعدما أشاع الفرنسيون مقتله، لذا نجده يختار من الكلمات ما يناسب المقام.

الزّهرة: إسم رباعي جمعي جامد، استخدمه أو اختاره الشاعر في قصيدته "أستاذي الصوفي" ويحمل دلالة معينة عند الصوفية، فالأزهار يعبرون بها عن"الخلق"، يقول الشاعر: (الطّويل) [2]

وَما الزهرة الدُّنيا بِشيء له يُرى وليْس لَها يوما بمجْلسه نشرٌ

والبيت الشعري فيه وصف لشمائل شيخ الأمير، فينفي عنه "الزهر" أو "الخلق" لأن عادة ما يحبذ المشايخ الصوفية "الحق" وهي مرحلة الحضور والمكاشفة يصل إليها السالك بالمجاهدات والرياضات ثم يعود إلى الخلق.[3] واسم الزّهرة تناسب مع السياق اللغوي أو العبارة التي أعطت معنا ظاهريّا من جهة ومع سياق الحال، ووصف شيخه في حال الحضور أو المكاشفة ، وهو المعنى الباطنيّ.

2. أسماء بعض عناصر الطبيعة:

([1]) الديوان،ص:85

([2]) الديوان،ص:108

([3]) ينظر: مختار حبّار، سيميائية الخطاب الشعري عند الصوفية، مجلة تجليات الحداثة، معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة وهران، العدد الثاني، جوان1993،ص:43

لقد كان من أبرز أسباب نضوج عبقرية الأمير عبد القادر الشعرية، هو عنصر الطّبيعة، ففيها تفتّحت براعم طفولته،[1] لذا لا نجد غرابة في أن يحفل ديوانه على عناصر الطبيعة، وخاصة في شعره، ومن العناصر نذكر (الشّمس، الجبل، السهل، الروض، النجوم، الصّحراء...)، ونختارمن العناصر الأكثر ورودا في شعره و هما الشّمس والريح.

الشّمس: إسم ثلاثي مفرد جامد، يختاره الأمير ليتسق وينسجم مع ما يفرضه السياق الذي يرد فيه ليتحقّق الهدف من وجوده، وهو إيصال المعنى المتوخّى، يقول الشاعر: (الطّويل)[2]

وَتاهوا فلــْيدروا من التّيه من هُم وشَمسُ الضُّحى من تَحْت أقدامِهم عفر

والشّمس عند القوم "الاسم الظاهر"،[3] والأمير قد جعلها تحت أقدام سكارى الحب رغم ظهورها للعيان، لأنّه يتحدث عن مرحلة تتلاشى فيها المحسوسات ويظهر فيها المعنويّ، ومظاهر الوجود واجبة العدم لذاتها في هذه المرحلة* ، واختيار الشاعر لاسم "الشّمس" في البيت الشعري السابق جاء ليؤدّي وظيفة تواصلية معيّنة، ولا يستطيع القارئ إدراك معناها، إلّا بالإمعان في سياق الكلام الذي وردت فيه، ومعرفة معناها وأبعادها في الخطاب الصوفي من خلال الشروح أو المعاجم الخاصة.

الصّحراء: اسم مفرد مؤنث، وظّفه الشاعر في تركيبه ليقيم الحجة على خصمه في مسألة "هل البدو أفضل أم الحضر، يقول الشاعر: (البسيط) [4]

وَلو كنت أصْبحت في الصّحراء مُرتقيا بِساط رمل به الحَـصْباءُ كالدُّرر

---

(1) ينظر: بديعة الحسن الجزائري ، الأمير عبد القادر، حقائق ووثائق،دار المعرفة، الجزائر، (د.ط)(د.ت)ص:48

(2) الدّيوان،ص:112

(3) ينظر: أمين عودة، تأويل الشعر وفلسفته عند الصوفية،ص:126

*هي مرحلة تأتي عندما يصل الصّوفي إلى قمة العروج، فيفنى أمام خالقه، والفناء كما ورد في الرسالة القشيرية، هو سقوط الأوصاف المذمومة... فمن فني عن أوصافه ظهرت عليه الصفات، فيفنى عن الأشياء كلها شملا بمن فني فيه، ينظر: قدور رحماني، حول الشعر والتصوّف،ص:182، مختار حبار وأمين يوسف عودة، تأويل الشعر وفلسفته عند الصوفية،ص:83

(4) الدّيوان،ص:50

فالصّحراء كما هو معلوم تتمتع بمناظرها الجميلة، فوصف الشاعر جزءا منها تمثل في رمالها التي وصفها كبساط تنتشر فيه الأحجار الكريمة من شدة لمعانـها، لذا نجد هذا الإسم لاءم سياق وصف الشاعر للصّحراء قصد تفضيلها عن الحضر.

جملة القول إنّ المتكلم يختار من الصيغ أو الكلمات ما يناسب معناها السياقي(اللغوي)، كما أنّ للمقام دور مهم في اختيار العبارات بدءا من الوحدات الدنيا (الحروف) التي تشكل الكلمات إلى اختيار وترتيب هذه الأخيرة في تراكيب خاصة لخدمة معنى منشود وتأدية وظيفة تواصلية معينة.

المبحث الثاني:الأبعاد التداولية من خلال التوجيه والتقعيد النحوي

1. تمهيد:

لقد اعتمد النحاة في تقعيدهم النحوي على عناصر العملية التواصلية، وأولوا اهتماما كبيرا بطرفيها(المخاطِب، المخاطَب)، حيث شكل حضورهما ضرورة في التعامل مع المسائل النحوية، فالنحوي دأب إلى مراعاة قصد المتكلم من جهة وفهم المخاطب وعلمه من جهة أخرى، كما اهتمّ بحال الكلام (الخطاب) ومقامه، وكانت الغاية المرجوة هي حصول الفائدة ونجاح العملية التواصلية.

وإن اعتماد النحاة قصد المتكلم وأغراضه، جاء لتبرير الأحكام النحوية وضبط الوظائف الإعرابية وتخريج التراكيب، فكل الصيغ الكلامية يحددها المتكلم، فقد يقدّم ويؤخّر ويحذف ويختصر ويعرف وينكر وغيرها من الصّيغ التي أراد بها توصيل رسالته إلى "المخاطب" الذي عدّ هو الآخر ركنا أساسيا في توجيه المسائل النحوية وعملية التقعيد، فمثلا الحذف في الكلام يحصل لعلمه والزيادة تحصل لإزالة الغموض واللبس، ومن اهتمامات النحاة تسييق الكلام بغية توضيح معاني التراكيب وذلك بوصف ظروف المتكلم المتمثلة في الظواهر الصوتية وأسباب التلفظ بالقول.

وعناية النحاة بهذه العناصر قصد المتكلم، وعلم المخاطب، وتسييق الكلام في تحليلاتهم وتوجيهاتهم للمسائل النحوية لصيغ الكلام والتراكيب، لا يختلف عن توجهات الدرس اللغوي الحديث، وخاصة اللسانيات الحديثة التي جعلت من هذه العناصر شروطا أساسية لنجاح الملفوظ.

2. قصد المتكلم:

لقد أدرك النحاة أن غرض المتكلم و قصده هو العنصر الأهم في العملية التواصلية، وركن لا يمكن الاستغناء عنه في عملية التقعيد، لذا نلفي له حضورا قويا في مسائلهم النحوية، ومن الظواهر النحوية التي ارتبطت بغرض أو قصد المتكلم:

1.2 التّقديم والتأخير:

التقديم لغة:"من قدّم يقدّم وهو الذي يقدّم الأشياء ويضعها في مواضعها، فمن استحق التقديم قدّمه... والقدم والقدمة الصدقة في الأمر والتقدّم".[1]

أمّا اصطلاحا: فهو تحويل اللفظ عن مكان إلى مكان.[2]

أوّل من اهتم بظاهرة التقديم والتأخير "سيبويه" وإنّ القراءة المتمعنة لأبواب "الكتاب" ستكشف عن بعض القضايا لها صلة أو علاقة بما أقرّت به الدراسات التداولية، وسيصل القارئ إلى نتيجة مفادها، أنّ "سيبويه" وضع القواعد النحوية من السياق الاستعمالي، أو من خلال التعاون والتواصل بين طرفي العملية التواصلية(المتكلم/السامع)،وقد بيّن في مواطن كثيرة من كتابه سبب لجوء العرب إلى التقديم والتأخير في كلامهم فنجده يقول:" وذلك قولك ضرب زيدا عبد الله، وهو عربي جيد كأنّهم إنما يقدّمون الذي بيانه أهم لهم وهم ببيانه أعنى، وإن كان جميعا يهمّانهم ويعنيانهم".[3]

والمتمعِّن في قول "سيبويه" يدرك أنّ العرب تكلموا حسب معرفتهم بما هو أولى وأنسب ،فهم يقدمون ويؤخرون في الكلام بالقصد ومراعاة ظروف العملية التواصلية. ومسّت ظاهرة التقديم والتأخير الجملة بنوعيها الإسمية والفعلية.

1.1.2 التقديم في الجملة الاسمية:

والجملة الإسمية ما كانت مؤلفة من المبتدأ والخبر(المسند إليه والمسند)، والأصل في المبتدأ أن يتقدم والأصل في الخبر أن يتأخر، وقد يتقدم أحدهما وجوبا فيتأخر الآخر وجوبا. وقد وضع النحاة حالات للتقديم كتخصيص المسند والمسند إليه، التنبيه، التفاؤل بسماع ما يسر المخاطب، التشويق

(1) ابن منظور، لسان العرب، مادة (قدّم)، ج13،ص:113

(2) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز،ص:83

(3) سيبويه، الكتاب، ج3،ص:173

إلى ذكر المسند إليه.[1] ويأتي المقدم (المسند)جارا ومجروا ضميرا واسما ظاهرا كما يمكن أن يتقدم على اسم ناسخ.

ومن شواهد هذه الظاهرة في ديوان الأمير عبد القادر: (الوافر) [2]

فَمَا فِي الذُّل للمَحبوبِ عَار سَبيلُ الحـــــب ذلٌّ للمراد

هذا البيت الشعري مجتزأ من قصيدة "بنت العم" ونلحظ تقدم الخبر(الجار والمجرور) في قوله "للمحبوب عار" وهو يريد أن يوصل رسالته إلى زوجته يبين فيها أن طريق الحب ذل، وهو مسلك يختص به العاشق المستهام والخاضع لهوى من يحب، فالتقديم في هذا البيت الشعري جاء ليحمل معنى التخصيص(الخضوع والتذلل).

ويقول كذلك: (الطويل) [3]

سَلامٌ عليْكم دائِم متَـــــتابع لَه نفْحة من دُونها المِــسك والعِطر

الشاعر يوجه خطابه إلى شيخه "الشاذلي" ليفتتح قصيدته "ترك العادة ذنب" بهذا البيت الشعري يقرئ من خلاله السلام الدائم المتتابع على شيخه، ، أمّا الشطر الثاني من البيت تظهر خصوصية، لنفحه السلام من خلال تقدم الجار والمجرور(المسند) على النفحة (المسند إليه).

ومن شواهد تقديم المسند(جار ومجرور) قول الشاعر: (من الطويل) [4]

عَليْه صـــــَلاة الله ثُمّ سَلامَه وآل وصَحب ما سَرى الركب والهَوى

يشير الأستاذ "عبد الرزاق بن السبع" إلى أن ظاهرة التوسل بالرسول نادرا ما يختم الأمير قصائدها بها، وهي عادة جرى عليها شعراء هذه الفترة وخاصة منهم شعراء المغرب بشكل واضح.[5]والبيت الشعري مجتزأ من قصيدة "شددت عليه شدة هاشمية" وهي قصيدة قالها في معركة

(1) أحمد مصطفى المراغي، علوم البلاغة، بيروت، لبنان(د.ط)(د.ت)،ص:09

(2) الديوان،ص:58

(3) الديوان،ص:73

(4) الديوان،ص:54

(5) ينظر: عبد الرزاق بن السبع، الأمير عبد القادر الجزائري وأدبه،ص:184

خنق النطاح، ويختمها به –البيت الشعري- حيث حمل بداية "صدره" معنى التخصيص حينما قدم المسند(الجار والمجرور)عليه على المسند إليه (الصلاة).

2.1.2 التقديم في الجملة الفعلية:

والجملة الفعلية ما تألفت من الفعل والفاعل،أو الفعل ونائب الفاعل، أو الفعل الناقص واسمه وخبره.[(1)] والأصل في الجملة الفعلية تقديم الفعل (المسند) ويلحق به ما يعمل عمل الفعل وهو الفاعل (المسند إليه).[2]

لقد وضع النحاة مجموعة من المعايير في تحديد الغرض من التقديم في الجملة الفعلية، ولخّصها "المراغي" في ردّ الخطأ في التعيين والتخصيص والاهتمام والعناية بشأن المقدم والاستلذاذ به والتبرك ورعاية السجع.

تقديم المفعول على الفاعل:

يقول "سيبويه": "فإذا قدّمت المفعول وأخرت الفاعل.... وذلك قولك ضرب زيدا عبد الله فمن ثم كان حظ اللفظ أن يكون فيه مقدما وهو عربي جيد كثير، كأنّهم إنّما يقدمون الذي بيانه أهم لهم، وهم ببيانه أعنى وإن كان جميعا يهمانهم ويعنيانهم".[(3)]

الواضح من القول، المتكلم يقدم المفعول به في التراكيب لتوجيه العناية، ويمكن توضيح هذه المسألة أكثر بشواهد من شعر الأمير عبد القادر الجزائري: (الكامل) [(4)]

صَلى عليه الله ماسحّ الحَيا   والآل سيف سَطا في الجَحفل

هذا البيت الشعري يختم به الشاعر قصيدته "الباذلون أنفسهم"، وقدّم المعمول(جار ومجرور) عليه على العامل(اسم جلالة الله) وهو تقديم أوجبه السياق، لأن من عادة الصوفي يتوجه في الأمور جميعها

([1]) مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية، ،ص:595

([2]) ينظر: أحمد مصطفى المراغي، علوم البلاغة، دار القلم، بيروت،لبنان،(د.ت)،ص:93

([3]) سيبويه، الكتاب،ج1،ص:34

([4]) الديوان،ص:87

لمحمد رسول الله صلى الله عليه وسلَّم، فعند القوم هو "الإنسان الكامل" أو القطب الذي تدور حوله الأقطاب.

ومن شواهد تقديم المفعول على الفاعل قوله:(الطويل) [1]

بني لَئن دعاك الشَّوق يوما وحنّت للـــقا منا القُلوب

البيت الشعري مجتزأ من قصيدة "الشوق يكتمه الأريب" ومناسبتها غياب الشاعر الطويل لانشغاله بالجهاد.[2] فأرسلها إلى ابنه يبيّن فيها مدى اشتياقه له ولأسرته، وفيه يقدّم الشاعر المفعول (اللقاء) على الفاعل(القلوب)، ففي هذا التقديم توجيه العناية إلى المفعول به، لأن غرض المتكلم هو الإفصاح عن درجة شوقه للقاء الأحبة، ولعلّ البيت الموالي يؤكد ذلك:

فإنِّي منك أوْلى جناح اشْتِياقٍ وناري في الفُؤاد لها لهــيب

تقديم الفاعل على الفعل:

يقول "سيبويه":"وإن قدّمت الاسم فهو عربي جيد كما كان ذلك عربيا جيدا، وذلك قولك زيدا ضربت، والعناية والاهتمام هاهنا في التقديم والتأخير سواء منك ضرب زيدا عمرا، وضرب عمرا زيد".[3] ويمكن توضيح هذه المسألة بشاهد من شعر الأمير عبد القادر:(الطويل) [4]

كتاب أتاني حافظ الود وافيا وان الوفا ضحت يبابا رباعه

والبيت مجتزأ من قصيدة "يراع ينفث سحرا" بعثها الأمير إلى الشيخ "أبي ناصر الطربلسي" ردا على قصيدة مدحه فيها، [5] ونلحظ أن الشاعر قدّم الفاعل (كتاب) على الفعل(أتاني) لأن موضوع القصيدة أو الخطاب هو تبادل الرسائل بين طرفي الخطاب الشاعر والشيخ "النابلسي" فالتقديم في هذا التركيب لتوجيه العناية إلى الفاعل (الكتاب).

(1) الديوان،ص:78

(2) ينظر: عبد الرزاق بن السبع، الأمير عبد القادر الجزائري وأدبه،ص:71

(3) الكتاب،ج1،ص:393

(4) الديوان،ص:78

(5) ينظر:زكريا صيام، ديوان الأمير عبد القادر الجزائري وأدبه،ص:82

تقديم المفعول على الفاعل والفعل:

ويمكن أن يتّقدم المفعول به على الفعل والفاعل للتخصيص كقول الشاعر:(الطويل) [1]

ومِن عادات السَّادات بالجَيْشِ تَحتَمي وبي يَحْتمي جيْشي وتُحرسُ أبطالي

من قصيدة "بي يحتمي جيشي" إجتزأنا هذا البيت الشعري، ففي عجزه قدّم الشاعر المفعول به "الجار والمجرور"(بي) على الفعل والفاعل (يحتمي)، والقصد هو تخصيص الأمير بنفسه، لأنّه جرت العادة في الحروب أو المعارك أن يتقدم الجيش على القادة، لكن الأمير يخالف هذه القاعدة، فانعكس فعله هذا على التركيب الكلامي، والأصل أن يتقدم العمل(الفعل) والعامل(الفاعل) على المفعول(المعمول).

حاصل النظر فيما مضى أنّ ظاهرة التقديم والتأخير نابعة من اهتمام وقصد المتكلم وما يريده من إيصال المعنى إلى المخاطب(السامع)، فقد يكون التقديم للتخصيص أو لتوجيه العناية والإهتمام أو النفي، وبيان غرض المتكلم قرينة تساعد في تحديد الوظيفة النحوية للكلمة وبيان دورها في التحليل النحوي للجملة.

2.2 التـنــغـــيم:

التنغيم لغة:

من نغّم، والنّغم، جرس الصوت، القراءة وغيرها، والنغمة تلكم بعض المعاني للفظة.[2]

أمّا اصطلاحا هو ارتفاع الصوت وانخفاضه أثناء الكـلام.[3]

ولقد أولى النحاة اهتماما كبيرا لهذه الظاهرة نظرا للدور الذي يؤديه في الكلام، وإن لم يذكروها بالمصطلح(التنغيم)، وما إماءة "سيبويه" إلى الجمل الخبرية والتي يراد منها جملا انشائية في باب "الأمر والنهي"، إلا دليل على أنّ صاحب "الكتاب" قد تنبه لدور المتكلم في تحديد معنى الجملة، بوضعها في إطارها الصوتي الملائم وفي هذا السياق، يقول "سيبويه":" اتقى الله امرؤ وفعل

(1) الديوان،ص:49

(2) ابن منظور، ج3،ص:682

(3) تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، دار الثقافة، دار البيضاء، المغرب،(ط2)،1974.،ص:164

خير أي يتب عليه، لأن فيه معنى ليتق الله امرؤ وليفعل خيرا"،[1] فحرف اللام اقترن بالفعلين(اتقى وفعل) فحملت الجملتان معنى الأمر.

ويوظّف المتكلم التّنغيم ليعبر عن معاني نحوية كثيرة، فمثلا الجملة الاستفهامية قد تخرج عن معناها وتحمل معاني أخرى كالتوبيخ والانكار وهذا الطرح نلقيه عند "المبرّد" حين يقول:"أقياما وقد قعد الناس".[2]

و"ابن جني" في كتابه "الخصائص" يزيد المسألة وضوحا فيقول:" وذلك قولك (مررت برجل أيّ رجل) فأنت الآن فخبر بتناهي الرجل في الفضل ولست مستفهما...".[3]

وفي معرض حديثه عن مستويات التنغيم، قسّم "تمام حسان" التنغيم إلى أساسين هما: [4] فالأول ميّز ما بين أعلى نغمة وأخفضها في الصوت سعة وضيئا، أما الأساس الثاني فالتركيز على شكل النغمة في آخر مقطع وقع عليه النبر، ثم يفصل من الأمرين الأساسين، فيجعل للأساس الأول ثلاثة مجالات:

المجال الإيجابي(الواسع): ويتوقف على حال المتكلم (خطيبا، مدرسا، غاضبا).

المجال النسبي(المتوسط): ويستعمله المتكلم في الحالات الطبيعية أو العادية.

المجال السلبي(الضيّق): واستعماله يكون في حال (الحزن واليأس).

أمّا الأساس الثاني فهو على **نغمتين:**

الأولى: تكون النغمة هابطة عند انتهاء الكلام(الاثبات، النفي والشرط، الدعاء والاستفهام بغير الهمزة).

الثانية: وتكون النغمة صاعدة عند انتهاء الكلام كالاستفهام الهمزة و(هل).

---

(1) سيبويه،الكتاب، ج3،ص:100

(2) المبرّد، المقتضب، تح: محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت، لبنان،(د.ط)، ج3،(د.ت)ص:288

(3) ابن جني: الخصائص،تحقيق: محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت،لبنان،(ط2) ، ج2،(د.ت)،ص:370

(4) تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ،ص:165

وفي شعر الأمير عبد القادر قصائد تضم جملا قد تبدو للوهلة الأولى استفهامية بناء على القرينة اللفظية(الأداة)، لكن المتمعن فيها يجدها لا تحمل معنى الاستفهام، وسنخصص مبحثا في الفصل الرابع نبين فيه خروج الأساليب الإنشائية عن غرضها الأصلي إلى أغراض أخرى.

يقول الشاعر:(البسيط) (1)

غِنى الملوك فلَا تعْدل بنا أحد وأيّ عَيشٍ لِمن قد بَات في خَفر

هذا البيت مجتزأ من قصيدة "ما في البداوة عيب" وفيها ينتصر الشاعر إلى دعاة "البدو" الذين يفضلون العيش في البادية، وقصد الشاعر ليس السؤال وإنّما الإخبار (لمن قد بات في خفر) أو الإنكار للذين يعيشون في الحضر لأن مبيتهم يكون في الخفر.

وللتّنغيم دور في صياغة التراكيب كحذف الصفة مثلا، يقول "سيبويه": "إنّهم يقولون "سير عليه ليل" ليل طويل، وإنّما يفهم عنهم بتطويل الياء فيقولون (سير عليك ليل) فأقامت المدة مقام الصّفة وكأن هذا إنما حذفت الصفة لما دلّ من الحال على موضعها.

ويعلّق "ابن جني" على كلام "سيبويه" فيقول:" وقد حذفت الصفة ودلّت الحال عليها وذلك أنّك تحسن في كلام القائل من التطويح التطريح والتعظيم ما يقوم مقام قوله طويل، أو نحو ذلك وأنت تحسّ هذا من نفسك إذا تأملت،(2) فالمتكلم قد يعمد إلى تشكيل الصوت* وتلوينه ويجعله في مستوى دلالات المقام، كاعتماده تطويل الصوت(الحرف) وهي حالة قد يحذف فيها الصفة كـــما هو الحال قول شاعرنا:(الكامل) (3)

زَافَرتْ قَلبِي جَمْر نار أجّجت مِنه دُموع العين فَاضت ذرفًا

(1) الديوان،ص:51

(2) الخصائص، ج2،ص:370

* التّشكيل الصوتي هو تغيير وتلوين، يصيب الصوت المدرك فيغيّر أصل مادّته كالإدغام والإبدال والقلب، أو يغيّر صورته النغمية أو الدلالية كالتفخيم والترقيق والإمالة والتّنغيم، ينظر: مكي درّار، المجمل في المباحث الصوتية من الآثار العربية، دار الغرب للنشر، وهران،الجزائر،(ط1)،2008،ص:26

(3) الديوان،ص:87

**عادة ما يلجأ الأمير عبد القادر إلى التوسل للتخفيف عن نفسه والقصيدة تذهب هذا المذهب.

هذا البيت من قصيدة "عذاب الأسر" نظّمها الشاعر وهو متوسلا،** فنلحظ حذف الشاعر الصفة للنار ودلت الحال عليها(مقام التوسل) وهو يريد ("جمر نار مشتعل")، فالمتلقي يحس في كلام القائل تمطيط الألف وإطالة الصوت بها.

وحاصل القول إنّ للمتكلم دورا مهما في صياغة التراكيب، فتشكيلاته وتلويناته الصوتية التي يلجأ إليها قاصدا، تعبّر عن معاني نحوية كثيرة، فقد تخرج الجملة الاستفهامية من معنى الاستفهام إلى معاني أخرى كالانكار مثلا ، كما أنّ في التنغيم واستطالة الصوت تعويضا عن تنظيم المقولات التركيبية كحذف الصفة التي يقوم مقامها التلوين الصوتي.

3.2 التـّـوكيـــــد:

التوكيد لغة:

من الجذر الثلاثي (وكّد): وكّد العقد والعهد أوثقته، والهمز فيه لغة يقال أَوْكَدته وأكّدته إيكادا، وبالواو أفصح أي شددته، وتوكد الأمر وتأكَّد بمعنى... ويقال وكد يكد وكدا أي أصاب ووكد وكده قصد قصده وفعل مثل فعله... ويقال وكد فلان أمرا يكده وكدا إذا قصده وطلبه.[1]

ويقال التوّكيد ويقال التّأكيد، والتوكيد أفصح لقوله تعالى:﴿وَلَا تَنْقَضُوا الأَيْمَان بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾،[2] ولم يقل بعد "تأكيدها" مع أنّ الشائع عند الناس التأكيد بالهمز، لكن الشّائع غير فصيح في اللغة العربية.[3]

أمّا اصطلاحا: فهو" تقوية الكـــــلام وتثبيته وتقـــــــريرٌ للمعنى"،[4] وصنّفه النحاة ضـــمن الأغراض التواصلية، يستخدمه المتكلم لتثبيت الشيء في نفس السامع، وبه يدفع ظنّ وغفلة عنه تحوزا.[5]

([1]) لسان العرب، المادة (وكد)ج3،ص:466

([2]) سورة النحل، الآية:91

([3]) ينظر: محمد بن صالح العثيمين، شرح المقدمة الأجرومية،ص:269

([4]) المصدر نفسه،ن.ص

([5]) ينظر: رضي الدين الأسترابادي، شرح كافية ابن حاجب، ج2،ص:388

والتوكيد إرسال خبر ليس للمرة الأولى، نحو قول "الزركشي": إنّما يؤتى به للحماية للتحرز عن ذكر ما لا فائدة له، فإن كان المخاطب ساذجا ألقي إليه الكلام خاليا من التأكيد، وإن كان مترددا فيه حسن تقويته بالمؤكد، وإن كان منكرا وجب تأكيده.(1) فالمتكلم يؤكد كلامه حينما يكون السامع مخالفا فيما يعتقده، وقد يلجأ إلى التوكيد حينما يبني حكما على حكم وذلك بتذكير السامع بما يقتضيه ذلك الاعتقاد.

المخالفة: وفيه يؤكد "الأمير عبد القادر"حكما مخالفا لما يعتقده السامع نحو قوله:(البسيط) (2)

يَا عاذرا لامْرئ قد هَام في الحَضْر وعَادلا لـِـمُحب البـَدو والقَفر

لا تَذُمّن بيُوتا قد خف مـَـحملها وتمْدحــن بُيوت الطّين والحجر

لو كنت تَعْلم ما فِي البدو تـَعذرني لكِن جَهلت وكَم في الجَهل ضَرر

الأبيات الثلاثة مجتزأة من قصيدة **"ما في البداوة عيب"** وفيها يوجّه الشاعر (المخاطِب) خطابه إلى خصمه (المخاطَب) وهم أمراء فرنسا الذين فضلوا الحضر على البدو، فهو يخالف لما في أذهانهم، وينفي اعتقاداتهم (لا تذمن).

التذكير: ويستعمله الأمير حين لا يلغي ما في ذهن مخاطبه بل يعمد إلى تذكيره بما يقتضيه ذلك الاعتقاد. يقول الشاعر:(الطويل) (3)

تُساءلني أُم البـَنين، وإنّها لَأَعلم من تَحْت السـّماء بأحْوالي

ألم تَعلَمي يا ربَّة الخدر أنّني أجَلّي هُموم القَوم، في يوم تَّجوالي؟!

الأمير (المتكلم) يوجه خطابه إلى "أم البنين"(المخاطَب)، وهو على علم باعتقادها، ولكنه يذكّرها بما يقتضيه من اعتقاد، فهي الأولى من يعلم بشجاعته وبسالته، وكيف وهو القادر على جلاء هموم قومه في أيام تجواله.

(1) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبي الفضل ابراهيم، دار الجيل، بيروت، لبنان،ج2، 1988،ص:390

(2) الديوان،ص:50

(3) الديوان،ص:49

التضمين: يؤكد الأمير عبد القادر كلامه بفكرة يشتركها مع السامع فيقول:(الطويل) [1]

وما كل طائر طار في الجو فاتكا وما كل صياح إذا صرصر الصقر

إذا ما جعلنا البيت في سياقه، وهو وصف شمائل شيخ الأمير يكون تضمين التوكيد هو لا مجال للمقارنة بين محمد الفاسي وما تعرف من رجال وأبطال، والأمير عبد القادر عدّد شمائل شيخه قبل أن يصل إلى هذا البيت الشعري.

3. علـــم المخاطب:

المخاطَب هو الطرف الثاني في العملية التواصلية من حيث الأهمية بعد **المتكلم**، وهو عنصر أساسي في تشكيل القواعد و توجيه المسائل النحوية، فالكلام عند النحاة لن يكون مفيدا ما لم يكن حال المخاطب ملحوظا ليقع الكلام في نفس المخاطب موقع الإكتفاء والقبول، لذا انكبّوا على تفسير مجموعة من الظواهر النحوية ومعالجتها بعلم المخاطب كالتعريف والتنكير، التحــذير والإغراء والاجتزاء.....

1.3 التعريف والتنكير:

التعريف أو المعرفة من الجذر الثلاثي (عرف)، يقال عرفه يعرفه عرفة وعرفانا ومعرفة، واعترفه إذا علم به والعرفان، العلم ورجل عروف وعروفة عالم بالامور لا ينكر أحد رآه مرّة، وتعارف القوم إذا عرف بعضهم بعضا، والمعارف جمع معرف وهو الوجه، لأنّ الانسان يعرف به ومعارف الأرض: أوجهها وما عرف منها.[2]

أمّا اصطلاحا: فهي "ما وضع على شيء دون ما كان مثله. [3]

(1) الديوان،ص:110

(2) ابن منظور، لسان العرب، ج3، ص:288

(3) المبرد،المقتضب، ج3،ص:186

و**النكرة** النكرة لغة:من جذر (نكر) يقال نكر فلان ينكر نكرا ونُكرا ونكارة، فطن وجاد رأيه، فهو نكر ونكر ومنكر والجمع نكار ومناكير والنكر والنكراء الدهان والفطنة ... ويقال أنكرت الشيء ونكرته وينكر الأمر نكيرا وأنكره انكارا جهله. [1]

أمّا اصطلاحا: لم يضع النحاة حدّا لها، ولكن قد أشاروا إلى معناها كقول سيبويه:"أمّا الألف واللام نحو الرجل والفرس والبعير، وأمّا ما أشبه ذلك إنّما صار معرفة لأنّك أردت بالألف واللام الشيء بعينه دون سائر أمته، لأنّك إذا قلت مررت برجل فإنّك إنّما زعمت أنّك مررت بواحد ممن يقع عليه عليه الإسم لا تريد رجلا بعينه يعرفه المخاطب". [2]

لقد أدرك النحاة أن صحة التراكيب لا يقتصر جريانها على قواعد النحو فقط، بل كان لطرفي العملية التواصلية حضورا أثناء الحكم عليها من خلال مراعاة قصد المتكلم وحال المخاطب، فالمتكلم إذا قدر علمه بالشيء استخدمه معرفة وإذا قدر جهله به استخدمه نكرة ليعلمه به، فإذا ذكر له ما يعرف كان الكلام لغوا من اللغو. [3]

وحرصا على نجاعة العملية التواصلية وعدم الوقوع في اللبس، يلزم "سيبويه" المتكلم بعدم بداية كلامه بمنكور فيقول:" فعلى المتكلم أن يراعي ذلك في كلامه فيبدأ كلامه بما هو معروف عند المخاطب، ثم يخبر عنه بما يريد توصيله إليه". [4]

ويعزز "السّيرافي" كلام "سيبويه" فيقول:" وحكم الخطاب المفهوم أن يساوي المخاطب المتكلم في معرفة ما خبره به". [5]

ويفرد سيبويه بابا في كتاب يسميه "باب تخبر فيه عن النكرة بنكرة فيقول: "قولك ما كان أحد مثلك، وما كان أحد خير منك، وما كان أحد مجترئا عليك وإنّما حسن الاخبار ههنا عن

([1]) ابن منظور، لسان العرب، مادة (نكر) ج5،ص:274

([2]) سيبويه، الكتاب،(ج2)،ص:05

([3]) سيبويه، الكتاب، ج1،ص:48

([4]) المصدر السابق،ج1،ص:47

([5]) السيرافي، شرح كتاب سيبويه،ج2،ص:373

النكرة، حيث أردت أن تنفي أن يكون في مثل حاله شيء أو فوته؛ لأنّ المخاطب قد يحتاج إلى تعلّمه مثل هذا، وإذا قلت: كان رجل ذاهبا، فليس في هذا شيء تعلمه كان جهله ولو قلت كان رجل من آل فلان حارسا حسن، لأنه قد يحتاج إلى أن تعلمه أنّ ذاك في آل فلان وقد يجهله"، ثم يستطرد فيقول:" وحسنت النكرة هنا في هذا الباب لأنك لم تجعل الأعرف في موضع الأنكر وهما متكافئان كما تكفأت المعرفتان". [1]

يتحدث "سيبويه" عن ورود عنصري المركب الإسنادي نكرة(المسند نكرة والمسند إليه نكرة) ولا يمكن الحكم على صحته إلّا إذا ارتبط بما يريد المخاطب إخباره إمّا أن يكون أمرا يريد معرفته أو يكون مجهولا بالنسبة إليه، ولا يستقيم الكلام في عبارة "كان رجل ذاهبا"لان المخاطب لا يجني معرفة وبالتالي فائدة منها لذا أدرجها "سيبويه" ضمن الكلام القبيح، وعلى عكس عبارة "كان رجل من آل فلان فارسا" فهي واضحة وعلى قدر وضوح العبارة تتضح الدلالة وبهذا التركيب يدفع المتكلم التوهم عن السامع وحصول الفائدة منه،ولا يمكن لشاعرنا أن يأتي بكلام أو مركب اسنادي نكرة لا يجني السامع من ورائه فائدة كالشاهد الذي أتى به سيبويه(كان رجل ذاهبا)،لأنّ الغاية أو الهدف المنشود هو توصيل الرسالة المراد تبليغها ونجاح العملية التواصلية، يقول الأمير:(الوافر) [2]

ويَسلِبني الحَــياة إذا تُبــدى لِوجْه فِي الإضــاءة كالنَّهار

القارئ أو المتلقي في تحليله لهذا النص ينطلق من فكرة مسبقة مفادها ان كل القصائد الغزلية تدور حول ابنة العم فالكلام موجه لها فهي التي ملكت فؤاده أو سلبته فالمسند اليه معرفة وأسند اليه الفعل سلب .

ولقد اتفق النحاة على أنّ المعارف ستّ وهي: الضمير، العلم، اسم الإشارة، المعرفة بالألف واللام، المضاف إلى معرفة، الموصول، وأرجعوا تعريف كل منها إلى علم المخاطب. [3]

---

(1) سيبويه، الكتاب،ج1،ص :55

(2) الديوان،ص:58

(3) ينظر: أحمد محمود نحلة، التعريف والتنكير بين الدلالة والشكل،دار التوني للطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر،(ط1)1997 ص:102

الضمير: وهو ما يكنى به عن المتكلم أو المخاطب أو الغائب،[1] تكمن وظيفته في الربط في الجملة بين عنصرين كربط الجملة واقعة خبرا بالمبتدأ وربط الصفة بالموصوف وجملة الصلة بالموصول وجملة الحال بصاحبها. ويعلّل "سيبويه" سبب إدراج الضمير ضمن المعارف فيقول:" وإنّما صار الإضمار معرفة لأنّك إنّما تضمر اسما بعدما يعلم أنّ من يحدث قد عرف من تعني وما تعني وإنّك تريد شيئا لعلمه.ويمكن أن نعزز قول "سيبويه" بشاهد من الدّيوان، يقول الأمير:[2]

كَساه رسُول الله ثَوب خِلافة　　　لَه حكم والتصريف والنَّهي والأمْر

المسند هو "حريص" وحذف المسند إليه "هو" ويقصد به شيخه "محمد الفاسي"، وقد أضمره الشاعر كونه حاضرا في ذهن "المتلقي".

العلم: اسم يدلّ على معيّن، بحسب وصفه، بلا قرينة. [3] وفي ذلك يقول سيبويه:"فأمّا العلامة اللازمة فنحو: زيد وعمر وعبد الله وما أشبهه، وإنّما صار معرفة، لأنّه إسم وضع عليه يعرف به بعينه دون سائر أمته،[4] ويقول في موضع آخر:"... من قيل أنّك إذا قلت هذا زيد فزيد اسم لمعنى قولك: هذا الرجل إذا اردت شيئا بعينه قد عرفه المخاطب بحليته أو بأمر قد بلغه قد اختص به دون من يعرف".[5]

يقول الأمير:[6]

مُحمد الفاسي لَه من محـــمّد　　　صَفي الإله الحَال وشـــيَم الغر

لقد فرض المقام على الشاعر استحضار شيخه "محمد الفاسي" ليبينه للمتلقي، حتى يشرع في تعداد شمائله ومناقبه، والمقام هنا مقام التعظيم والتبرّك.

(1) جامع الدروس العربية،ص:92

(2) الديوان،ص:109

(3) جامع الدروس العربية،ص:88

(4) سيبويه، الكتاب، ج2ص:25

(5) المصدر نفسه، ج2،ص:05

(6) الديوان،ص:108

اسم الإشارة: ما يدلّ على معين بواسطة إشارة حسية باليد ونحوها، إن كان المشار إليه حاضرا، أو إشارة معنوية إن كان المشار إليه معنى، أو ذاتا غير حاضرة،(1) ويؤتى بالإشارة للوصف بها،(2) "ويختص المتكلم باسم الإشارة واحدا ليعرفه المخاطب بحاسة البصر، وغيره من المعارف يختص واحدا ليعرفه بالقلب".(3) يقول الأمير:(الطويل) (4)

أهْلا وسَهلا بالحَبيب القَادم   هذا النَّهار لدَيّ خَيْر مَواســمِ

سيستقبل الأمير صديقا له، ويحلّ عنده ضيفا، وأيّ ضيف، إنّه "محمد الشاذلي" وهو قطب من أقطاب الصوفية، وأي يوم هذا سيزور فيه صاحب الطريقة الشاذلية الأمير، لذا يأتي اسم الإشارة "هذا" ليميّز يوم الإستقبال عن باقي الأيام التي قضاها في قصر "أمبواز" والتي كان يتمنّى زيارة أطياف شيوخه وأصدقائه حين قال: (الكامل) (5)

مَاذا عَلى سَادتِنا أهل الوَفا   لوْ أرْسَلوا طَيف الزِّيارة فِي خفا

وحتى تتحقق فاعلية الإشارة، لا بد أن يراعي القارئ المقام الذي ورد فيه اسم الإشارة.

المعرّف بالألف واللام: أو كما جاء في المدونات النحوية، المقترن بالألف واللام، اسم سبقته (ال) فأفادته التعريف، فصار معرفة،(6) و(ال) كلها حرف تعريف، لا اللام وحدها على الأصح، وهمزتها همزة قطع، وصلت لكثرة الاستعمال على الأرجح،(7) ويقول "سيبويه":" وأمّا الألف واللام فنحو الرجل والفرس والبعير وما أشبه بذلك... لأنّك إذا قلت: مررت برجل فإنك إنّما زعمت أنّك مررت بواحد ممن يقع عليه الإسم لا تريد رجل بعينه يعرفه المخاطب وإذا أدخلت الألف واللام فإنما تذكره

(1) جامع الدروس العربية،ص:100

(2) ينظر: سيبويه، ج1،ص:06

(3) ابن يعيش، شرح المفصل، ج5،ص:86

(4) الديوان،ص:69

(5) الديوان،ص:87

(6) جامع الدروس العربية،ص:116

(7) المرجع السابق،ن.ص

رجلا قد عرفه، فتقول: الرجل الذي من أمر هكذا وكذا ليتوّهم الذي كان عهده بما تذكره من أمره".[1]يقول الأمير:(الكامل) [2]

البَاذلون بِيوم حربٍ أنفسَهم لـــله! كَم بذلوا نفْسا وأبدَانا

تحدث الشاعر عن الذين بذلوا أنفسهم في سبيل الله ويقصد مجاهدي الدولة العثمانية في معركتهم مع "روسيا"، فالألف واللام اقترنت ب"الباذلون" في سياق الإشارة إلى معهود بين "المتكلم" و"السامع".

المعرّف بالإضافة: وهو اسم نكرة أضيف إلى واحد من المعارف، فاكتسب التعريف بإضافته،[3] ويقول "ابن السّراج":"وأنت لا تقول غـــلام زيد فتضيف إلّا وعندك أن السامع قد عرفه كما عرفته".[4]

ومن أمثلة هذا قول الأمير: (الكامل) [5]

يا أيها الريح الجَنوب! تحَـــمّلي مِني تحية مُغرم وتـَــــــجَمّلي

وأقرّ السَّلام أهيل وُدّي وأنشري من طِيب ما حملت رِيح قُرنفل

يوجه الشاعر خطابه آمرا الريح أن تقوم مقامه وتنوب عنه في إقراء التحية لإخوانه المجاهدين المرابطين في جبل جرجرة، وكلمة **مغرم** جامعة للحب والمؤازرة ورفع المعنويات* ، وقد فرضها المقام، مستقبل هذه التحية (الجيوش) والتي اكتسبت التعريف بإضافة **مغرم** يعلم صدق مرسلها **الأمير**.

الموصول: أو اسم الموصول وهو ما دلّ معيّن بواسطة جملة تُذكر بعده وتسمى هذه الجملة (صلة موصول).[6] وتكون هذه الجملة معلومة عند السامع، لأن الغرض منها تعريف المذكور بما يعلمه

([1]) سيبويه، ج2،ص:05

([2]) الديوان،ص:92

([3]) جامع الدروس العربية،ص:121

([4]) ابن السّراج، الأصول،ص:53، نقلا عن محمد أحمد نحلة، التعريف والتنكير بين الدلالة والشكل،ص:86

([5]) الديوان،ص:84

* البيت مجتزأ من قصيدة "الباذلون أنفسهم" بعثها إلى جيوشه عندما أشيع بينهم مقتله

([6]) المرجع نفسه،ص:103

المخاطب من حاله ليصبح الإخبار عنه بذلك. [1] يقول الأمير عبد القادر:(الوافر)[2]

أَلا قل للّتي سَلبت فؤادي وأَبقتني أهـــــيِم بِكل وِادِ

من شروط صلة الموصول أن تكون معلومة للمخاطب في اعتقاد المتكلم قبل ذكر الموصول،[3] لأنّ القصد من الصلة تعريف الموصول لما يعلمه المخاطب من حالة ليصح الإخبار عنه، وللسياق اللغوي دور في الكشف عن هوية صلة الموصول كما هو الحال في هذه القصيدة التي اجتزأنا منها هذا البيت. وكما هو معلوم فموضوع القصائد الغزلية عند الأمير تدور حول الفراق وابتعاد المحبوب "إبنة العم".

2.3 الإجـتــــزاء:

الإجتزاء لغة: هو الإقتطاع، يقال جزّأه أي قطعه".[3]

أمّا اصطلاحا: فإنّ الإجتزاء هو الإقتطاع من الكلمة، فقد يلجأ المتكلم إلى اقتطاع بعض الحروف من الكلمة، لكن شريطة أن يعلم "السامع" غرض المتكلم وما يريد تبليغه و نلفي "سيبويه" قد أجاز الاجتزاء من الكلمة حرفا أو أكثر وقد يوقف إلّا على حرف واحد من الكلمة ليستدل به عليها، ففي باب إرادة اللفظ بالحرف الواحد يقول:" سمعت من العرب من يقول: ألاتا، بلى، فا، فإنما أرادوا ألّا تفعل وبلى فافعل، ولكنه قطع كما كان قاطعا بالألف في أنا، وشركت الألف الهاء كشركتها في قوله، أنا، بيّنوها بالألف كبيانهم بالهاء في هية وهنة ويعزز صاحب "الكتاب" قوله بشاهد فيقول:

بالخَير خَيْرات وإن شـِـرافا ولا أُرِيد الشّـــــر إلا أن تــَشاء

يريد: إن شرّا فشرّ، ولا يريد الشرّ إلاّ أن تشاء.[5] والملاحظ أن الشاعر حذف أحرف كلمة "شر" ودلّ عليها بالفاء الرابطة لجواب الشرط كأنّه نزّلها منزلة الحرف من الكلمة.

---

(1) ينظر: شرح المفصل، ج2،ص:197

(2) الديوان،ص:57

(3) ينظر: عبد السلام هارون، الأساليب الإنشائية في النحو العربي،مكتبة الخانجي،(ط5)،2001،ص:30

(4) مختار الصحاح،ص:43

(5) سيبويه، الكتاب،ج3،ص:320

وهو عند "ابن جني" إجراء جائز، فلا حرج على المتكلم في ممارسته مادام ما تبقى من الكلمة ما يدلّ عليها وبعلم المخاطب، أو كما قال: حال المشاهدة ما يدلّ على المحذوف.[1]

ومن شواهد هذه الظاهرة في ديوان الأمير:(الكامل) [2]

طَال لــيلي يا أحِبَّــاي ! ولا يَعْلم الحال سِوى الفرد الصَّمد

البيت الشعري مجتزأ من قصيدة "طال ليلي"، قالها الشاعر عندما اضطر مجاهدون من جيش الأمير الفرار نحو المغرب الأقصى ومنهم إخوانه سعيد ومصطفى وحسين، وإليهم بعث القصيدة، والإجتزاء وقع في كلمة "أحبّاي" والتقدير **أحبائي** وما تبقى ما يدل عليها، وسياق الكلام سياق حسرة وحيرة وحال لا يعلمه إلّا الله، وفي هذه الحالة النفسية يستعصى على المتكلم إتمام كلمات تنتهي بالهمزة ومخرجها من أقصى الحلق، والسّامع أو "المتلقي" قد يجيب الأمير فيقول: نحن أعلم بحالك ولا داعي للتحمل أكثر.

3.3 القصر:

تدور دلالات "القصر" في معجم لسان العرب حول الحبس، يقال :"قصرك أن تفعل كذا، أي حسبك وكفايتك، وكذلك قصارك وقصاراك، وهو معنى القصر والحبس لأنّك إذا بلغت الغاية حبستك". [3]

أمّا اصطلاحا: فهو عند صاحب "التعريفات":"تخصيص شيء بشيء وحصره فيه".[4] أي كأنّ نخصص صفة لموصوف أو موصوف بصفة ويطلق على الأول المقصور وبالثاني المقصور عليه.

وأدوات القصر هي: إنّما و (ما وإلّا)، وقد تنبّه النحاة للدلالة التي تؤديها هذه الأدوات، فهاهو صاحب "الدلائل" يبين سبب لجوء المتكلم إلى استعمال (إنّما) فيقول :"اعلم أنّ موضوع (إنّما)

([1]) ينظر: الخصائص، ج2،ص:361

([2]) الديوان،ص:83

([3]) ابن منظور، لسان العرب، مادة (قصر)، ج2،ص:116

([4]) الجرجاني الشريف علي بن محمد،كتاب التعريفات، مع فهرست التعريفات والمصطلحات اللغوية والفقهية والفلسفية، مكتبة لبنان، ناشرون، 1985،ص:156

على أن تجيء لخبر لا يجهله المخاطب ولا يدفع صحته أو لما ينزل هذه المنزلة تفسير ذلك أنّك تقول للرجل : إنّما هو أخوك وإنّما هو صاحبك القديم، لا تقول لمن يجهل ذلك ويدفع صحته ولكن لمن يعلمه ويقرَّ به ، إلّا أنّك تريد أن تنبهه الذي يجب عليه من حق الأخ وحرمة الصاحب.[1]

المتمعّن في كلام "الجرجاني" يدرك أنّ الأداة "إنّما" تأتي لتنبيه المخاطب لأمر يعلمه ويعمل المتكلم بها لتقريره وتثبته له.

وتنبّه "سيبويه" إلى الدلالة التي تؤدّيها (ما وإلّا)، ففي معرض حديثه عن الفرق بين الإستثناء والقصر يقول في باب "هذا ما يكون استثناء بإلّا" :"اعلم أنّ "إلاّ"يكون الإسم بعدها على وجهين: فأحد الوجهين أن تغيّر الإسم عن الحال التي كان عليها قبل أن تلحق، كما أنّ "لا" حين قلت : لا مرحبا ولا سلامٌ، لم تغيّر الإسم عن حاله قبل أن تلحق، فكذلك "إلّا"، ولكنها تجيء لمعنى كما تجيء "لا" لمعنى.

والوجه الآخر أن يكون الإسم بعدها خارجا مما دخل فيه ما قبله، عاملا فيه ما قبله من الكلام، كما تعمل عشرون فيما بعدها إذا قلت عشرون درهما، فأمّا الوجه الذي يكون فيه الإسم بمنزلته قبل أن تلحق "إلّا" فهو أن تدخل الإسم في شيء تنفي عنه ما سواه وذلك قوله: "ما أتاني إلّا زيدٌ، وما لقيت إلّا زيدا، وما مررت إلّا بزيدٍ تجرى الإسم مجراه إذا قلت ما أتاني زيدٌ، وما لقيت زيدًا، وما مررت بزيدٍ، ولكنّك إلّا لتوجيه الأفعال لهذه الأسماء ولتنفي ما سواها فصارات هذه الأسماء مستثناة". [2]

المتمعّن في قول "سيبويه" يجده قد خصّص الأفعال (أتاني، لقيت، مررت) بزيد؛ فالقصر هنا قصر صفة على موصوف، وهو قصر يراد به أنّ صفة (الإتيان، الإلتقاء والمرور) مقصورة على زيد فقط، وما نلحظه في كلام "سيبويه" أنّه لم يسمي أسلوب القصر باسمه.

---

[1] الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص:218

[2] سيبويه، الكتاب، ج3،ص:248

وفي ديوان الأمير عبد القادر لم نعثر على أسلوب القصر بأداة "إنّما" ويكاد يخلو بأداة (ما وإلّا) فنجده يقول: (البسيط) [1]

مَا في البَداوة مِن عَيْب تُذمُّ بِه   إلَّا المـُروءة والإحْسَان بالبَدر

البيت الشعري مجتزأ من قصيدة "ما في البداوة عيب"، وجاء بعد أبيات شعرية عبّر الشاعر من خلالها عن مناظر الطبيعة الصحراوية، وعن حيواناتها وعن أهلها وأخلاقهم وشجاعتهم وكرمهم ولم يبق الشاعر عيب لتذم به البادية، إلى أن قال هذا البيت الشعري الذي مثلنا به، وفيه يقرر ويثبت الأمير في نفسيةالآخر "المتلقي" أمراء فرنسا أنه لا مجال للمفاضلة بين الحضر والبدو، وضمّ تركيبه اللغوي الأداة "ما" لينفي كل العيوب والمساوئ عن البداوة ثم يخصصها بوصفين هما المروءة والإحسان باستخدام الأداة "إلّا".

4.قصد المتكلم وعلم المخاطب وتوجيه الحالات الإعرابية:

الإعراب لغة: يقال" أعرب فلان في نفسه أي أبان وأفصح، وكشف"،ويقال للرجل الذي أفصح بالكلام: أعرب.[2]

أمّا اصطلاحا: هو "أثر ظاهر أو مقدر يجعل العامل في آخر الكلمة، وأنواعه أربعة رفع ونصب في إسم وفعل نحو زيد يقوم، وإن زيدا لن يقوم وجر في اسم نحو لزيدٍ وجزم في فعل نحو لم يقمْ ولهذه الأنواع الأربعة علامات أصول وهي الضمة للرفع والفتحة للنصب، والكسرة للجرّ، وحذف الحركة للجسم وعلامات فروع لهذه العلامات".[3]

وهو "فارق بين المعاني العارضة كالفاعلية والمفعولية والتعجب والنفي والاستفهام نحو ما أحسن زيدًا، وأحسن زيدٌ، وما أحسن زيدٍ، نفس الحركات هنا هو الفارق بين المعاني"،[4] وقد أجمع النحاة على أنّ الإعراب هو فرع المعنى وإنّ الصّلة بينهما وثيقة وخاصة من جهة القراءات

([1]) الديوان، ص:50

([2]) لسان العرب، مادة (عرب) ج4،ص:866

([3]) ابن هشام، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ج1،ص:39

([4]) الخصائص، ج1،ص:35

القرآنية".[1] بالإضافة إلى كل هذا يشير الباحث المغربي "إدريس مقبول" إلى أنّ الإعراب عند النحاة وخاصة "سيبويه" يكاد لا يخلو من أسباب وصلات مع المستوى التداولي.[2]

ويستحضر النحاة في بنائهم القواعد النحوية وفي توجيهاتهم لها **قصد المتكلم، وعلم المخاطب** في توجيه الحالات الإعرابية، وهم بهذا الإجراء يتجاوزون أواخر الكَلِمْ، فالحالة الإعرابية للجملة تختلف باختلاف "**قصد المتكلم**" الذي يسعى دائما إلى توضيح غرضه وفق قدرة "**السّامع**" على الفهم، ومن الحالات الإعرابية التي وجهت بعلم المخاطب، ما استدل به "سيبويه" في باب "ما يجري على الشّتم مجرى التعظيم وما أشبه" نحو قوله:" وبلغنا أنّ بعضهم قرأ هذا الحرف نصبا ﴿وَامْرَأَتُهُ حَمّالَةَ الحَطب﴾[3] لم يجعل **الحمّالةَ** خبر للمرأة ولكن كأنّه قال:" أذكر حمالةَ الحطب شتما لها إن كان فعلا لا يستعمل إظهاره.[4]

كما اعتمد صاحب "الكتاب" على المخاطب في توجيه ما انتصب على "المدح" ففي الآية الكريمة ﴿ لَكنَّ الرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ مِنْهُمْ والمُؤْمِنُونَ يُومِنُونَ بِمَا أُنْزِلِ إِلِيْكَ وما أنزل من قبلك والمقيمين الصلاة والموتون الزكاة والمؤمنون بالله واليوم الآخر أولئك سنوتيهم أجرا عظيما﴾.[5]

فقد زعم "الخليل" أن النّصب هذا "أي المقيمين" على أنّك لم ترد أن تحدّث الناس ولا من تخاطب بأمر جهلوه، ولكنّهم قد علموا من ذلك ما قد علمت فجاء ثناءً وتعظيما ونصبهُ على الفعل.[6]

والمتمعّن في كلام "سيبويه" يجد أن **لعلم المخاطب** دورا مهمّا في توجيه الحالات الإعرابية، والاعتماد عليه في التعليل دليل على اهتمام النّحاة بطرفي العملية التواصلية(المتكلم، السّامع) لأنّ تفاعلهما يساهم في توجيه المسائل النّحوية وتقعيدها.

([1]) ينظر: تواتي بن تواتي، محاضرات في أصول النحو،ص:349

([2]) إدريس مقبول، البعد التداولي عند سيبويه، مجلة عالم الفكر، العدد والمجلد 33 سبتمبر، جويلية2009،ص:06

([3]) سورة المسد، الآية 04

([4]) الكتاب، ج2،ص:93

([5]) سورة النّساء،الآية 162

([6]) الكتاب، ج2،ص:66

وفي موضع آخر ينسب "سيبويه" العمل إلى **المتكلّم**، فيقول في **باب الإضمار في (ليس، كان)**:"فمن ذلك قول بعض العرب: ليس خلق الله مثله فلولا أنّ فيه إضمارا لم يجز أن نذكر الفعل ولم تعمل في إسم" وأمّا قول امرئ القيس:

فَلَوْ أنّ ما أسْعى لأدنَى معيشَة　　　　كَفاني ولم أطْلب قليلٌ من المَال

فإنّما رفع، لأنّه لم يجعل القليل مطلوبا، وإنّما كان المطلوب عنده الملك وجعل القليل كافيا ولم يرِدْ ذلك نصب فسد المعنى"،[1] فنسب العمل إلى امرئ القيس.

ولا تكاد تخلو المدوّنات النحوية من مسألة التعليل **بقصد المتكلم**، فقد أدرك "ابن جني" أن المتكلّم هو الذي يملك المعنى الحقيقي للعبارة والأدرى بمقاصد وأغراض الكلام، ففي معرض حديثه عن موقع المتكلم من الإعراب يقول:" فأمّا في الحقيقة ومحصول الحديث فالعمل من الرفع والنصب والجر والجزم إنّما هو المتكلم نفسه لا لشيء غيره، وإنّما قالوا لفظي ومعنوي لما ظهرت آثار فعل المتكلم بمضامة اللفظ، للفظ وباشتمال المعنى على اللفظ وهذا واضح".[2]

إنّ "ابن جني" يسند الأعمال إلى **المتكلم** كما أقرّ "سيبويه" قبله، لكن هناك من خالف الشيخين، ففي الدراسات الحديثة لأصول النحو هناك من اشار إلى أنّه ليست العوامل التي ترفع وتنصب وتجرّ وتجزم، ولا المتكلم هو الذي يحدث شيئا وإنّما الذي يحدث هذه الآثار ما تعارفت عليه الجماعة المعيّنة والتزام المتكلم بما تنطق به بيئته وبالكيفية التي تنطلق بها كما هو ملزم ان ينسج على منوالها ولا يخرج عن سننها".[3]

إنّ طبيعة الموضوع أو البحث قد تجعلنا بمنأى عن هذا الخلاف، وحتى إن صحّ رأي الباحث، فإن طرحه يخدم موضوعنا، لأنّ الباحث قد ربط توجيه الحالات الإعرابية كما تعارفت عليه الجماعة، أي ارتباط الوظيفة أو المعنى بالسياق الاجتماعي.

---

(1) المصدر نفسه، ج1، ص:79

(2) الخصائص، ج1، ص:111.110

(3) ينظر: تواتي بن تواتي، محاضرات في أصول النحو، ص:289

ويورد النحاة أمثلة كثيرة في توجيه الحالات الإعرابية، **بقصد المتكلم** و **علم المخاطَب**، مثلا لبيان صفتي الذّم والمدح، كما هو مبيّن في الجمل الآتية:

1 . مررت بالرجل الكريمِ (بجر الكريم)

2 . مررت بالرجل الكريمَ (بنصب الكريم)

3 . مررت بالرجل الكريمُ (برفع الكريم)

وتفسير عدم تطابق الإعراب في الجملتين 2و3 كما يرى "أحمد المتوكل" هو لجوء العرب إلى أطروحة الإضمار، حيث افترضوا إضمار الفعل (من قبيل) "أخُصُّ" في حالة النصب وضمير المبتدأ في حالة الرفع.(1)

والفعل **مررتُ بالرجل الكريم** بالتطابق الإعرابي قد يراد منه تمييزه من غيره الذي هو "بخيل" ، والقول **مررت بالرجل الكريم** عدم التطابق (النصب) ويراد تنبيه السامع على هذه الصفة كما تعني أنّ الرجل معلوم بها للمخاطب يعلمه كل أحد، أو القول" **مررت بالرجل الكريم"** فالصفة هنا راسخة ومستقرّة مما قبلها.

5. الســـيـــاق:

لقد أولى النحاة اهتماما كبيرا للسياق بعدّه عنصرا مهما في تحديد معنى الكلمة أو الجملة، واستطاعوا أن يميّزوا نوعين منه: الأول لغوي، والثاني حالي، وليس أدلّ على ذلك قول "سيبويه": "وإنّما حذفوا الفعل في هذه الأشياء لكثرتهم في كلامهم واستغناء ما يرون من الحال وبما جرى من الذكر".(2)

والظاهر من كلام "سيبويه" أن الحذف من الكلام يلازم حال أو مقام المتكلم، بمعنى أن ربط النّشاط اللغوي بالسياق أو الموقف الإجتماعي ضرورة لكي يحدد معنى الكلمة أو الجملة.

(1) ينظر: أحمد المتوكل، مسائل النحو العربي في قضايا الخطاب الوظيفي، ،ص:15

(2) سيبويه، الكتاب، ج1،ص:66

1.5 السياق المكاني والزماني: تشير الدراسات الحديثة أنّ من بين الشروط المؤثرة في بنية النصوص الزمان والمكان.[1] ويراعي النحويّون السياق في توجيهاتهم للمسائل النحوية لإدراكهم أنّ المعنى لا ينكشف إلّا من خلال وضع الكلام في إطاره الزماني والمكاني مع مراعاة الملابسات المحيطة به، وفي هذا السياق يحدد "سيبويه" معاني الجمل من خلال فحص التراكيب الكلامية فيقول:"(باب الرفع فما اتصل بالأول باتصاله بالفاء انتصب لأنه غاية)،سرت حتى أدخلَها، وقد سرت حتى أدخلُها سواء... فيما زعم الخليل، فإن جعلت الدّخول في كل ذا غاية نصب... وتقول: فلمّا سرت حتّى أدخلها إذا عنيت غير سير، وكذلك أقلّ ما سرت حتّى أدخلها من قبل أنّ قلّما نفي لقوله كثر ما". [2]

المتأمّل في التركيب الأوّل _سرت حتى أدخلَها_ (بالنصب)، إذا كان الدخول غاية للسير، أو المتكلم في حال السير، ولم يبلغ الدخول أو المدخل.

سرت حتّى أدخلها (بالرفع) إذا كان الدّخول متّصلا بالسير، أو المتكلم في حال الدخول أو كيفية الدّخول(الكيفية).

الواضح أنّ صاحب "الكتاب" يوجه الحالات الاعرابية وفق قوانين الخطاب والتواصل أو وفق المتكلم وسياق الموقف المتمثل في الإطار المكاني. ويـــقول في: (باب ما يكون العمل فيه من اثنين) واعلم أنّه لا يجوز سرتُ حتى أدخلُها وتطلع الشمس* .إذا رفعت طلوع الشمس لم يجز، وإن نصبت وقد رفعت فهو محال حتى تنصب فعلك من قبل العطف فهذا محال أن ترفع، ولم يكن الرفع لأن طلوع الشمس لا يكون أن يؤديه سيرك فترفع تطلعُ وقد حلّتَ بينه وبين الناصبة.

إنّ "سيبويه" لا يجيز رفع "الطلوع" أو العطف "الدخول" أدخلها لأنّ شروق الشمس غير مترتب على أفعال البشر.

([1]) فولف نج هاتيه ودتير فيهفيج، مدخل إلى علم اللغة النصي، ت/د فالح العجمي،النشر العالمي والمطابع، جامعة الملك سغود،السعودية،(د.ط)،1999ص:65

([2]) المرجع نفسه، ج3،ص: 22.21

ما يمكن أن نستخلصه أن "سيبويه" يحتكم إلى السياق في توجيه الحركات الإعرابية أو وضع التراكيب في إطارها الزماني ويمكن أن نعزز الأمثلة السابقة بشاهد من الديوان ونبيّن فيها دور قصد المتكلم وعلم المخاطب والسياق في توجيه الحالات الاعرابية، يقول الأمير: (الوافر) [(1)]

وكَان دوام الدَّهــــر ذِكر بَدا نطـــق الكِتَاب ولا يَزال

وإنّما رفع الأمير عبد القادر الخبر "ذكرٌ" لأنّه لم يجعل دوام الدّهر خبرا لكان، ومعاني كان عند النحاة تأتي لتصف المسند إليه بالمسند في الماضي، وسياق كلام الشاعر سياق فخرٍ يفتخر بنسبه، فهو سليل الشجرة المباركة، و" حلقة من سلسلة ذات حلقات، كل حلقة تمثل عهدا حافلا بالأعمال الجليلة والأخلاق الفاضلة والمواقف النبيلة".[(2)] وحلقة الأمير ليست حلقة مفقودة وإنّما هي استمرار للحلقات السابقة، أو هي رسالة أو قصد أراد أن يوصله إلى المتلقي عبر تركيبه الكلامي الذي رفع فيه الخبر (ذكر).

2.5 السياق الاجتماعي:

تفطّن علماء العرب على أنّ الوظيفة الأساسية للغة هي التواصل، فهاهو "ابن جني" يضع لها تحديدا فيقول:" أمّا حدها فإنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم".[(3)]

بهذا المفهوم يكون " أبو الفتح عثمان "قد ادرك أنّ العلاقة بين اللغة والمجتمع علاقة تأثير وتأثر، وأكّده "سيبويه" من قبل في أكثر من موطن، ففي "باب ما جرى من الأمر والنهي على إضمار الفعل المستعمل إظهاره إذا علمت أنّ الرجل مستغني عن لفظك بالفعل: [(4)]

زيدا، وعمرا، ورأسه

---

*يعلق السيرافي على كلام سيبويه فيقول: لأن تطلع الشمس لا يرتفع أبدا، لأن السير لا يؤدي إليه ولا يكون سببا له، فبطل عطفه على أدخلها، ولا يجوز نصبه وليس قبله ما ينصبه، لأن حتى اذا ارتفع ما بعدها فليست هي حتى التي تنصب الفعل ولو أعاد حتى وجعلها ناصبة فقال: سرت حتى أدخلَها، وحتى تطلع الشمس جار، ينظر: أبي السعيد السيرافي، شرح كتاب سيبويه، الكتاب، ج3،ص:39

([1]) الديوان،ص:46

([2]) عبد الرزاق بن سبع، الأمير عبد القادر الجزائري وأدبه،ص:72

([3]) ابن جني، الخصائص، ج1،ص:33

([4]) سيبويه، الكتاب، ج1،ص:253

وذلك أنّك رأيت رجلا يضرب ويشتم أو يقتل فاكتفيت بما هو فيه من عمله أم تلفظ له بعمله، فقلت **زيدا** أي أوقع عملك بزيد، أو رأيت رجلا يقول أضرب شر الناس فقلت **زيدا**، أو رأيت رجلا يحدث حديثا فقطعه فقلت حديثك، أو أقدم رجل من سفر فقلت حديثك، استغنيت عن الفعل بعمله أنه مستخبر.

وأمّا النهي فإن تحذيرك كقولك:" الأسد الأسد، والجدار الجدار"، وإنّما نهيته أن يقرب الجدار المائل أو يقرب الأسد، وإن شاء أظهر الفعل.

الظاهر من كلام "سيبويه" أن المتكلم قد يستغني في تراكيبه اللغوية عن بعض عناصر الجملة، ويدلّ عليها سياق الحال، على أساس انتماء كل من المتكلم والسامع إلى بيئة واحدة وتربطهما علاقات اجتماعية.

يقول الأمير عبد القادر:(الطويل)[1]

فمنّوا بلقياكم وإلّا فلا بقا وريح الفنا تسفي علينا إذا سفا

الخطاب موجه من الأمير إلى ابنة عمه – باعتبارها زوجته وبنت بيئته– وفي تركيبه يستغني عن الجار والمجرور "**لــي**" في صدر البيت، وتقدير الكلام "**فلا بقا لي**".

صفوة القول أنّ النحاة في تقعيدهم وتوجيههم للمسائل النحوية ربطوا العبارات الكلامية بسياقاتها اللغوية والحالية آخذين بالإعتبار كل الملابسات والظّروف المحاطة بالكلام.

(1) الديوان،ص:57

الفصل الرابع

الأبعاد التداوليـّة في العملية التواصليّة من خلال الآليات البلاغية

المبحث الأول: الأبعاد التداولية في علم المعاني

تمهيد

1. مراحل نشأة البلاغة العربية.
2. علم المعاني
   - 1.2 الخبر والإنشاء
   - 2.2 التكرار وقيمته الحجاجية
   - 3.2 الوصل والفصل
   - 4.2 الحذف والإفتراض المسبق.

المبحث الثاني: الأبعاد التداولية في علم البيان والبديع

تمهيد

1. علم البيان
   - 1.1 التشبيه واستراتيجيته الحجاجية
   - 2.1 الإستعارة، ثبات المعنى والإحتجاج له.
   - 3.1 الكناية، التلميح ومبدأ التأدب.
2. البديع وأبعاده التداولية
   - 1.2 الإلتفات
   - 2.2 الجمع مع التفريق
   - 3.2 الإقتباس
   - 4.2 التضمين

المبحث الأول: البـــعد التـــداولي في عـــــلم المعاني

1. تمهيد:

لا تفرق الدراسات الحديثة بين التداولية والبلاغة،* فإذا كانت التداولية في أبسط تعاريفها هي دراسة اللغة أثناء الإستعمال، فإنّ البلاغة هي المعرفة باللغة حين استعمالها، فكلا العلمين يركزان عنايتهما في إظهار عناصر العملية التواصلية و العلاقة القائمة بينهما، بدءا من المتكلم البليغ الذي يستعمل اللغة الرسالة كأداة لممارسة الفعل على المتلقي المرسل إليه، مع مراعاة مقام المقال أو إطاره التواصلي .

وسنقف في هذا المبحث عند أهمّ تنظيرات وتصوّرات علماء اللغة العرب النّابعة من مبدأ الاستعمال التداولي، و التي حملت في طيّاتها أبعادا تداولية واضحة، من خلال تقنيات أو آليات بلاغية كالخبر والإنشاء، والوصل والفصل، والتكرار، ولكن قبل ذلك لابأس أن نقدم نبذة عن مراحل نشأة البلاغة العربية وتطورها.

2. مراحل نشأة البلاغة العربية:

تشير معظم الدراسات التي تناولت البلاغة العربية من حيث نشأتها وتطورها أنّ العرب عرفوا البلاغة قبل ظهور الإسلام وتمثلت معرفتهم في هذه الفترة، في تسجيل ملحوظات بلاغية بسيطة بعيدة عن التّقعيد والتعقيد، وقد شهدت عليهم أسواقهم التي تصدرها كبار الشعراء الذين كان يعهد إليهم أحيانا تقويم شعر بعض الشعراء الأحدث عهدا، إضافة إلى ذلك، الموازنات كالتي عقدت بين "امرئ القيس" و"علقمة الفحل" في وصف الفرَس.[1]

---

* من الدراسات دراسة "ليتش" (Leitch) الذي يرى أنّ البلاغة تداولية في صميمها؛ إذ أنّها ممارسة الإتصال بين المتكلم والسامع، ينظر:صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، الشركة المصرية العالمية، لونجمان، إشراف محمود مكي علي، (ط1)،1996،ص:123، ودراسة محمد العمري الذي أعاد الإعتبار إلى البلاغة العربية في الدراسات السيميائية تحت عنوان جديد "التداولية"، ينظر:محمد العمري، البلاغة العربية، أصولها وامتدادها، إفريقيا الشرق، المغرب،1999،ص:214.

(1) ينظر: عثمان موافي، دراسات في النقد العربي، دار المعرفة، الإسكندرية، مصر 2000،ص:31

كما شهد القرآن على هذه المرحلة وعلى ما بلغه العرب من رقي في البلاغة والبيان إذ صوّر معارضيه الذين اعتمدوا الجدل في آية من مثل ﴿فَإِذَا ذَهَبَ الخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ﴾،[1] ولعلّ دعوة الرسول لمشركي قريش إلى منافسة القرآن الكريم دليل على ما وصلوا إليه من حسن البيان.[2]

وفي صدر الإسلام تسجّل البلاغة تقدّما ملحوظا، لأن العرب جعلوا من القرآن الكريم وأحاديث النبي محمد صلى الله عليه وسلّم مثال أدبي رائع، وفي مرحلة لاحقة نسجّل فنون أدبية أخرى، كالمكاتبات والخطابة اللتان ظهرتا بظهور الأحزاب والعصبيّة القبليّة.[3]

ثم ظهر أصحاب المذاهب الكلامية، وخاصة "المعتزلة" الذين اشتهروا بالمناظرات وكيفية اقحام الخصم، وكيف يحسنون البيان ويصوغون كلاما يستولي على قلوب السّامعين.[4]

وإنّ صحيفة "بشر بن المعتمر" خير دليل على اهتمامهم الواسع بفنون النثر وأسس البلاغة، فقد تحدث صاحبها على الشروط الأساسية التي ينبغي التقيّد بها، والإعتداد بها عند كل متكلّم، من حسن استعداد للكلام واستخدام عبارات حسنة واصفة لا لبس فيها ملائمة للأغراض والمعاني وطبقات السّامعين.[5]

وضمّن كتاب "البيان والتبيين" لـ "الجاحظ" أصولا مهمة لعلم البلاغة، حيث جمع فيه ملاحظات العرب البيانية وبعض ملاحظات الأجانب، كما سجّل كثيرا من ملاحظات معاصريه وخاصة المعتزلة،[6] ويعدّ "أبو العباس عبد الله بن المعتز بن المتوكل"(ت:296هـ) الأول من ألّف في "البديع" وميّز سبعة عشر نوعا بديعيا،[7] ثمّ أضاف "قدامة بن جعفر" صاحب كتاب "نقد الشعر"(ت:337هـ) ثلاثة عشر نوعا منها التقسيم والترصيع والترشيح، وأولى "أبو الحسن علي بن

---

(1) سورة الأحزاب، الآية:19

(2) ينظر: شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف،القاهرة، مصر،(ط6) (د.ت)،ص:07

(3) محمد عبد الغني الشيخ، النثر الفني في العصر العباسي الأول، اتجاهاته وتطوره، (ج1)،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،1983،ص:08

(4) ينظر: شوقي ضيف، الباغة تطور وتاريخ،ص:33

(5) ينظر: الجاحظ، البيان والتبيين،(ج1)،ص:139.138

(6) ينظر: شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ،ص:48

(7) ينظر: ابن معتز، البديع، شرح وتعليق عبد المنعم الخفاجي، 1945،ص:106

عبد العزيز المعروف بالقاضي الجرجاني"(ت:392هـ) في كتابه "الوساطة بين المتنبي وخصومه" اهتماما كبيرا بالمعاني إذ نجده يميّز بين الإستعارة الحسنة والقبيحة كما ذكر نوعا للجناس والتقسيم وبعض نماذج التشبيه،[1] وفي معرض حديثه عن البلاغة والإختلاف تحدّث "أبو هلال العسكري"(ت:395هـ) عن البلاغة والإختلاف ومن المسائل التي ضمّنها كتاب "الصناعتين" الإيجاز والإطناب والسرقات الشعرية، ومن الذين اهتموا بالإعجاز البياني نذكر "أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني"(ت:403هـ) ، وضمّن كتابه "إعجاز القرآن" أهم مسألة تمثّلت في أساليب الذكر الحكيم مبيّنا أنّ الحاجة إلى الحديث في إعجاز القرآن أمس الحاجة إلى المباحث اللغوية والنحوية، وأولى "أبو الحسن محمد بن الطاهر المعروف بالشريف"(ت:406هـ) الرضى بدلالة الألفاظ فقد تحدّث عن نوعين من اللفظ في كتابه: "المجازات البنيوية" وهما: الدلالة الوضعية للفظ ثم الدلالة المجازية. وتحدّث "أبو علي بن رشيق القيرواني":(ت:456هـ) في كتابه "العمد في محاسن الشعر وآدابه" عن البلاغة والبيان واتسمت دراسته بالتبويب، فجعل للإيجاز والمجاز والبديع والتشبيه والمطابقة والتمثيل أبوابا.

ونلفي أهم مرحلة في تاريخ البلاغة هي مرحلة التأصيل البلاغي ومثلها جملة من البلاغيين نذكر منهم "عبد القاهر الجرجاني"(ت:471هـ) الذي ضمّن في كتابيه "دلائل الإعجاز" و"أسرار البلاغة" مجموعة من القضايا كالمفاضلة بين اللفظ والمعنى؛ ومراعاة النسب النحوية التي عدّها شرطا جوهريّا لا مناص من اعتباره في العمليّات المنتجة للكلام وهو ما عرف عنده تحت مصطلح "النظم".

وتحدّث عن نسبة التطابق والتلاؤم بين الكلام والمقاصد، كما بينّا في الفصل الثاني، إضافة إلى مجموعة من التوصيات والشروط، ومن بينها معرفة خصوصيات اللغة التي يتم بها التواصل ويعد الأوّل من الفصل بين علمي المعاني والبيان.

ومن الدراسات البلاغية نجد دراسة "جار الله محمود بن عمر الزمخشري" صاحب "الكشاف" الذي ضمّن فيه تطبيقات للأساليب البلاغية كالإستعارة والمجاز والتشبيه والكناية، كما اهتمّ بالاستعمالات الحقيقية للمواد العربية ثم بيّن تطورها الدلالي بطريقة المجاز في كتابه "أساس البلاغة".

---

[1] ينظر:شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ،ص:69

ثم نشهد مرحلة أخرى عمد فيها الباحثون والعلماء البلاغيون التلخيص لأعمال سابقيهم، واستثمار تنظيراتهم وتخريجاتهم البلاغية، ومن البلاغيين الذين كان لهم دور طلائعي مميّز في التنظير للدّرس البلاغي، نلفي "السّكاكي" بفضل كتابه "مفتاح العلوم" والخطيب "القزويني" في كتابه "الإيضاح في علوم البلاغة: المعاني والبيان والبديع"، أمّا صاحب "مفتاح العلوم" فقد جمع خلاصة ما كتبه العلماء قبله وتطرق إلى علم الصرف وعلم النحو وعلوم البلاغة، وعلم العروض وعلم الإستدلال.

وسار الخطيب "القزويني" على خطى منهج "السكاكي"، فقام بتلخيص القسم الثالث من "مفتاح العلوم" وعزز عمله بأمثلة وشواهد، ورتّبه حتى يسهل على الباحث في علوم البلاغة تناوله وسماه "تلخيص المفتاح".

ومن المساهمين في إثراء الفكر البلاغي العربي "حازم القرطاجني"(ت:684) الذي تفطن إلى البعد التداولي للعملية التواصلية، وخاصة عندما تحدّث في كتابه "منهاج البلغاء" عن القوى الثلاث التي تتظافر في إنتاج الخطابات، فسمى الأولى **الحافظة** وترتبط بالفكر والثانية **المائزة** وتميز ما يلائم الموضع والنظم والأسلوب والغرض، أمّا الثالثة فسمّاها **الصانعة**، وتقوم بضم الأجزاء من الألفاظ والمعاني والترتيبات النطقية إلى بعض.

حاصل القول أن البلاغة العربية مرّت بمراحل، ومثّل كل مرحلة عدد من البلاغيين أسهموا في تأسيس العلم وتطويره واتضاح معالمه وأسسه من خلال تنظيراتهم وتصوّراتهم، ووضع مصطلحات تخصّه وتحدّه، وقد ميّز المتأخرون منهم ثلاثة أقسام للبلاغة هي : **علم المعاني**، و**علم البيان** و**علم البديع**، وسنعتمد هذا التقسيم ونختار بعض الآليات البلاغية من كل قسم ونحاول رصد أبعادها التداولية.

3.علم المعاني:

وهو المجال الذي يبحث فيه كيفية مطابقة الكلام لمقتضى الحال وتختلف صور الكلام لاختلاف الأحوال، والمقامات التي تعدّ الضابط والمؤطّر لعملية صناعة الكلام.[1]

ومن مباحثه **الخبر والإنشاء، الفصل والوصل، الحذف والتكرار**.

1.3 الخبر والإنشاء(الأفعال الكلامية)

أولى علماء العرب العبارات الكلامية الصّادرة عن الإنسان عناية كبيرة، فـ"أبو ناصر الفارابي"(ت:339هـ) جعلها في صنفين " عبارات القول" و "عبارات الفعل"، وبهذا التقسيم الثنائي يتفق "أبو ناصر" مع الطرح الأوستيني فكلاهما عدّا المخاطبات نوعين:[2]

أقوالا وأفعالا تتم بالأقوال.

فالأولى إنتاجية فيزيولوجية فيزيائية، تصدر من "المتكلم" على شكل ذبذبات، و**الثانية** يراد بها إضافة إلى ذلك، حمل "السامع" على فعل شيء ما، وفي هذا السياق يصرح "الفارابي"قائلا:"(...) والقول الذي يقتفي به شيء ما فهو يقتفي به إما قول ما، وإما فعل شيء ما، والذي يقتضي به فعل شيء ما، فمنه نداء ومنه تضرع، وإذن ومنح، ومنه حث وكف، وأمر ونهي.[3]

ويصنف "السكاكي" "أفعال الكلام" ضمن مباحث علم المعاني، وخاصة عند دراسته للتراكيب المفيدة، ويبدو هذا جليا عندما قدم تعريفا لـ"علم المعاني"فقال:"أنه تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة وما يتصل منها من الإستحسان وغيره، ليحترز بالوقوف عليها، عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره.[4]

والتراكيب المفيدة في نظره نوعان:

([1]) ينظر: محمد محمد يونس علي، وصف اللغة العربية دلاليا في ضوء مفهوم الدلالة،ص:118

([2]) ينظر: أبو ناصر الفارابي ،كتاب الحروف نقلا من كتاب التداولية عند علماء العرب،ص:96-97

([3]) ينظر: المرجع نفسه،ص:97

([4]) السكاكي، مفتاح العلوم،ص:247

- **إمّا يكون خبر**
- **إمّا أنْ يكون طلب**

والواضح أنّ "السكاكي" استعمل مصطلح "الطلب" بدل مصطلح "الإنشاء" عند حديثه لخواص تراكيب الكلام، فهو يرى بالإمكان أن نميز في كلام العرب شيئين: الخبر والطلب وقد سمى كل منهما قانونا؛ أي إذا أجراها المتكلم بشروطها وفي سياقاتها الملائمة لها تولد عنها معان أصلية، أمّا إذا امتنع إجراء هذه الأبواب على أصلها فقد يخرج منها ما يتلاءم مع المقام أي إلى معان غير أصلية.(1)

وبحكم الإستقراء، وضع "السكاكي" خمسة أبواب أصلية للطلب أو "الإنشاء"، وهي (الإستفهام والنداء، والنفي، والتمني، والأمر والنهي) وهي أصلية عنده،(2) ولم يكتف "السّكاكي" تقسيم الكلام إلى "خبري" و"طلبي"، "إنشائي" بل راح يقسم الإنشاء إلى إنشاء طلبي وإنشاء غير طلبي وفي هذا يقول:" والطلب إذا تأملت نوعان نوع لا يستدعي في مطلوبه إمكان الحصول وقولنا لا يستدعي أن يمكن أهم من قولنا يستدعي أنْ يمكن، ونوع يستدعي فيه إمكان الحصول".(3)

الواضح مما سبق ذكره إنّ التقسيم الذي ارتضاه "السكاكي" يتقاطع وينسجم مع ما ذهب إليه "سيرل" (Searl)وهو بصدر تصنيف الأفعال الكلامية، حيث حصرها في أصناف خمسة، ومن بينها الأوامر (Directif) التي يحصل المتكلم من خلالها على شيء من المتلقي مثل : طلب، أمر، سمح... وهو ما يتقارب ويتماثل إلى حد بعيد مع حيثيات الإنشاء الطلبي.

وأما الطلب عنده فهو على ثلاثة أضرب، ويمكن اعتبار الأضرب الثلاثة (الإبتدائي والطلبي والإنكاري) تنتمي إلى الإخباريات التي تشمل الأفعال التي تصف الوقائع والأحداث في العالم الخارجي، وتنقل أحوالها نقلا أمينا.(4)

---

(1) المصدر نفسه،ص:170

(2) المصدر نفسه،ص:151

(3) المصدر نفسه،ص:170

(4) ينظر: خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية،ص:114

وقسّم "إبراهيم النظام المعتزلي"(ت:231هـ) الكلام إلى "خبر" و"طلب" على أساس معيار الصدق والكذب، وفرق بينهما:

1. صدق الخبر مطابقته لاعتقاد المخبِر سواء طابق الواقع أم لم يطابقه.
2. كذب الخبر عدم مطابقته لاعتقاد المخبر سواء طابق الواقع أم لم يطابقه

الخبر الصادق عند "النظام" هو ما يطابق اعتماد المخبر سواء طابق الواقع أم لم يطابقه، ويضرب مثلا فيقول:"من الضرورة لتصديق اليهودي إذا قال: الإسلام باطل، وتكذيبه إذا قال الإسلام حق". [1]

ولكن هناك من عارض قول "النظام" كـ "الدّسوقي" حيث قال:" من وجه الكلام وسخافته ما يلزم عليه من تصديق اليهودي إذا قال: الإسلام باطل، وتكذيبه إذا قال الإسلام حق، واجماع المسلمين ينادي على ذلك بالبطلان والفساد".

والمتأمل في قول "النظام" يكتشف أن الرجل عالج هذه القضية من منظور "تداولي" بحث، لأنّ الصدق والكذب نظر إليهما بحسب ما يعتقده اليهودي لا المسلم، وهو اعتبار يدرجه الباحثون اليوم في تعيين "القيمة التداولية" للصدق، وما يزيد في الرأي حصافة، هو الشاهد الذي عزّز به قوله والمتمثل في الآية الكريمة:﴿إذا جاءكَ المُنَافِقون قَالوا أَنَّكَ لَرَسُولُ اللهِ ص وَالله يَعْلَمُ أَنَّكَ لَرَسُوله ص والله يَشْهَدُ إِنَّ المُنَافِقِينَ لَكَاذِبون﴾. [2]

أكد الله سبحانه وتعالى كذبهم في قولهم "نشهد إنك لرسول الله" مع أنّه مطابق للواقع، فإن محمد صلى الله عليه وسلم رسول الله حقيقة فلو كان "الصدق" مطابقة للواقع لما صح هذا. [3]

---

(1) ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند علماء العرب،ص:131

(2) سورة المناقون،الآية1

(3) السكاكي، مطبعة مصطفى بابي الحلبي وأولاده، (ط2)، مصر،1990ص:96

وقد اجتهد الباحث "علي محمود حجي الصراف" في رصد المعايير التي اعتمدها البلاغيون في التمييز بين الخبر والإنشاء وهي:[1]

- **معيار قبول الصدق والكذب**: ويحظى هذا التمييز بالإجماع بينهم، على أساس أن الخبر هو ما يقبل الصدق أو الكذب، والإنشاء ما لا يقبل هذا المعيار.

- **معيار مطابقة النسبة الخارجية**: فالخبر هو الكلام التّام المفيد الذي يحوي في طياته على معطيات، تمت بصلة وثيقة بالنسب الخارجية، وهو ما لا نجده ماثلا في ثنايا الإنشاء.

- **معيار إيجاد النسبة الخارجية**: فإذا كان القصد من الكلام يفيد أنّ هناك دلالة حصلت في الواقع، فذلك الكلام خبر، وإن كان القصد منه (الكلام) الدلالة على أنّ الألفاظ المتكلم بها، وُجدت بها تلك النسبة الخارجية فهو إنشاء.

- **معيار قصد المتكلم**: اعتبر عدة بلاغيين عرب أنّ قصد المتكلم من القرائن المساعدة التي يتم التمييز بفضْلها بين الخبر والإنشاء، فإذا كان قصد المتكلم الإخبار فيصبح الأسلوب حينذاك خبريا، وإذا كان قصد المتكلم إيجاد النسبة الخارجية فهو إنشاء.

- **معيار عدد النسب**: إذا اعتبر نفر غير قليل من البلاغيين العرب أنّ للخبر ثلاث نسب (نسب كلامية، نسبة ذهنية، ونسبة خارجية)، أمّا الإنشاء فينطوي على نسبتان فقط وهي الكلامية والذهنية.

وكل هذه الإعتبارات والمعايير كما نرى، تنحوا نحو المسار التداولي الإستعمالي القائم على مبادئ تداولية واضحة، أهمّها النسب الخارجية ومبدأ القصديّة الذي شكّل محور نظرية أفعال الكلام عند كل من "أوستين" و"سيرل"، على أساس أنّ الفعل الكلامي وبعدٍ قصدي، كما أنّ نجاحه محكوم بمعطيات وشروط خارجية عن النسق التركيبي.

([1]) ينظر: علي محمود حجي الصراف، في البراجماتية، الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة،دراسة دلالية ومعجم سياقي، مكتبة الآداب، القاهرة(ط1)، 2010،ص:101

كما أولى البلاغيون العرب اهتماما كبيرا بتفصيل الأغراض البلاغية التي تخرج إليها الأساليب الخبرية والإنشائية، فقد يخرج الخبر إلى الإنشاء وأغراض أخرى تستشف من قصود المتكلم وأحوال السياق، حيث اعتبروا أنّ "معرفة المعاني الأصلية لكل أسلوب، وما تخرج إليه من أغراض بلاغية تدرك من السياق.[1]ويجب على السامع أنْ تتوافر لديه تخمينات واستدلالات عقلية قائمة على معطيات قصدية وسياقية، لفك شفرات الصياغة اللغوية والوصول إلى برّ التأويل المناسب لما قيل أو يقال.

4. الأفعال الكلامية في ديوان "الأمير عبد القادر الجزائري":

1.4 الخبر:

هو كلّ كلام يحتمل الصّدق والكذب، ويحمل معطيات لها صلة بالنسب الخارجية أو دلالات حصلت في الواقع، و يندرج ضمن صنف التقريريات أو الإثباتيات (Les Assertives) بمفهوم "سيرل"،وهي أفعال إنجازية يوضح من خلالها المتكلم (الشاعر) عن مواقفه أو يصف أحداثا، وقدتخرج عن أغراضها إلى أغراض أخرى،وترد في المدونة بكثرة، ومن أمثلتها قول الشاعر:(الطويل) [2]

أَ تاني كِتابُ لا يمل سَماعَه　　　كِتاب كَوْشِي الروض تَزهو بِقاعه

يَزيد على التِّرداد طيْبا ولذة　　　يعز عـــــلينا طـَــرحه ووداعَه

النّص مجتزأ من قصيدة "يراع ينفث سحرا" بعثها إلى الشاعر إلى الشيخ "أبي الناصر الطرابلسي" ردا على قصيدته مطلعها: [3]

هَيْفاء قد نَضَجت بمِسْك عاطر　　　كيما تقبل ذيل عـَـــبد القَادرِ

والمتأمل في البيتين الشعريين يجدهما قد جمعا الإخبار والوصف، وهما مكونان من خمس جمل حملت قوة إنجازية صريحة.

([1]) بدوي طبانة، البيان العربي، دار المنار، جدة ودار الرفعي الرياض،(ط7)،1998،ص:155

([2]) الديوان، ص:78

([3]) عبد الرزاق بن السبع، الأمير عبد القادر الجزائري وأدبه،ص: 52

أتاني كتاب لا يمل سماعه. كتاب كوشي الروض تزهو بقاعه. يزيد على الترداد طيبا ولذة. يعز علينا طرحه ووداعه.	جمل دالة على أفعال كلامية مباشرة

تتضمّن هذه الجمل أو الأقوال قوة إنجازية متضمنة فيها هي **المدح**، يكشفها المتلقي من خلال السياق التي وردت فيه.

ومن الشواهد الشعرية التي نجد فيها خروج الخبر إلى التعظيم قول الشاعر في وصف شيخه: (الطويل)[1]

فَذلك فـــَضل الله يُؤتيه من يَشاء   وليْس عَلى ذي الفَضل حَصر ولا حِجر

دلّت الصيغة الخبرية لصدر البيت على فعل كلامي مباشر هو التقرير، فالصفات التي حملها شيخ الأمير كثيرة، وهي أفضال يؤتيها الله لمن يشاء ويختصّه من عباده، والصيغة الخبرية حَوَت على فعل كلامي متضمن في القول هو التعظيم، أي تعظيم الأمير لشيخه "محمد الفاسي".

ويقول الشاعر في وصف جنات "دمر"* في موطن آخر: (الكامل)[2]

ذَاتِ المِياه الجاريات عَلى الصفا   فكَأنّها مـــــن ماء نَهر الكَوثر

ذَات الجَداول كالأرقـــَم جَريها   سُبحانه! من خـــَـالق ومصوِّر

إلى أن يقول:

([1]) الديوان، ص:109

* دمر: إحدى أجمل مصايف دمشق بنى الأمير قصرا يصطاف فيه.والرصافة: إما المدينة العراقية أو السورية، وهما معا مدينتان تمتازان بحدائقهما الغناء، السدير: قصر من قصور ملوك المناذرة في العراق، وشعب بوان من غوطات فارس ومن أضخم قصورها في عهد كسرى وهو ما عناه المتنبي: **يقول بشعب بوان حصاني   أعن هذا يسار إلى الطعان**،ينظر: الأمير عبد القادر الجزائري وأدبه، عبد الرزاق بن سبع،ص:290 والديوان،ص:101

([2]) الديوان، ص:100

أَين الرّصافة والسّدير وشَعب بْوا ان... إذَا أنصَفتها مِن دمَر؟!

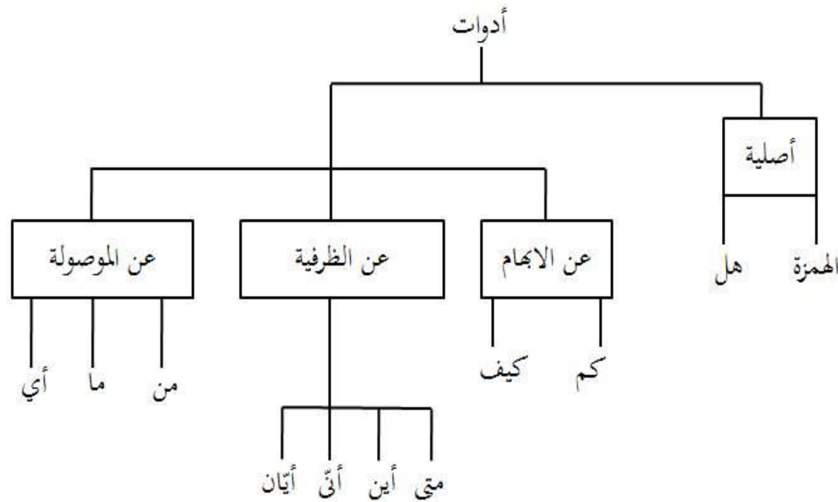
الظّاهر من البيتين الشعريين أن الشاعر يصف جنات "دمر" (أنهارها وجداولها)، فدلّت الصيغ الخبرية على أفعال كلامية مباشرة والتي حوت على أفعال كلامية متضمّنة في القول والمتمثلة في المفاضلة، يكشفها السياق من خلال تفضيل الشاعر مدينة "دمر" عن المدائن العربية الأخرى.

2.4 الإنشاء.

1.2.4 الإستفهام:

يقال: استفهمه، أي سأله أن يفهمه، ويقال: استفهم من فلان عن الأمر، أي طلب أن يكشف عنه. [1] وهو "طلب العلم بشيء لم يكن معلوما من قبل بإحدى أدواته".[2]، يتضح من هذين التعريفين أنّ الاستفهام في معناه العام هو طلب العلم بأمر معيّن لم يكن ـ في تلك اللحظةـ مُدركا لدى الوسائل، ومن بين أدواته: (الهمزة، وهل وما ومتى، وأيّان وكيف، وأين وأنّى وكم وأيّ).[3]

ويضع "تمام حسان" أدوات الإستفهام ومجالات استعمالها في المخطط التالي:[4]



(1) ينظر: محمود سليمان ياقوت النحو التعليمي والتطبيق في القرآن الكريم، ،كلية الآداب، جامعة الكويت، مكتبة المنار الإسلامية،(ط1)1996،ص:1030

(2) أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ضبط وتدقيق: يوسف الصميلي، المكتبة العصرية(ط1) بيروت،1999،ص:57

(3) ينظر: بان الخفاجي، مراعاة المخاطب في النحو العربي، ص:251، وأحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع،ص:56 ومحمد أبو موسى، دلالات التركيب، دراسة بلاغيةص:205،

(4) ينظر: حسان تمام، الخلاصة النحوية،ص:142

ويجتهد الباحث "حسام أحمد قاسم" في تلخيص العناصر المكونة لدلالة الإستفهام إلى:[1]

عنصر الزمان: أن يكون الإستفهام متعلق بالمستقبل.

عنصر المكان: أن تكون إجابة السؤال في إمكان المسؤول فيكون على علم بالإجابة.

عنصر الإرادة: أصل الإستفهام وضالة التفسير، والمرتد بالإرادة في الإستفهام أمران هما: الإجابة والثاني الإكتفاء بها.

وورد الإستفهام في ديوان "الأمير عبد القادر الجزائري" على نمطين:*

- نمط يصل فيه القارئ إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، أي الوصول إلى المعنى الحقيقي للإستفهام (طلب الفهم) والبنى الإفرادية تمثل إلا نفسها وهذا النوع قليل.
- ونمط لا يصل فيه القارئ إلى الغرض لدلالة اللفظ وحده، ولكن يدل اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة، ثم بذلك المعنى دلالة ثانية يصل بها إلى الغرض، وذلك بالتركيز على عناصر السياق المختلفة، وملابسات الحديث، وهذا النوع ورد بكثرة في ديوان "الأمير عبد القادر الجزائري".

ومن شواهد الأسلوب الإنشائي في الديوان قول الشاعر:(الطويل)[2]

يا قرَّة العين! قل لي: كَيف بِت؟! فقَد ــــ والله ــ بِتّ وقلبي في لِظى الحُزن

فالخطاب موجه من الشاعر "المتكلم" إلى صديقه "الشاذلي" يسأله عن صحته (كيف بت؟)، فسؤال الأمير أفضى إلى إنجاز فعل كلامي يحمل قوة إستفهامية، وقد طابق هذا القول(السؤال) القصد بصورة حرفية، بمعنى توافق العلاقة بين التركيب والوظيفة التواصلية، أو تطابق

([1]) ينظر: حسام أحمد قاسم، تحويلات الطلب ومحددات الدلالة، دار الآفاق العربية، القاهرة، مصر،(ط1)2007م،ص:111

* كل الدراسات التي اطلع عليها الباحثون وجدوها أنها لا تخرج عن التقسيم الذي أصله عبد القادر الجرجاني فهو يرى أن الكلام على ضربين ضرب يصل فيه القارئ إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده(...) وضرب آخر لا يصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، ولكن يدلّك اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة، ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها إلى الغرض..." .ينظر: عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، فهذا المبدأ الذي يفضي ضربه الأول إلى الوقوف عند حدود المعنى فحسب، بينما يفضي ضربه الثاني إلى معنى إلى معنى آخر هو القاعدة الأساس التي تبنى عليها الدراسات الحديثة.

([2]) الديوان،ص:71

بين معنى الجملة ومعنى القول، وهذا يجعلنا أن ندرج هذا الفعل إلى الكلامي ضمن الأفعال الكلامية المباشرة.

ويكشف السياق وقرائن الأحوال عن دلالات أخرى للإستفهام في شعر الأمير عبد القادر نحو قوله:[1]

أَموْلاي طَالَ الهَجر وانقَطع الصبر أمَوْلاي هَذا اليل هل بعده فجر؟

يستهل الشاعر قصيدته باستفهام من أجل استدراج "المخاطب"، فهو لا ينتظر من سؤاله إجابة، بل يهيئ نفسية وانتباه المتلقي ومن ثم يقبل عليه بالمدح أو الإستعطاف أو الرجاء. والواضح من خلال هذا البيت أن الإستفهام خرج عن غرضه المحدد، لأنّ قصد الشاعر في ذلك الإستبطاء لا الإستفهام، فمن المعروف أنّ بعد اليل سوف يأتي الفجر، لكن الشاعر استبطأ هذا الفجر، فاستعمل هذا الغرض للتعبير عن هذا التباطؤ.

ويخرج كذلك الإستفهام عن غرضه الأصلي نحو قول الشاعر:(الطويل)[2]

تَضَوع طيبْا كل زهر بنشره فما المسك؟ مَا الكَافور؟ ما الندا؟ ما العِـــطْر؟!

وما حَاتم؟ قُلْ لي وما حِلم أحْنـــــف؟! وَما زهْدُ إبراهيم أدهم؟! ما الصَّبر؟

إنّ الصيغ الاستفهامية التي وردت في البيتين غايتها إستبعاد المشابهة، بين مضمونها وشمائل الشيخ، بالرغم أنّ الشاعر يدرك عظمة الشمائل المشبهة، فهذه الصيغ أو الأقوال ظاهرها يخالف القصد الذي يسعى الشاعر تبليغه الى المتلقي، وبالتالي يمكن أن ندرج الصيغ الإستفهامية (ما المسك، ما الكافور، ما الندا، ما العطر، ما حاتم، ماحلم أحنف، وما زهد ابراهيم، ما صبر)ضمن الأفعال الكلامية غير المباشرة أي أقوالا خالفت فيها قوتها الإنجازية مراد المتكلم.

(1) الديوان،ص:103

(2) الديوان،ص:108

ويستفهم الشاعر في سياق آخر لا يفيد الإستفهام بل يفيد الإنكار نحو قوله: (الطويل)[1]

وهذا كما كل عن وصفِ كنههِ   فمن يدّعي هَذا فهَذا هو السِرُّ؟

ويقول كذلك:(الوافر)[2]

لنا الــفخر العميم بكل عصر   ومصر... هل بهذا ما يقــال؟

الواضح أن "المتكلم" أو الشاعر في هذا البيت الذي اجتزأناه من قصيدة "بنا افتخر الزمان" والتي مطلعها "**لنا في كل مكرمة مجال   ومن فوق السماك لنا رجال**" له فكرة مسبقة عمّا يسأل عنه أو عن الموضوع المستفهم منه، فأقوال الشاعر قد صدقتها أعماله، وأعمال من سبقوه في الجهاد، ويندرج استفهامه ضمن ما أسماه "سيرل" الشروط المعدّة (Condition Préparatoire).

وفي موضع آخر يقول:[3]

وعــرٍّ جِيـــادًا حاد بالنفـــسِ كرُّهـــا   وقد أشرفت –مما عراها– عَلى الثَوى

ألا!! كم جرَت طلقًا بنا تحت غَيهَبِ   وخاضت بِحــار الآلِ مِن شدّة الجَـوَى

يستخدم الشاعر كم للإخبار وليس للسؤال، فوظيفة كم الإخبارية جاء ليبين معارك الأمير في الليالي الحالكة والحزن الشديد، كما يمكن أن تكون هذه الأداة إنجازية للسؤال غايتها التهديد.

ومن دلالات الأخرى للإستفهام نحو قول الشاعر: (البسيط)[4]

لنَا المهارى وما للريم ســـُرعتها   بِــها والخــــيْل لنا كل مُفتـــَخر

فَخيْلنا دائما لِلحرب مُســـرجة   من استَغاث بنا بشــــره بالظّـــفر

وغِنى المُلوك فلا تَعدل بـنا أحَد   وأيّ عَيش لمن قد بات فِــي خفر؟!

يوجه الشاعر خطابه إلى دعاة الحضر، وفيه يصف المهارى التي فاقت سرعتها سرعة الريم في الصحراء، ثم يمثل نفسه وقومه بالملوك الذين لا يعدل بهم أحدا، فهذه المواصفات تفضي إلى إنجاز

(1) الديوان،ص:56

(2) الديوان،ص:47

(3) الديوان،ص:52

(4) الديوان،ص:51

فعل كلامي إخباري مؤداه "الحرية والعيش السعيد" وهذا الفعل الكلامي مهّد إلى إنجاز فعل آخر غير مباشر يحمل قوة استفهامية ويفيد الاستخفاف والتحقير، (وأي عيش لمن قد بات في خفر) تنتهي بتقديم الجواب يتركه الشاعر لخصومه أو لقرائه.

ويخرج الإستفهام عن طبيعته الأصلية نحو قوله:(الكامل)[1]

أَيْن الرّصافة والسّدير وشَعبَ بو ان...إذا أنصَفتها مِن دُمر؟!*

بعد وصفه لمدينة "دمر" أنتج الشاعر فعلا كلاميا إنجازيا أخذ شكل الإستفهام، وقد عمد إلى ضرب مقارنة بين جنات دمر وبين جمال الرصافة والسدير وشعب بوان، وهي من أهم المعالم الراقية التي كثيرا ما تغنى بها الشعر لجمالها، ولكن أنى لهذه من تلك، فجمال "دمر" وحسنها قد فاق كل شيء فلا مجال للمفاضلة بينها وبين مكان آخر.فالفعل الإنجازي الذي أنتجه الشاعر تم عن طريق سؤال يحمل قيمتين إنجازيتين، القيمة الإستفهامية المتحققة من الشكل والقيمة الإخبارية المتحققة من التضمين.

إنّ القيمة الإنجازية الأولى والثانية تتولد عنهما قيمة تأثيرية، وهي قيمة تشويقية تأخذ حضورا استفهاميا في ذهن القارئ مفاده لا مجال للمفاضلة بين دمر والرصافة، "السدير" وشعب "بوان".[2]

ويخرج كذلك الإستفهام عن طبيعته الأصلية نحو قول الشاعر:(الكامل)[3]

يا أهْل طيبة! مَا لكُمْ لَمْ ترحموا صَـــبا غَدا لِنَوالكم متَكففا؟!

الشاعر صاغ هذا البيت الشعري في شكل استفهام، حيث أنتج فعلا كلاميا إنجازيا إخباريا يتضمن منجاة أهل البقاع مسترحما ومستعطفا ومتوسلا إليهم أن يرحموه من هذا العذاب، فقد لقاه ما ناله من صدود وهجران وبعد، فالشاعر حقق فعلا إنجازيا غير مباشر لأن القصد ليس إلى السؤال الذي هو القوة الإنجازية الحرفية المباشرة لأسلوب الإستفهام وإنما هو التماس العطف والرحمة.

ويمكن أن نلخص ما سبق ذكره في الجدول التالي:

---

(1) الديوان،ص:100

(2) الديوان،ص:101

(3) المصدر نفسه،ص:88

الفعل الكلامي	نوعه	غرضه التواصلي
كيف بت؟	مباشر	طلب
وأي عيش لمن قد بات في خفر؟	غير مباشر	الإستحقار
أين الرصافة والسدير وشعب بوان؟	غير مباشر	الإخبار
ما بكم لم ترحموا؟	غير مباشر	الإلتماس
فما المسك، وما الكافور، ما الندا، ما العطر؟ وما حاتم وما حلم الأحنف؟	غير مباشر	إبعاد المشابهة
هل بهذا ما يقال؟	غير مباشر	الإنكار

2.2.4 الأمر:

وهو ما دلّ على طلب وقوع الفعل بعد زمن المتكلم بغير لام الأمر.(1)

ويعرّفه "السيوطي" فيقول:" هو طلب المخاطب حصول فعل على وجه الإستعلاء والإلزام".(2)

ويضيف "السّكاكي" شروطا أخرى تخص هذا "الفعل" كامتلاك "السامع" للكفاءة اللغوية و"التداولية"، وفي هذا السياق يقول "ولا شبهة في أن طلب المتصوّر، على سبيل الإستعلاء، يورث، إيجاب الإتيان على المطلوب منه، ثم إذا كان الإستعلاء ممن هو أعلى رتبة من المأمور، استنتج إيجابه

(1) ينظر : محمود سليمان ياقوت، النحو التعليمي والتطبيق في القرآن الكريم، ،ص:484

(2) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق:أحمد الزمرلي، دار الكتاب العربي، بيروت،لبنان،(ط1)،2003ص:641

ووجوب الفعل بحسب جهات مختلفة، وإلا لم يستتبعه، فإذا صادفت أصل الاستعمال الشرط المذكور(أي الإستعلاء) أفادت الوجوب، وإلّا لم تفد غير الطلب، ثمّ إنّها حينئذ تولد بحسب قرائن الأحوال ما ناسب المقام".[1]

وشرط الإستعلاء "شرط تداولي" لأن "الأمر" يتسم بوقوعه من "الأعلى إلى الأدنى" أي أن تعلو سلطة الأمر (المتكلم) على سلطة المأمور(السامع)، فالسلطة تلعب دورا رئيسيا في إنتاج الخطاب التداولي الناجح والمحافظ على قوته الإنجازية فهي ـ السلطة ـ في معناها العام "الحق في الأمر فهي تستلزم أمرا ومأمورا وأمرا وأمرا له الحق في إصدار أمر إلى المأمور، ومأمور عليه واجب الطاعة للأمر بتنفيذ الأمر الموجه إليه".[2]

وخرق شرط الإستعلاء كما يرى "السكاكي" يُخرج "الأمر" من معناه الأصلي إلى أغراض ودلالات أخرى وهي كثيرة ومختلفة، ذكرها البلاغيون في مؤلفاتهم فمثلا:

- إن كان المتكلم أقل مرتبة من المخاطب؛ "إن استعملت على سبيل التضرع كقولنا: اللهما اغفر وارحم ولّدت الدعاء".[3]فينتج فعلا كلاميّا متمثلا في الدعاء.
- وكذلك "إن استعملت على سبيل التلطف، كقول كل أحد يساويه في المرتبة إفعل بدون استعلاء، ولدت السؤال والإلتماس كيف ما عبرت به".[4]

ونميّز أغراضا يخرج إليها الأمر مثل: التمني، النصح والإرشاد والتسوية والتخيير والإهانة والتحقير والإنذار... فهي بمثابة دلالات بلاغية أخرى يمكن للأمر أن يخرج إليها والوصول إليها مرهون بالوقوف على سياقاتها اللفظية والحالية أي أنّ المعاني الضمنية المستفادة من الكلام تتولّد بمعونة القرائن والأحوال. [5] ومن هذا من صميم مباحث الدرس التداولي.

([1]) السكاكي، مفتاح العلوم،ص:428

([2]) عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب،ص:221

([3]) السكاكي،مفتاح العلوم،ص:428

([4]) ينظر: المصدر نفسه،ص:429

([5]) ينظر: عبد العزيز عتيق، علم المعاني، دار النهضة العربية،بيروت1985م،ص:37

ونجد أفعال الأمر حاضرة في مدونة الأمير عبد القادر حيث يقول:(الطويل) (1)

أغث يا مُغيثَ المستغيثين والهًا ألم به مِن بعدُ أحبابِه الضُر

خرج فعل الأمر "أغث" عن "معنى الأمر" متحولا إلى معنى الدعاء، كونه موجه من "الأمير" إلى "شيخه" فـ "المتكلم" أقل مرتبة من المخاطب، وبالتالي ينتج فعلا كلاميا متمثلا في الدعاء.
ويقول الشاعر:(الطويل)(2)

وقيلَ له إِن شِئتَ قل قدَمِي عَلاَ على كلِّ ذي فَضلٍ أحاط به العصرُ

الظاهر هاهنا أن البيت الشعري قد اشتمل على صيغة صريحة للأمر، إلّا أنّ الغرض الضمني أو فعل قوة التلفظ مخالف للفعل التلفظي "قل"، فقد سبق هذا الفعل صيغة تدل على الإختيار للمخاطب(إن شئت)، فمن له المشيئة لا ينبغي أن يكون مأمورا، ففعل الأمر (قل) قد خرج إلى معنى التخيير.وقوله كذلك:(3)

خُذ الدنيا والأُخرى أُباغيهُما!! معًا وهَاتِ لنا كأسًا فهذا لنا وَفرٌ!!

هذا الأمر لا يطيقه المأمور، فصيغة الأمر جاءت صريحة "خذ" إلّا أنها تفيد الأمر بل يخرج هذا الأخير إلى غرض آخر ألا وهو التعجيز(وهو الغرض المتضمن في لقول)، فالمعنى الحرفي للبنية السطحية غير مطابق مع غرض الصيغة أو العبارة التلفظية.
ويقول كذلك(قصيدة آمن من حمام مكة):(البسيط) (4)

أُسكُن فُؤادي وقرّ الآن في جسد فقد وصلت بحزب الله أمــــيالاً
هذا المرامُ الذي قدكنت تأملـــه فَطِب مــالاً بِلُقياه وطــــب حالاً
وعش هنيئا فأنت اليوم آمن مـــن حمـــام مكة إحــــرامًا وإحــلالًا

(1) الديوان،ص:107
(2) الديوان،ص:109
(3) الديوان،ص:113
(4) الديوان،ص:91

**فأنت تحت لواء المجـد مغتبـط		في حضرة جـمعت قطبًا وأبدالًا**

**وله دلالا وهـز العطف من طرب		وغنِّ وارقـص وجر الذيل مختالاً**

**أمنـت من كل مكـروه ومـظلمة		فبُح بما شئت تفصيـلاً وإجمالاً**

**هذا مقام التهاني قد حللـت بـه		فـارتع ولا تخش بعد اليوم أنكالاً**

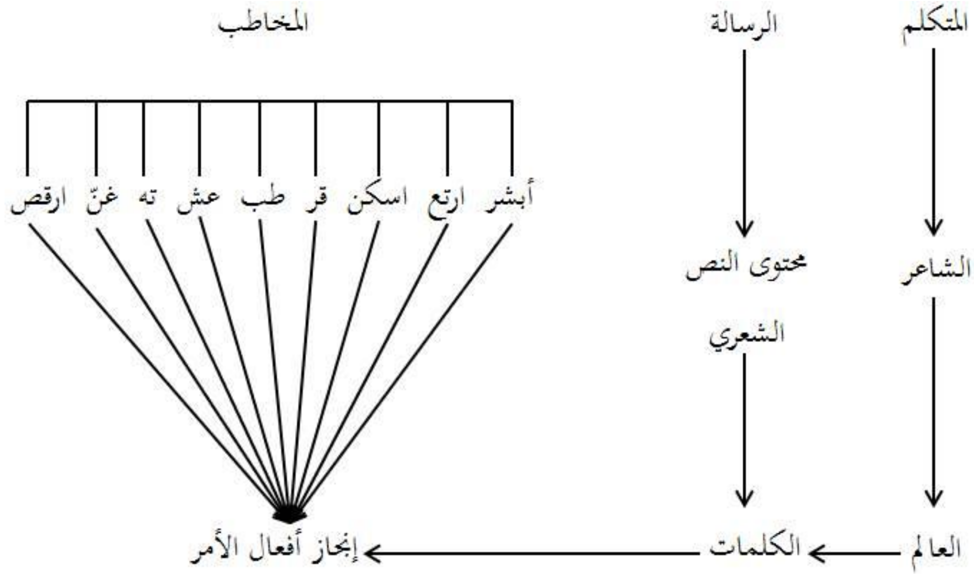
**أبشر بقرب أمير المـؤمنين ومـن		قد أكمل الله فيه الـدين إكمـالاً**

الشاعر في هذه القصيدة، يعبر عن إحساساته، يتخذ من فؤاده وسيلة للتعبير ويظهر ذلك في صيغ الأمر "أسكن"، "قر"،"طب"، "عش"، "هز"، "غنّ"، "ارقص"، "جر"، "بح"، وظاهر هذه الأفعال الكلامية أفعال أمرية صريحة، لكن قد نسجل خرقا يخرج هذه الأوامر من معناها الأصلي، وهو شرط "الإستعلاء" فكيف يستعلي الفؤاد على ذاتية الشاعر، وهنا يحضرنا شرطا وضعه "السكاكي" حين قال: "إن استعملت على سبيل التلطف، كقول كل أحد يساويه في المرتبة، إفعل بدون استعلاء، ولدت السؤال والإلتماس كيف ما عبرت به".[1]

فالأفعال خرجت من معناها الأصلي إلى دلالة أخرى وهي "**الإلتماس**".

ويمكن إجمال أفعال الأمر في الشكل الآتي:

(1) السكاكي، مفتاح العلوم،ص:429



أفعال الأمر في قصيدة آمن من حمام مكة

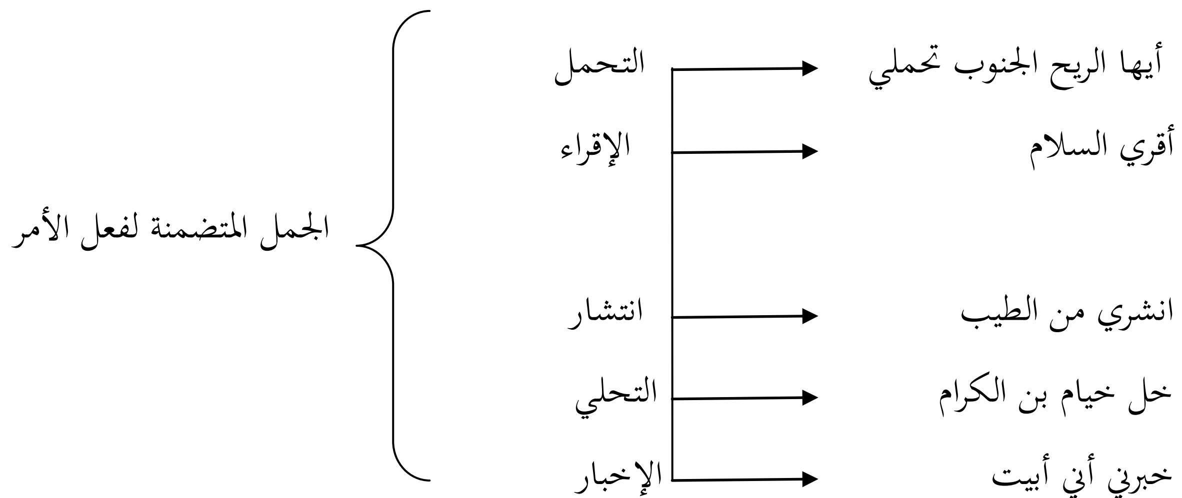
ويقول الشاعر:(الكامل) [1]

يَا أيّها الرِّيح الجَنوب! تحـــمَّلي مِنّي تَحية مـــــُـــغْرم وتَجمُّلي

وأقر السَّلام أهيل ودِّي وآنشري مِن طيب ما حَملت ريح قُرنفل

خَلي خِيام بَني الكرام وخـَــبري أني أبيت بحرقة وتـــــَـــبلبل

الشاعر يطلب من ريح الجنوب أن تقوم مقامه وتنوب عنه أو يأمرها بـــ:



(1) الديوان،ص:84

ويقول في وصف جنات "دمر": [1]

عجُ بي – فديتك– في أباطِح دُمر ذات الرِيَاض الزاهِرات النَّضر

الفعل "عج" يحمل قوة إنجازية أمرية، مفادها دعوة مفتوحة لزيارة هذه المنطقة وأباطيحها حيث تنتشر الرياض الزاهرة الزاهية.

ويقول الشاعر:(الطويل) [2]

أقول لقَوم لا تفِيد نصيـــــحَتي لدَيْهِــم ولو أبدَيت كُل الأدلة:

ألا! فاتْركوا ورد الخُدود وشأنه فتَخديدكم في الخَد أقبح فعلة

فالأمر موجه للذين يسيئون بأفعالهم لجمال المرأة ويشوهون خدودها عن طريق الوشم، وهمة يحسبون أنهم يحسنون صنعا، فالفعل "اتركوا" يحمل قوة إنجازية صدرت من الأمير الذي يرى في الجمال سلطانا عظيما ومنزلة كبرى، يدافع عنه بكل ما أوتي من قوة الكلمة.

ويخرج الأمير عن غرضه فيقول الشاعر: (البسيط) [3]

واهْدم وزَلزِل وفَرق جَمْع شانئه واجعَل فُؤادهم بالرُّعـــــب ملآنا

وانْصُر وأيِّد وثبت جيْش نصْرته أنْصار دينِك حقا آل عُـــثـمانا

لقد اشترط علماء اللغة في جريان الأمر على أصل معناه، أن يكون الأمر أعلى رتبة من المأمور، ولكن في هذين البيتين الشعريين اختل شرط من الشروط المعدة لفعل الأمر، وبالتالي عدل عن المعنى الأصلي إلى معنى آخر هو **الدعاء**، فالشاعر ينزل على أعداء الأمة أقصى وأشد دعوات الهلاك والويل والثبور، فيدعو الله أن يهدم قواعدهم ويزلزل كيانهم، ويفرق شملهم.

ويمكن أن نلخص كل ما سبق في جدول كالتالي:

(1) الديوان،ص:100

(2) الديوان،ص:64

(3) الديوان،ص:92

الفعل الكلامي	نوعه	غرضه التواصلي
أغث يا مغيث...	غير مباشر	الدعاء
قل قدمي علا	غير مباشر	التخيير
خذ الدنيا /هات	غير مباشر	التعجيز
عش، هزّ، غن، بح، ارتع، ارقص، طب، ته	غير مباشرة	الإلزام
تحملي، إقري، انشري، خل، خبري	مباشرة	الإلزام
عج بي...	مباشر	الإلزام
إلا فاتركوا ورد الخدود	مباشر	الإلزام
هدم، زلزل، اجعل، انصر، أيّد، ثبت	غير مباشرة	الدعاء

3.2.4 النهي:

وهو محذو به حذو الأمر في أنّ أصل الاستعمال (لا تفعل) يكون على سبيل الاستعلاء". [1]

ولم يفصل علماء البلاغة بين الأمر والنّهي بل تناولوه في حديث واحد نحو قول المبرد:" علم أن الطلب من النهي بمنزلة من الأمر، يجري على لفظ الأمر". [2]

أمّا من حيث شروطه جريانه على الأصل فهو لا يختلف عن الأمر نحو قول "السكاكي:"(...) لا تفعل أن يكون على سبيل الاستعلاء بالشرط المذكور، فإن صادق ذلك أفاد الوجوب وإلّا أفاد طلب

(1) السكاكي، مفتاح العلوم،ص:320

(2) المبرد، المقتضب، ج2،ص:135

الترك فحسب".[1]

أمّا صيغته هي "لا الجازمة" تدخل على الفعل المضارع، والشّروط المعدّة لإجراء النهي على أصله هي:

- شرط الإستعلاء
- إلزام المخاطب

وخرق أحد الشرطين يخرج النهي إلى أغراض تواصلية يفرضها السياق كالتهديد والدعاء والإلتماس، أي ينتج "أفعالا متضمنة في القول".

ولم يتعدد النهي في "ديوان الأمير عبد القادر" كثيرا ومن شواهده نحو قوله: (الطويل) [2]

ولاَ تَسألنّ عن ذي المشائخ غير من لَهُ خبرة فـاقَت ومـا هو مُغتَـــر

الجملة الطلبية المتضمنة لفعل النهي "لا تسألن" تحمل قوة إنجازية مفادها النهي عن "فعل السؤال" لأنّ الشيخ قد فاق كل الأوصاف وكيف لا وقد وصفه حين قال:

فقبّلت من أقدامه وبساطه وقال لك البشرى بذا قضى الأمر

للعلم أنّ الحديث عن الأقدام والتقبيل من المجاز الذي يفيد الإجلال والتقدير ، ليس كما ذهب "زكريا صيام" حين قال "تقبيل القدمين والبساط بدعة تُخْرِج التقدير إلى التقديس"،[3] فالإشكالية القائمة هي عدم التمييز بين الخطاب الصوفي والخطابات الأخرى.

وفي موضع آخر يقول: (البسيط) [4]

أنا مُطْلَق لا تطلبوا الدَّهر لِي قيْدا وَمَالي مِن حد فلَا تَبْغوا لي حدا
ومَالي مِن كيْف فيـــضْبطني لكُم ولا صُورة لأعْدو مــِــنها ولا بدا

([1]) السكاكي ، مفتاح العلوم، ص:417

([2]) الديوان،ص:109

([3]) عبد الرزاق بن السبع، الأمير عبد القادر الجزائري وأدبه، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، أوت،2006، ص:390

([4]) الديوان،ص:119

الشاعر في مقام يخوله النهي عن السؤال، ويتمثل في بلوغ الشاعر "الحضرة الإلهية" الذي يتحقق من خلال رحلة يقوم بها الصوفي ـ الشاعر ـ من الخلق إلى الحق، أوما يطلق عليها "قمة العروج الصوفي"وبهذا يكون قد حقّق شرطين أساسين اللذين حددهما البلاغيون هما :"الإستعلاء و"إلزام المخاطب"، والجملتان الطلبيتان المتضمنتان لفعل النهي تحملان قوة إنجازية مفادها النهي عن السؤال.

ويقول أيضا: (البسيط) [1]

لا تَذمن بُيوتا قد خَفَّ محْمَلها وتَمْدحن بُيوت الطِّين والحَجر!

البيت الشعري مجتزأ من قصيدة "ما في البداوة عيب" قالها الأمير ردّا على سؤال إلى بعض أمراء فرنسا،[2] وهو : **هل البدو أفضل أم الحضر؟** وقارئ القصيدة يدرك مباشرة أنّ الشاعر ينتصر للبداوة، وما جاء من وصف دقيق في شعره إنّما يدل على "أنه عاش حياة البادية، فعانق شوقها، وجمالها الفتّان، وتغلغل رونق الطبيعة في نفسه فانعكس على شعره فوصف الطبيعة الصحراوية والتحمل والإرتحال والمنازل البدوية وصفا يدلّ على أنّ الأمير قد جاب أطراف الصحراء الشاسعة المترامية...".[3]والشاعر يوجّه خطابه إلى الآخر، ويطلب منه الكفّ عن "الذّم" موظفا صيغة "لا تذمّن" ـ لا الجازمة + فعل مضارع ـ وهي فعل كلامي مباشر يحمل قوة إنجازية مفادها النهي.

الفعل الكلامي	نوعه	غرضه التواصلي
ولا تسألنّ...	مباشر	النهي (كف عن السؤال)
لا تطلبوا، لا تبغوا	مباشر	النهي
لا تذمنّ بيوتا	مباشر	النهي

([1]) الديوان،ص:50

([2]) عبد الرزاق بن السبع، الأمير عبد القادر الجزائري وأدبه،ص:50

([3]) محمد برونة، الوصف في شعر الأمير عبد القادر، مجلة دراسات جزائرية، العدد المزدوج8/7 جامعة أحمد بن بلة، وهران،2011،ص:79

4.2.4 النداء:

هو أسلوب يستخدم في نداء أحد أو دعائه، لكي ينتبه إلى ما يريده المتكلم ويستمع إليه.[1]وهو دعوة المخاطب إلى الإقبال بحرف ينوب عن فعل بمعنى: أدعو أو أقبل... وهو على نوعين موضوع لنداء قريب (الهمزة وأي) وموضوع لنداء بعيد وهو باقي الحروف(يا، هيا، وا ،أيْ).[2]

وفي كلام العرب ما هو على طريقة النداء ويقصد به الإختصاص لا النداء، وذلك كقولهم "أمّا أنا فأفعل كذا أيها الرجل"، وقولهم "نحن نفعل كذا أيها القوم"، فقد جعلوا "أيّا" مع تابعها دليلا على الإختصاص والتوضيح، ولم يريدوا بالرجل والقوم إلّا أنفسهم، فكأنّهم قالوا "أمّا أنا فأفعل كذا متخصصا بذلك من بين الرجل".[3]

ويوجد أغراض أخرى بديلة عن غرض النداء، كالندبة والإستغاثة والتحصر وغيرها، فهي دلالات تتولّد من إجراء النّداء ولا يمكن أن تنفصل عنه.

ومن شواهده في ديوان الأمير نحو قوله: (البسيط) [4]

يا عَاذرا لامْرئ قد هَام في الحَضر وعـــَــاذلا لمحب الـــبَدو والقَفر

لا تذمُّـــن بيوتا قد خَفَّ محملها وتمْدحن بيـُوت الطِّين والحـــَـــجر!

لو كُنت تعْلم ما فـِـي البدو تعذرني لكن جَهِلت وكَم في الجَهل من ضَرر!

الشاعر يوجّه خطابه إلى الآخر(أمراء فرنسا) بنداءٍ ليلفت انتباهه ويبثّ فيه الروح الخطابية، ويساعده على تمتين الرابط التواصلي من خلال مبدأ المشاركة، وعادة يرغب المتكلّم في إشراك السّامع في الخطاب بإلزامه أن يكون مخاطبا بتوجيه الكلام له بالنّداء. وسياق النص المجتزأ من قصيدة "ما في البداوة عيب" يوحي أن الشاعر استعمل النّداء بطريقة مميّزة، فالمقام الذي ناد فيه هو العتاب أو اللوم

(1) محمود سليمان ياقوت، النحو التعليمي والتطبيق في القرآن الكريم،ص:975

(2) توفيق الفيل، بلاغة التراكيب، دراسة في علم المعاني، القاهرة، مطبعة العمرانية للأوفست،(د.ط)،1991،ص:213

(3) مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية،ص:514

(4) الديوان،ص:50

للذي فضّل الحضر واستصغر حياة البدو، والسّبب كما يعزوه الشاعر جهل الآخر بحياة البداوة وفضائلها، لذا نجده في البيت الثالث يقدّم له أعذارا لأنّه لا يعرف ما في البداوة من مزايا ومناقب.

ويخرج أسلوب النداء إلى غرض آخر نحو قوله: (الطويل) [1]

أمسعود! جاء السّعد والخيْر واليسر   وولّت جيوش النّحس ليس لها ذكر

أشار محقق كتاب "**المواقف في الوعظ والإرشاد**" الأستاذ " عبد الباقي مفتاح" إلى بعد آخر في المنادى "مسعود" فيقول:" يشير إلى اسم والد شيخه "محمد بن مسعود الفاسي" وينادي بها نفسه ويفرح بالسعادة التي نالها من أستاذه الصوفي. [2]

إنّ المنادى في هذا البيت الشعري هو المنادي نفسه، وبالتالي نلاحظ خرقا وقع في هذا النّداء، وكأن الشاعر قفز فرحا ومخاطبا نفسه أمسعود جاء السعد، فالصيغة "أمسعود" _همزة+إسم_ صريحة إلّا أن الغرض الضمني أو قوة التلفظ مخالف للفعل التلفظي وبالتالي يمكن الجزم أنّ هذه الصيغة هي فعل كلامي غير مباشر.

5.2.4 التمني:

و"هو طلب ما لا طمع فيه (أي مستحيل)، أو ما فيه عسر(اي ما كان عسر الحصول) فالأول نحو: "ليت الشباب يعود" والثاني "ليت الجاهل عالم". [3]

وأفرده "السّكاكي" في باب الذي لا يستدعي في مطلوبه إمكان الحصول فنجده يقول:" أمّا النوع الأول من الطّلب: فهو التمني، أو ما ترى تقول: ليت زيدا جاءني، فتطلب كون غير الواقع فيما ما واقعا، مع حكم العقل بامتناعه، [4] ويمكن أن تصبح هذه الشروط بمثابة "الشروط المعدة" للتّمني على اصطلاح "سيرل".

([1]) الديوان،ص:102

([2]) عبد الباقي مفتاح، الأمير عبد القادر، المواقف في الوعظ والإرشاد، الجزائر، دار الهدى،(ط1)،2005،ص:601

([3]) مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية،ص:583

([4]) السكاكي، مفتاح العلوم،ص:415

ففي مثال "ليت زيد يأتيني" فإنّك تطلب إتيان زيد وحديث صاحبك في حال لا تتوقعها ولا لك الطماعية في وقوعها، إذ لو توقّعت أو طمعت لاستعملت "لعل أو عسى".[1]

ولـ"التمني" أداة إنجازية وحيدة هي "ليت" بالإضافة إلى أدوات إنجازية أخرى في مثل (لو)،(هل) قد تفيدان التمني، لا بأصل الوضع، لأنّ الأولى شرطية والثانية استفهامية فمثال (لو) في التمني قوله تعالى ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾،[2] ومثال (هل) فيه قوله سبحانه وتعالى ﴿فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاء فَيَشْفَعُوا لَنَا﴾.[3]

ويخرج التمني عن الغرض الأصلي المباشر إلى أغراض تواصلية أخرى ويبين "السكاكي" ذلك في قوله:" إذا قلت لمن يهمّك أمره ليتك تحدّثني، امتنع إجراء التمنّي والحال ما ذكر على أصله فتطلّب الحديث من صاحبك غير مطموع في حصول، وولد بقرنية الحال معنى السؤال.[4]

وقد ورد أسلوب "التمني" في الديوان نحو قول الشاعر: (البسيط) [5]

أودُّ طُول اللَّيالي إن خَلوْت بِهــم   وقَد أذْبـــــرت أبَاريق وأقْـدَاح

وَيروعُني الصُّبح إنْ لَاحت طَلَائِعُه   يا ليته! لم يَكُن ضوء وإصْبَـــاح

الأصل في التمنّي أن يكون المتمنّى غير متوقّع كأن يكون مستحيلا لكن شاعرنا طلب ما كان متوقّعا وهو ضوء الإصباح فتحوّل الأسلوب للدلالة على "التحضيض" لأنّ الأصل في التمني أن يكون المتمنى غير متوقّع كأن يكون مستحيلا أو ممكنا بعيدا، فإذا كان متوقّعا مثل ما هو ظاهر في هذا الشاهد فإن التمنّي قد خرج عن غرضه الأصلي.

ويقول كذلك: [6]

أَبو حَسن وَلَوْ قد رآه أحِبّة   وقَال له: أنْت الخَليفة يَا بحر!

([1]) المصدر السابق،ص:415

([2]) سورة الشعراء،الآية:102

([3]) سورة الأعراف،ص:53

([4]) ينظر: المرجع السابق،ص:583

([5]) الديوان،ص:116

([6]) الديوان،ص:109

الشاعر يقصد بأبي الحسن شيخه صاحب الطريقة الشاذلية (أبو الحسن الشاذلي) والتي اتبعها شيخه "محمد الفاسي" وقد استعمل صيغة صريحة (لو قد رآه صاحبه)، وهي طلب ما لا طمع فيه أي غير متوقّع لأنّ التمنّي يتعلّق بالمستقبل، وبالتالي لا إمكانية أن يلتقي الشيخان "أبو الحسن" و "محمد الفاسي".

ومن أمنياته نحو قوله: (الطّويل) [1]

فَلو نَظَرَ الأمْلاَكُ ختم إِنَائها تَخلو عَن الأَمْلاك طَمعا ولا قَهْر

يتحدّث الشاعر عن الخمرة الروحية، ويطلب من الأملاك الإهتمام بها، وهذا غير قابل للتحقق، وتوظيفه للأداة "لو" والتي تفيد التمني لا بأصل الوضع قد زاد من استحالة الطّلب لأنّها في أصل وضعها امتناع لامتناع.

ويمكن أن نلخّص أساليب التمني التي اخترناها من الديوان في الجدول التالي:

الفعل الكلامي	نوعه	غرضه التواصلي
يا ليته لم يكن ضوء الإصباح	غير مباشر	التحضيض
ولو قد رآه أحبّة	مباشر	إبراز المرجو في صورة المستحيل مبالغة في بعد نيله
فلو نظر الأملاك ختم انائها	مباشر	إبراز المرجو في صورة المستحيل مبالغة في بعد نيله

حاصل النظر فيما سبق أنّ الأفعال الكلامية في مدونة "الأمير عبد القادر" تنوعت بين الإنجازية المباشرة والإنجازية غير المباشرة، فالأولى تطابق مُراد قول الشاعر بصورة حرفية تامة؛ أي توافق بين التركيب والوظيفة التواصلية في كل جملة، والثانية خالفت مراد قول الشاعر وكان للسياق دخلا في

[1] الديوان،ص:111

تحديدها، وذلك باستثمار عناصره الثقافية والإجتماعية والنفسية فكلها ساعدت المتلقي على الوصول إلى الفهم السليم لما تلفظ به.

5. التكرار وقيمته الحجاجية:

التكرار من الأساليب الفنية الشائعة في معظم الخطابات، والغاية منه التبليغ والإفهام وترسيخ الرأي والفكرة في المتلقي، [1] وتوظيف المتكلم للتكرار دليل على امتلاكه القدرة التواصلية أو (الكفاءة التداولية) شريطة أن يأتي لفائدة، لأنّ حد التكرار هو " زيادة اللفظ عن المعنى لفائدة".[2]

إذن، فكل تكرير يأتي لفائدة فهو تكرار، وأمّا الذي يأتي من التكرير لغير فائدة فإنه جزء من التطويل، والتطويل هو " زيادة اللفظ عن المعنى لغير فائدة".[3]وقد يأتي التكرار في اللفظ والمعنى مثل أسرع، أسرع كما يأتي في المعنى دون اللفظ مثل أطعني ولا تعصني، فإن الأمر بالطاعة هو النهي عن المعصية. [4]

وحاجة المتكلم إلى الإيجاز في موضعه"بنوعيه الإيجاز بالحذف وإيجاز القصر" كالحاجة إلى التكرار في مكانه، ولا يجوز استعمال التكرار في موضع الإيجاز، واستعمال الإيجاز في موضع التكرار، لأنّ كل منهما الموضع الذي يستحقه، وباعتبار أنّ لكل مقام مقال، وفي هذا المضمار يقول "الجاحظ" في الترداد:" وهو نوع من التكرار"،[5] و"جملة القول في الترداد أنّه ليس فيه حد ينتهي إليه ولا يؤتى على وصفه، وإنّما ذلك على قدر المستمعين ويحضره(يحضر الخطيب ويسمعه) من العوام والخواص"،[6] فـ"المتكلم" هو الذي يراعي شكل الكلام (الخطاب) بخصوصيات الفنية عند توجيهه إلى "السامع"، فالكلام أو الخطاب المتسم بالحسن والقبول من حيث إيجازه أو تكراره مرهون

---

(1) ينظر :سغودي أبو زيد، في تداولية الخطاب الأدبي بيت الحكمة للنشر والتوزيع، العلمة، الجزائر،(ط1)،2009،ص:26

(2) أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، مطبعة المعجم العلمي العراقي،1983،ج2،ص:339

(3) المرجع نفسه،ص:339

(4)ينظر: سامية دريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم، من الجاهلية الى القرن الثاني هجري، عالم الكتب، دار الحديث، أريد،الأردن(ط1)،2008.،ص:119

(5) الجاحظ، البيان والتبيين، ج1،ص:105

(6) المصدر نفسه،ص:105

باعتبارات تواصلية بالدرجة الأولى قوامها الإعتماد بالمتلقين وحالاتهم وأوضاعهم الفكرية والحضارية والاجتماعية وغيرها مما يشكل جانبا من الجوانب التي تمت بصلة مع شخصية المتلقي.

وشاعرنا "الأمير عبد القادر" يستخدم هذه الآلية البلاغية حين يرغب تثبيث الحكم في نفس المخاطب وتقريره في قلبه، ولقد ورد في الديوان بهذا البعد بعدة أوجه:

- تكرار المخاطب" صديقه الشاذلي" في سياق واحد: نحو قوله: (الكامل) [1]

أهْلا وسَهلا بالحـــــبيب القادم　　　هذا النّهـــار لديّ خيـــــر مواسم

جَاء السُّرور مصاحبا بِقـُــدومـــه　　　وانْزاح ما قَــــدْ كَان قَبل ملازمي

ويقول كذلك: (الطويل): [2]

نَعم ولكُم الفَضْل بأشْرف دعْـوةٍ　　　غَدوت بها–يا صاح– مُنشَرح الصَّـدر

لمجلســكم أعلى الكرامة عندنا　　　ولفظكم أشــــــهى الينــــا من الدر

ورؤيتكــم أحـــلى لهمي وإننـي　　　عنيت بها عن طلعــــة الشمس والبدر

- زوجته: وجاءت في ثلاثة أسماء وهي "أم البنين"، "ذات الخلخال" و"بنت العم"، وقد أدّت دورا مهما في الكشف عن مقصديته، وتجربة الأمير الشعرية الغزلية تدور على"إمرأة واحدة" إسم زوجته، الذي تحدث تغيرات عليه أو استبداله لمواصفات، نحو قول الشاعر:(الطويل) [3]

أُكلّف جَفَني النوْم عـَلى أنْ أرى　　　مِثالا لها بُشرى ولَيس مثـَــــال

فقُولوا لهَا إن كنْت تَرضِين عيشي　　　فجُودي بطيف إن يَعز وِصـــال

ويقول كذلك:(الوافر) [4]

وأشكوها: لبعاد وليس تصـــْغي　　　إلى الشكوى وتمْكث في ازديـَاد

(1) الديوان، ص: 69

(2) الديوان،ص:70

(3) الديوان،ص:60

(4) الديوان،ص:58

إذا ما الناس ترغَب في كنـــوز   فبنــْـت العم مكتــَنزي وزادي

وخاطبها من "إسطنبول" متشوقا اليها فقال:(الطويل) [1]

أقول لمحبوب تخلف من بعدي   عليْك بأوجـــَاع الفرق والبـُعد

أما أنْت حقا لو رأيت صَبابـــتي   لهَان عليك الأمر من شِدة الوُجد

الواضح مما سبق أنّ الشاعر عندما يخاطب زوجته يمنحها تقدبما وإبرازا على نفسه، لأنه يبوح لها بما يعانيه من لوعه وفراقه، وهذا ليضمن وجود نفع أو فائدة من الخطاب، وهو ما يسمّى مبدأ "**التخلق**"، كما نستشف أن التكرار الوارد من خلال التراكيب السابقة يأخذ بعدا تداوليا، ومن هنا يظهر تماما بين توظيف التكرار في الشواهد السابقة ومع التداولية التي تأخذ ماهيتها من طابعها النفعي عند بعض مؤسسيها الأوائل مثل "شارل سندرس بيرس".

ومن زاوية أخرى يأخذ التكرار منحى حجاجيا قوامه التأكيد على مصداقية أو صدق مشاعر "الأمير" إتجاه "صديقه وزوجته"، ويظهر هذا المعطى في قول السيوطي "تأكيدا للآخرين" وهو موضوع قامت عليه النظرية الحجاجية عند كل من "بيرلمان" وتيتكاه" اللذان يعتبران أن تقنيات الخطاب" أن من شأن تقنيات الخطاب الإقناع ومحاولة دفع الأذهان الى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات". [2]

تكرار للتكثير:يقول الشاعر:(الكامل) [3]

كم نافسوا، كم سارعوا، كم سابقوا   من سَابق لفَضائِل وتفضُّلِ

كمْ حاربوا، كم ضَاربوا، كم غالبــوا   أقْوى العُداة بكَثرة وتمولِ

لقد جاء تــكرار الشاعـــر لصيغة "**كم**" الخبرية لـ "**فائدة**"، وهي التكـــثير منن صفات جيـــوشه،

(1) الديوان،ص:60

(2) عبد الله صولة، الحجاج، من أهم خصائصه الأسلوبية،ص:27

(3) الديوان،ص:86

لأن الفرنسيين أشاعوا مقتله ليفزعوا المجاهدين المرابطين في جبال "جرجرة" [1] ولما علم بذلك بعث قصيدة ليفند زعم العدو، والشاعر عمد إلى التكرير والتكثير ليلفت انتباه المخاطب، ويقنعه بأنّ ما روج له لا أساس له من الصحة.

تكرار لغرض الدعاء: نحو قوله:(البسيط) [2]

يا رب! يارب! يـــارب الأنـــام! إليه مَفزعنا سرا وإعلانـــــــا

يا ذا الجلال!وذا الإكرام!مالِكنا يا حي يا موليا فضلا وإحْسانا

فانـــْصره نصرا عَزيزا لا نَظِير له حتى يزيد العدا: همّا وأحْزانـا

لقد جاء استعمال الأمر ههنا على سبيل التضرع لله، بحكم أن "الأمير عبد القادر"تربطه علاقة مع سلطان الدولة العثمانية "عبد المجيد" كان يخوض حربا مع "روسيا" فتوسل الشاعر إلى **الله سبحانه وتعالى** لنصرة المسلمين في جزيرة القرم. [3]

والتكرار في الأبيات السابقة، جاء ليلفت انتباه المتلقي. ويقنعه أنّ للشاعر قواسم مشتركة مع السلطان والمجاهدين، فهؤلاء تجمعهم العقيدة والدين الإسلامي، الذي يوجب على المسلم نصرة أخيه ظالما أو مظلوما، فالشاعر كان صادقا في أفكاره، وصادقا في مشاعره وصادقا في نواياه، ونحسب هذا من الشروط القياسية(Régulative) التي أشار إليها "أوستين" عندما وضع معايير مختلفة عن معيار الصدق والكذب، فالأقوال عنده إمّا أن تكون موفقة (Happy) أو غير موفقة (Unhappy) ولتحققها لا بد من توفر شروط أهمّها: صدق الأفكار، وصدق المشاعر وصدق النوايا وهذا ما ألفيناه عند "الأمير عبد القادر" في شعره.

التكرار لإظهار صفات الشجاعة: نحو قوله(البسيط) [4]

والضَّاربون بِبيض الهِنـــد مُرهـــفَة تخَالها في ظـــــَلَام الحَرب نـِيرانا

([1]) ينظر: عبد الرزاق سبع، الأمير عبد القادر الجزائري وأدبه،ص:321

([2]) الديوان،ص:92

([3]) ينظر: عبد الرزاق بن سبع، الأمير عبد القادر وأدبه،ص:330

([4]) الديوان،ص:92

والطَّاعنون بــسَـمر الخَطّ عـَالية   إذا العــــَــدوّ رآها شرعـــــت بانا

والمُصْطلـــون بنَار الحَرب شاعِلة   مَطلوبهم منْك، يا ذا الفَضـل رضْوانا

والرّاكِبون عِنـــاق الخيل ضـــامرة   تَخالها في مـجَال الحَـــرب عقبْانا

التكرار في هذا النص لم يكن لمجرد التكرار فحسب، بل أراد الشاعر أنْ يؤكد على شجاعة وبسالة الجنود، ولقد وظف معجم الحرب والألفاظ الدالة هي: (ظلام الحرب، نيران، بنار الحرب، الخيل ضامرة، الحرب عقبانا)، فكل هذه الأمور أنتجت دلالة صارمة شديدة الوقع في نفس المتلقي، فالتكرار هنا خرج عن وظيفته التكرارية إلى الوظيفة الإتصالية الإقناعية.

وحاصل النظر فيما سبق أن أسلوب "التكرار" والمندرج تحت لوء علم المعاني يرتبط بجوهر النظرية الحجاجية(Theorie de Largumentation)، وقد بينّا ذلك من خلال رصدنا لأوجهه التي اتخذت في مجملها طابعا حجاجيا محضا، يتجه نحو إقناع المتلقي والأخذ بيده وذهنه نحو الإذغان والتسليم بالحقائق.

6. الوصل والفصل:

والفصل هو "بون ما بين الشيئين والفصل من الجسد موضع المِفصَلِ ويبين كل فصلين وصل"...إبن سيدة: "الفصل الحاجز بين الشيئيين فصل بينهما يفصل فصلا فانفصل وفصلت الشيء فانقطع أي قطعته". [1]

وهو عند "الخليل": "بون بين الشيئين والفصل من الجسد موضع المفصل وبين كل فصلين وصل". [2]

من خلال التعريفين فالمصطلح "الفصل" دل على الإنقطاع.

(1) ابن منظور، لسان العرب، ج1،ص:521

(2) الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تحقيق مهدي المخزومي، دار الرشيد، بغداد، 1980، ج7،ص:126

وأمّا الوصـــل عند صاحب العين فهو :"من فعل وصل وأوصل كل شيء اتصـــل بشيء فيما بينهما وصلة، وموصل البعير ما بين عجزه وفخذه... واتصل الرجل أي انتسب، فقال: يا فلان".[1] أمّا عند صاحب "قاموس المحيط":"وصل الشيء بالشيء وصلا وصلة بالكسر والضم، ووصلك الله(بالكسر) لغة، والشيء اليه وصلا وصولا ووصلة وصلة بلغة، وانتمى إليه، وأوصله واتصل لم ينقطع".[2]

دلت هذه اللفظة "الوصل" على الإشتراك والترابط بعكس الفصل.

و"الفصل"و "الوصل" من القضايا الي أثارت اهتمام البلاغيين العرب، وهي أعظم أبواب المعاني، لأن البلاغة "إذا اعتزلتها المعرفة بمواضع الفصل والوصل كانت كاللآلئ بلا نظام" [3] وقيل "للفارسي" "ما البلاغة؟" قال معرفة "الفصل" وجعل أبو السفاح الوقف عند حدود الكلام وعد الخلط بين المرعى والهُمّل من حلية البلاغة. [4]

ومن العلماء الذين اهتموا بمبحث "الفصل والوصل" "السكاكي"، فعدّ المتكلم (المستخدم) لهتين الآليتين "بليغا" أو "متكلم خاص" لأنه يستطيع ان يوصل ويفصل في خطاباته كما اشترط متلقى خاص يمعن في الكلام. ولا تأتي بلاغة الوصل إلا بــ – الواو – دون بقية حروف العطف، فهي "تكون للجمع بين المعطوف والمعطوف عليه في الحكم والإعراب جمعا مطلقا، فلا تفيد ترتيبا ولا تعقيبا، فإذا قلت:"جاء علي و خالد" فالمعنى أنّهما اشتركا في حكم المجيء سواء كان علي قد جاء قبل خالد، أم العكس أم جاءا معا، وسواء أكان هناك مهلة بين مجيئهما أم لم يكن. [5]

أمّا بقية الحروف فوضعت للعطف ولمعاني أخرى، كالترتيب والتعقيب في "الفاء" والترتيب والتراخي في "ثم" وللتخيير والإباحة والإطراب في "أم"، ويضع "السكاكي" شرطا للعطف بالواو"هو"

([1]) الخليل، كتاب العين (ص.ل.و)، ج8،ص:152

([2]) فيروز آبادي، قاموس المحيط(وصل)، ج1،ص:138

([3]) أبو هلال العسكري، الصناعتين،الكتابة والشعر، تح:علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل، المكتبة العصرية، بيروت، (ط1) ج2006،1، ص:38

([4]) المصدر السابق،ن.ص

([5]) مصطفى العلاييني، جامع الدروس العربية، ص:568

أن يكون بين العطف والمعطوف جهة جامعة، مثل ما ترى في نحو الشمس والقمر، السماء والأرض، والجن والإنس... بخلاقه في نحو الشمس ومرارة الأرنب، وسورة الإخلاص والرجل اليسرى من الضفدع...". [1]

وفي حديثه عن مقامات الفصل يقول :" تكون في حديث ويقع في خاطرك حديث آخر لا جامع بينه وما بين أنت فيه بوجه، وبينهما جامع غير ملتفت إليه، لبعد مقامك عنه، ويدعوك إلى ذكره فتورده في الذكر مفصولا". [2]

إذن "السكاكي" يضع شرطا للوصل وهو مناسبة الكلام للمقام وإلّا وجب الفصل، فالمتكلم يراعي المخاطب في كل ما يأتي حتي يجد هذا الأخير نفسه متعاونا من خلال الإصغاء، ومحاولة الفهم والإنتباه وقوة التركيز، وغيرها من العوامل المساعدة في التلقي الجيد، وكل هذا يندرج ضمن الأسس التي تنظم العلاقة الحوارية، والتي ناد بها "غرايس" وجعلها ضابطا للعملية التواصلية، وتتمثل في مسلمة الملاءمة أيْ أن مساهمتك ملائمة لمقتضى الحال".كما يرى "السكاكي" أن الجملتين خبرا أم انشاءا ينبغي عدم فصلهما عن بعضهما البعض، وهذا تفاديا لعطف الطلب على الخبر والعكس. [3]

ومن شواهد قضية "الفصل و الوصل" في الديوان نحو قول الشاعر(الطويل) [4]

ما زلت أرْميهم بكل مهنــــــــد وكل جَواد همه الكرُّ لا الشَّـوى

وذا دَأبنا فيه حـــــيَاة لدينـــــا وروح جهاد بعْدما غصـنه الذَّوى

غرض شاعرنا في هذا النص هو الفخر، وقد اجتزأناه من قصيدة "**شددت عليه شدة هاشمية**" نظّمها في معركة خنق النطاح قرب وهران، وكان النصر حليفا لشاعرنا. [5] وقد عطف

---

(1) السكاكي، مفتاح العلوم،ص:357

(2) المصدر نفسه،ص:141

(3) ينظر: المصدر السابق، ص:181

(4) الديوان،ص:54

(5) ينظر: بن السبع، الأمير عبد القادر الجزائري وأدبه، ،ص:54

"الجواد" على "المهند"، والظاهر بين العطف والمعطوف جهة جامعة، فالشاعر اختار كلماته من معجم واحد الفخر، والحماسة والفروسية"، فالجواد والمهند من عّدة الفارس. كما عطف "روح الجهاد" على حياة الدين، وهذا الوصل يبين عقيدته، فدابه للمعارك والحروب كانت لسبب واحد هو حياة الدين.

ويستغني الأمير عن الربط أو الوصل نحو قوله: (الطويل)[1]

كَســـاه رَسول الله ثَـــوب خِلافَة   لَه الحُكم والتَّصريف والنَّهيُ والأمْر

وهذا البيت يتحدث فيه الأمير عن مكانة شيخه أو أستاذه "محمد الفاسي" مقدم الطريقة الشاذلية والذي أخذ عنه التصوف بمكة المكرمة، فالشاعر لم يربط الشطر الثاني بالأول لأن جملة العجز كانت مفيدة لجملة الصدر ، ويقول كذلك:(الطويل)[2]

وقالوا: فمن يُرجى من الكون غيرنا؟!   فَنحن مُلوك الأَرض لاالبِيض الحُمر

البيت مركب من إنشاء وخبر، فعبارة **"فمن يرجى من الكون غيرنا"** تفيد الإستفهام، أما عبارة **"فنحن ملوك الأرض لا البيض الحمر"** فتفيد الخبر، وقد وجب الفصل بينهما من أجل عدم الوقوع في اللبس والغموض وهو مبدأ تداولي أقرّته تنطيرات "غرايس" وبالضبط في المسلمة "المناسبة" التي توحي باستخدام عبارات واضحة لا لبس فيها.

ومن خلال ما سبق نقول: جاء الوصل والفصل في شعر الأمير عبد القادر لتقوية دلالة التراكيب وتماسك الخطاب وترابط أجزائه ببعضها البعض وهذا يجعله يتميز بفعالية تواصلية.

7. الحذف والإفتراض الذهني أو المسبق:

الحذف كما يراه "الجرجاني" مسلك لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر،[3] واهتمام العرب البلاغيين بظاهرة الحذف راجع إلى ما تحمله من جمال فني وإبداعي من جهة، وما تحمله من

(1) الديوان،ص:109

(2) الديوان،ص:112

(3) ينظر: الجرجاني، دلائل الإعجاز،ص:112

دلالات وأغراض من جهة أخرى، بالإضافة إلى محاولة الربط بين البنية التركيبية للألفاظ وبين الهدف التواصلي، الذي يسعى المتكلم لبلوغه، عن طريق دفع "السامع" إلى إتمام المقول اللفظي بالجزء الغائب من طريق التأويل، أو الإفتراض المسبق.

والحذف من الأساليب البلاغية التي تخدم الطابع النفعي المتمخض من الأطر التواصلية؛ لأنّه "يتموضع في مجال المعنى بتقليل اللفظ وتكثير المعنى، وهذا يعني أننا نضع المعاني كثيرة في ألفاظ أقل منها شريطة أن نفي بالغرض المقصود مع الإبانة والإفصاح".[1] وبمعنى أنّ المتكلم قد يعمد إلى الإيجاز في كلامه وعدم التوجه به نحو التطويل والإسهاب غير المرغوب فيه، منع مراعاة القصد من الكلام لأنّ القصد هو الغاية التواصلية التي يريد المتكلم تحقيقها، واستعمال الإيجاز في الكلام من المبادئ الثانوية التي أطلق عليها "غرايس" مسلمة الجهة(**Modalité**)، وهي فرع من "مبدأ التعاون" الذي يعد ضابطا يتحكم في استخدامات المتكلم اللغة أثناء المحادثة.

وحذف الشاعر **المبتدأ** في مواطن كثيرة نذكر منها نحو قول الشاعر: (الطويل) [2]

يثِقن النِّساء بي حَيثُما كُنت حَاضرا ... وَلا تثِقن في زوجِـــــها ذات خَلخال

أَمير إذا ما كَان جَيشــــــي مُقبِلا ... ومُوقد نَار الحَرب إذْ لَم يكن صـَالي

سياق هذا النص سياق الفخر والبطولة، والحذف وقع في الشطر الأول من البيت الثاني وتقديره "أنا الأمير" وعدم الغرض من الإتيان بالمبتدأ هو لإثارة الانتباه وإعمال ذهن وفكر المتلقي، الذي يجد نفسه ملزما بمعرفة المحذوف وموضعه لفهم الهدف (قصدية المتكلم) من جهة وكذا قوة انفعال الشاعر كمحارب في ساحات القتال من جهة أخرى، فإحساسه – الشاعر – نابع من التأثير المعنوي يكون السياق "سياق الإيجاز" بعيد عن التطويل، فأسلوب الحذف في هذا الشاهد انطلق في

([1]) محمد مليابي، ظاهرة الحذف في الدراسات اللسانية الحديثة، أطروحة دكتوراه، معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة أحمد بن بلة، السانيا سابقا، وهران،2004،ص:26

([2]) الديوان،ص:49

تشكيله النسقي من اعتبارات تداولية استعمالية بالدرجة الأولى بما في ذلك الجو النسقي الذي يحيط بالإطار التواصلي. ويقول كذلك: (الطويل) (1)

حَريص على هَدْي الخَلائق جَاهِد   رَحيم بها بــر خَبِيــر له القدْر

البيت الشعري بدأ بخبر مبتدؤه محذوف وتقدير الكلام "هو حريص" فالشاعر يريد أن يرسّخ صورة شيخه في ذهن المتلقي، ثم بعد ذلك يزوّده بأخباره لتكتمل الصورة عنده، وكأنّ الشاعر يريد من المتلقي أن يشاركه أفكاره ومن تمّ الموافقة عليها.

ويرد هذا الوجه من الحذف نحو قول الشاعر:(البسيط) (2)

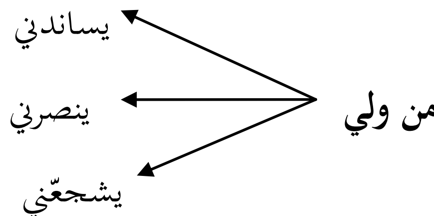
مُوشَّــحة مِن طَرزكم ببَدائــــع   مُحجبة عَن كل ذي فِـطنة خَالٍ

البيت الشعري مجتزأ من قصيدة قالها الشاعر في زوجته "ذات الخلخال" "أم البنين" والحذف وقع في بداية التركيب للشطر الأول، وتقدير الكلام هي "موشّحة".

حذف الخبر: ويحذف الخبر فيقول: (البسيط) (3)

تَكاد لِذاكرهم تَذوب حَشَاشتي   وَمَالي سِــواهم مِن وليٍّ ولَا خال

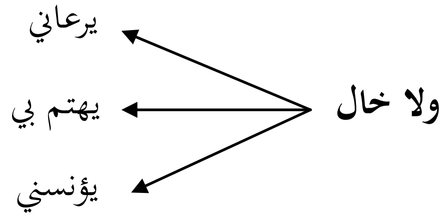
الظّاهر في عجز البيت الشعري أنّ الشاعر قد حذف خبرين الأول متعلق بـ "الولي" والثاني متعلق بـ" خال"، فهو يحنّ إلى الماضي، ويكاد فؤاده يذوب من شدة الشوق، فلم يكمل خبره بل ترك المتلقي أن يملأ هذا الفراغ باحتمالات كثيرة من مثل:



(1) الديوان،ص:109

(2) الديوان،ص:63

(3) الديوان،ص:63



ولو أكمل الشاعر خبره لتحددت قيمة الجملة، واكتفى بها المتلقي من منظور ضيق وهنا يحضر قول "عبد القاهر الجرجاني": فإنّك ترى به الترك أفصح من الذكر والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق وأتمّ بيانا إذا لم تبن".[1]

حذف المضاف إليه: وحذف المضاف إليه نحو قوله(البسيط) [2]

مُوشـــــحة مِن طَرزكم ببَدائع   مُحجَبة عن كُلِّ ذِي فـــــطنة خَال

الشاعر حذف المضاف اليه، للإسم المجرور "خال" وترك المهمّة للمتلقي ليضيف ويتمم معنى القول وفق ما يستدعيه السياق.

حذف الفعل: نحو قول الشاعر: (الطويل) [3]

وَما كل ما يُسَمَّى بِشيخ كَمثْله   ومَا كل من يدَّعي بعَمرو إذا عَمْرو

ورد في هذا البيت الشعري حذفان الأول في صدر البيت وتقديره (يسمى بشيخ يكون كمثله) أمّا في عجز البيت فتقديره (من يدّعي عمرو يكون إذا عمرو)، والشاعر يتغاضى عن ذكر المحذوف لعلم السامع به، لأنّ الشاعر قد أورد جملة من الصفات التي كان يتحلى بها شيخه، وبالتالي فإنّ الإتيان به لا يحقق أيّة فائدة بل ربّما سيزيد تطويلا، وهذا يؤدي بالمتلقي نحو الملل والضجر وبالتالي الإخلال بالعملية التواصلية.

حذف الفعل وفاعله(المسند والمسند إليه): نحو قوله: (الكامل)[4]

أَهْلا وسَهْلا بالحـــبَيب القَادم   هَذا النَّهار لَديّ خَيْر مَواســـــِم

(1) الجرجاني، دلائل الإعجاز،ص:177
(2) الديوان،ص:63
(3) الديوان،ص:110
(4) الديوان،ص:69

هذا البيت مجتزأ من قصيدة "أهلا بالحبيب" استقبل فيها "الأمير عبد القادر" أحد أقطاب الصوفية هو "محمد الشاذلي القسنطيني" ،فأهلا نائب مفعول مطلق، صفة كأن التقدير (حللت أهلا أيها الحبيب) وكذلك مع سهلا فتقدير الكلام (نزلت سهلا)، فالشاعر يعمد إلى الإيجاز أو ما يسمى بالإقتصاد اللغوي في الدراسات اللغوية المعاصرة المهتمة بالتواصل.

حذف المفعول به: نحو قوله: (الطويل)[1]

لُيالي أنَــــادِي والفُـــؤادُ متِيـــم ونَار الجَوى تَشْوي لما قَد حوى الصَّدر

حذف الشاعر مفعول به للفعل (أنادي) وكأن "الأمير" يبحث عن أيّ مخرج يخلصه من حسرته، وسبيل يهتدي به ليطفئ النّار التي سكنت صدره، وقد ترك هذا الفراغ ليعلم المتلقّي المحنة التي يعيشها.

حذف حرف النداء: نحو قول الشاعر:(الطويل) [2]

خَليلي! لا تنْدَم عَلى العَتب للْحُبّ فإنَّ خَفيف الحُبّ أنْفَع بالطّـــب

ردّ "الأمير عبد القادر" بقصيدة على رسالة بعثها شيخه "الشاذلي" ومضمونها العتاب على الهجر والفراق، وكان مطلعها؛ البيت الذي اجتزأناه منها، حيث بدأ بمحذوف والمتمثل في حرف النداء وتقدير الكلام "يا خليلي" ، فهذا الحذف يعبر عن الإحساس بالقرب النفسي على الرغم من البعد المكاني، فـ "الأمير" كان منشغلا بإمارته وحروبه، فالحذف انطلق من حيثيات سياقية استثمرها الشاعر في بناء بيته الشعري.

حذف الجار والمجرور: نحو قول الشاعر: (الطويل) [3]

فمُنّوا بِلقياكــــم وإلّا فَلا بــقَـا ورِيح الفَنَا تسْفي عَـــليْنا إذا سَفَا

([1]) الديوان،ص:103

([2]) الديوان،ص:72

([3]) الديوان،ص:57

الشاعر يوجه خطابه إلى زوجته، فهو يريد لقاءها، وقد جعل من اللقاء قضية حياة أو موت فرهن البقاء باللقاء ثم تأتي مجاوزة ملائمة للمعنى والمتمثلة في حذف الجار والمجرور، وتقدير الكلام، **"فمنوا بلقياكم"** و " **إلا فلا بقا لي"**، وكأن الشاعر جزع من ذكر اللقاء في سياق النفي فحذفه ،إضافة إلى هذا الحذف هناك قصر في "اللقا"، فالسبب الرئيسي التابع وراء الحذف يعود إلى المقام وحيثياته كما يعود إلى مقتضيات الأحوال. وما هذا ببعيد عن المفهوم التداولي للغة.

والواضح في كل مواطن الحذف التي سبق ذكرها، كان الشاعر يعمد إلى الإيجاز لافتراضه أنّ للمتلقي كفاءة تداولية(Compétence Pragmatique) تؤهّله من إدراك موضع الحذف، انطلاقا من استدلالات قائمة على استثمار معطيات السياق وملابسات المقام.

المبحث الثاني: البعد التداولي في علم البيان والبديع

1. تمهيد:

إن الناظر في الكتب البلاغية العربية القديمة*، يجد تصورات مؤلفيها تصب في عمق الدرس التداولي المعاصر المهتم بالتواصل بكل أشكاله وصوره، وتظهر أحقية هذا المقتضى التصوري حين ندرك تمام الإدراك، أنّ جوهر البلاغة لا يقوم إلّا على وشائج تواصلية بالدرجة الأولى، فإذا كان علم المعاني يهتم بدراسة طرائق الكلام أو أساليبه، وذلك ليطابق مقتضى الحال؛ فإنّ البيان والبديع مرتبطان بكنه التواصل وجوهره، وذلك بفضل إعطائهما الأولوية للاعتبارات الجمالية المؤثرة في نفوس المتلقين.(1)

وسيهتم هذا المبحث بالآليات الواقعة تحت لواء علم البيان والبديع، باعتبارهما علمان يهتمان بالجانب التنميقي والجمالي للألفاظ لغرض استمالة النفوس والتأثير فيها، وهو ما يصبّ في خانة الحجاج أو التداولية من الدرجة الثانية.

2. علم البيان:

علم البيان هو مجال يبحث في أصول وقواعد يعرف بها إيراد المعنى الواحد بطرق تختلف بعضها عن بعض، وفي وضوح الدلالة العقلية ذلك المعنى نفسه،(2) ومن مباحثه: التشبيه والاستعارة والكناية.

1.2 التشبيه:

لقد تعدّدت مباحث التشبيه عند العرب في مؤلفاتهم، وأول محاولة للتأصيل له كانت لـ "سيبويه".(3)

---

* من الكتب نذكر "مفتاح العلوم" للسكاكي، و"الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع و"منهاج البلغاء"، و"سراج الأدباء" لأبي الحسن القرطاجني.

(1) ينظر: خطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، المعاني والبيان والبديع، وضع حواشيه ابراهيم شمس الدين، دار الكتب القبلية، بيروت،لبنان،(ط1)،2003،ص:20

(2) ينظر: يوسف أبو العدوس، علم المعاني، علم البيان، علم البديع،ص:144

(3) حمادي صمود، التفكير البلاغي عند العرب، أسسه وتطوره إلى القرن السادس، منشورات الجامعة التونسية، 1981م،ص:122

ويعرّف صاحب "لسان العرب" التشبيه فيقول:" وشبهه إياه، وشبه به مثله... والتشبيه التمثيل، أي التمثيل شيء آخر".[1]

أمّا صاحب "أسرار البلاغة" فميّز نوعين من التشبيه:[2]

-**الأوّل**: أن يكون من جهة الأمر بيّن لا يحتاج فيه إلى تأوّل، كأن نشبه الشيء بالشيء من جهة الصورة والشكل، نحو أن يشبه الشيء إذا استدار بالكرة في وجه وبالحلقة في وجه آخر، وكالتشبيه من جهة اللون كتشبيه الخدود بالورد، أو كتشبيه بعض الفواكه الحلوة بالعسل والسكر...الخ، فالشبه في هذا كله بيّن لا يجري فيه التأول.

-**الثاني**: وهو الشبه الذي يحصل بضرب من التأوّل، كقولنا هذه حجة كالشمس في الظهور، وقد يشبّه الحجة بالشمس من جهة ظهورها، وحقيقة ظهورها وغيرها من الأجسام أن لا يكون دونها حجاب، ونحو مما يحول بين العين وبين رؤيتها، وقد يقع تفاوت في التأوّل في هذا النوع فمنه ما يقر المأخذ ويسهل الوصول إليه، ومنه ما يحتاج فيه إلى قدر من التأمل ومنه ما يدل ويغمض حتى يحتاج في استخراجه إلى فضل رؤية ولطف فكرة.

إن التقسيم الثنائي الذي أصّله "الجرجاني" وخاصة ما يتعلق بالقسم الثاني، أي الشّبه الذي يحصل بضرب من التأول يمكن أن ندرجه ضمن الاستراتيجيات التداولية، لأنّ الوصول إلى معناه الذي يدل عليه يكون إلا من خلال عمليات ذهنية استدلالية، يقوم بها المتلقي لغرض الوصول إلى القصدية(L'intentionnalité) التي حظيت بدروس مستفيضة من الباحثين "سورل" و"غرايس".

أمّا التشبيه عند "السكاكي" فهو "مستدع طريقتين، مشبها ومشبها به، واشتراكا بينهما من وجهة وافتراقا من آخر، مثل أن يشتركا في الحقيقة ويختلفا في الصفة، أو بالعكس، فالأول كالإنسان إذا اختلفا صفة طولا وقصرا والثاني كالطويلين إذا اختلفا حقيقة: إنسانا وفرسا.، مشبّها ومشبّها به، واشتراكا بينهما من وجهة وافتراقا من آخر، مثل أن يشتركا في الحقيقة ويختلفا في الصفة، أو

([1]) إبن منظور، لسان العرب، ج1،ص:584

([2]) ينظر: عبد القاهر الجرجاني ،أسرار البلاغة، ص:73-75

بالعكس، فالأول كالإنسان إذا اختلفا صفة طولا وقصرا والثاني كالطويلين إذا اختلفا حقيقة: إنسانا وفرسا. [1] وهو عنده "لا يصار إليه إلا لغرض". [2]

وتتعلق الأغراض أو المقاصد بطرفي التشبيه كبيان حال المشبه وتزيينه إلى السامع أو العكس، فالمتكلم يعمد إلى هذا اللون البياني للوصول به إلى القصد التي انطلقت كاستراتيجية.

ومن أوجه التشبيه في الديوان: قول الشاعر: (الطويل) [3]

لذَاك عَروس الملك كَانت خَطيبَتي   كَفجْأة مُوســـى بالنُّبـــوَّة طوى

وقَد علَّمتني خير كـــــفء لوَصْلها   وكَم رد عَنها خَاطب الهــَــوى

فواصَلتها بـِـــــــكرا لديَّ تبرّجت   ولي أذْعَنت والمعتدي بالنــّوى

استحضر الشاعر صورة العروس الحسناء وهو يقصد بها "الإمارة"، وقد استحقها لتوافر الخصال الحميدة فيه، كالبطولة والشهامة والشجاعة، لذا انقادت له حبيبة وعروسا يحميها ويصونها، وشاعرنا قد فوجئ عندما أسندت إليه، لأنه لم يكن ينتظرها، فكل الدراسات التاريخية تشير أنّ والده "محي الدين" أول من بويع، لكن ظروفه الصحية لم تسمح بتولي هذه المهمة الصعبة، فأسندها إلى وَلدِه " عبد القادر" بعد مشورة من شيوخ الأعراش ورؤساء القبائل. [4]

وحدث المبايعة قد حمل عنصر المفاجأة لشاعرنا وخلق في نفس الأمير شيئا من القلق والاضطراب، نظرا لثقل المسؤولية وعظمتها، فشبّه فجأته بفجأة موسى عليه السلام، بوادي المقدس طوى، حينما كلّمه الله سبحانه وتعالى، فالمشبّه هو العروس(الإمارة) والمشبه به فجأة موسى بالنبوة، أمّا وجه الشبه هو المنزلة أو الأمانة، وأداة التشبيه هي "كـ"، وتظهر شعرية هذا التشبيه في أنّه ينقل المتلقي من زمن ومكان معيّن إلى زمن آخر ومكان مقدس، فالانتقال كان بعيدا عن بال المتلقي، فكان التشبيه أروع لنفسيته وأدعى إعجابها واهتزازها.

([1]) السكاكي، مفتاح العلوم،ص:439

([2]) المصدر نفسه، ن.ص

([3]) الديوان،ص:54

([4]) ينظر: يحيى بوعزيز، الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري، سيرته الذاتية وجهاده، دار ابن خلدون للنشر، تلمسان،(ط2) 2002،ص:45

ويورد الشاعر تشبيها "مؤكّدا" نحو قوله: [1]

شَمائله تُغنيك إنْ رَمــت شَاهِدا هِي الرّوض لكن شَقّ أكْمامه القِطر

حذفت الأداة، ووجه الشبه، وذكر المشبه "هي"(الشمائل) والمشبه به "الروض"، فشبّه الأمير شمائل شيخه بالرياض، أو الحدائق لسمو مقامه عنده، ومنزلته بين المشايخ ولعلّ الشاعر قد بالغ في الوصف، ما جعل المشبه هو المشبه به نفسه؛ إنّه وجه لطيف شبيه بالسحر، لأنّه كما يرى "الجرجاني":"إن جاء في أعقاب المعاني أو أبرزت هي باختصار في معرضه، وتقلبت عن صورها الأصلية إلى صورته كساها أبّهة، وكسبها منقبة، ورفع من أقدارها وشبّ من نارها، وضاعف قواها في تحريك النفوس لها ودعا القلوب إليه واستثار لها من أقاصي الأفئدة صبابته، وكلّف وفسر الطباع على أنْ نعطيه محبة وشغفا".[2]

ووصول المتلقي إلى "قصد" الشاعر لا يأتي إلّا بتشغيل الذهن، لأنّه إزاء المعنى المجازي المستتر وراء المعنى الحقيقي، فالتشبيه يقوم بدور فعّال ومتمثل في تحريك عجلة الإنتقال من المعاني التجريدية (التخييلية) إلى معاني مجسّمة (تجريبية)، وهذا الإنتقال يقرّب الصورة للمتلقي، ومن هنا يظهر فضل استعمال التشبيه، فهو يصبّ تحت مجال واسع هو مجال الإستراتيجية الحجاجية القائمة على الإثبات بآليات وتراكيب تهزّ النفس وتنحو نحو الإقناع.

2.2 الإستعارة،إثبات المعنى والإحتجاج له:

تعتبر الإستعارة من الآليات البلاغية، وتتمثل في استعمال الصور البيانية، يستغلها "المتكلم" لما تزخر به من طاقات حجاجية، فمن خلالها ينفي القول أو يثبته، ويحمل "السامع" التمعن فيها. وقد أولى علماء البلاغة بالإستعارة عناية كبيرة، إذ أنّهم ما انفكوا يتدراسونها تدارسا دقيقا، ويصرحون في ظل هذا التدارس بأهميتها في التبليغ أو التواصل، وانصبت جهودهم في اكتشاف معانيها من

---

(1) الديوان،ص:108

(2) الجرجاني، أسرار البلاغة،ص:102

خلال النصوص والخطابات الإبداعية بمختلف أشكالها وصورها من جهة وإثبات دورها الإقناعي التي عقد "المتكلم" من أجلها التأثير واستمالة السامع من جهة أخرى.

ويرجع ابن منظور "مصطلح الإستعارة" إلى مصدره الأول وهو "العارية"، والعارية والعارة في اللسان ما تداولوه بينهم، وقد أعار الشيء وأعاره منه وعاوره إيّاه، وتعور واستعار طلب العرية، واستعار الشيء واستعار منه: طلب منه أن يعيره إياه". (1)

ويعرّفها "عبد القاهر الجرجاني" فيقول:" اعلم أنّ الإستعارة في الجملة أن يكون للفظ أصل في الوضع اللغوي معروفا تدل على الشواهد على أنّه اختص به حين وضع، ثم يستعمـــله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك وينقله إليه نقلا غير لازم، فيكون هناك كالعارية. (2)

وميز نوعين من الإستعارة: (3)

ما وضعت لغير فائدة، كأنْ نضع أسامي لشيء واحد بحسب اختلاف الأجناس نحو وضع الشفة للإنسان والمشفر للبعير، و والجحفلة للفرس وما شاكل ذلك، فإذا استعمل الشاعر شيئا منها في غير الجنس الذي وضع له فقد استعاره منه ونقله عن أصله وجاز به موضعه، كأن يقول الشاعر:

فبتنا جُلوسا لـــدى مُهرنا نَنزع من شَفـــتيه الصَّفارا

فاستعمل الشّفة في الفرس، وهي موضوعة للإنسان، فهذا لا يفيد شيئا في نظر "صاحب الأسرار"، فلا فرق بين قوله: من شفتيه وقوله من جحفلتيه، لو قاله أنّما يعطكيها كلا الإسمين العضو المعلوم فحسب.أمّا المفيد (اللفظ) فقد يظهر لنا باستعارته فائدة ومعنى من المعاني وغرض من الأغراض وجملة تلك الفائدة وذلك الغرض التشبيه.

والواضح من كلام "الجرجاني" أنّ اللفظ المفيد الذي وضعت له استعارته يتوفر على غرض التشبيه، الذي يعمل على ربط بين عنصرين من واقعين مختلفين، وتقديمهما للمتلقي الذي يعمل ذهنه

(1) ابن منظور:لسان العرب،ج 09 مادة "عور"،ص:420

(2) عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة في علم البيان، تصحيح محمد عبده، تعليق محمد رشيد رضا، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان،(د.ت)، ص:30

(3) ينظر:عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة في علم البيان، ص:31

للإستدلال على وجه الشبه الرابط، ووجه التأثير هو أنّ المتكلم يحمل المتلقي على الإستنتاج فها هو يؤكد حين يقول:" التشبيه قياس والقياس فيما تعيه القلوب، وتدركه العقول، وتسنفي فيه الأفهام والأذهان لا الأسماع ولا الآذان". (1)

والتقسيم الذي أصّله "الجرجاني" للإستعارة على أساس الفائدة والمنفعة هو من صميم الدراسات اللسانية الحديثة، لأنّ التداولية منهجا نابعا من الفلسفة الذرائعية التي تحيل كل شيء إلى الفعل والمنفعة.

وفي بيان خصائصها يقول:" ومن خصائصها التي تذكر بها وهي عنوان مناقبها: انها تعطيك الكثير من المعاني باليسير من اللفظ، حتى تخرج من الصدفة الواحدة عدة من الدور، وتجني من الغصن الواحد أنواعا من الثمر".(2)

ومن ناحية أخرى تناول "السكاكي" الإستعارة على أنّها "فرع من فروع التشبيه"، (3) ويضرب مثلا فيقول:"إنّ المنية أنشبت أظفارها، ولأنت تريد بالمنية، السبع بإدعاء السبعية لها، وإنكـــار أن تكون شيئا غير سبع فتشبت ما يخص المشبه وهو الأظفار"،(4) ففي الشاهد ذكر "السكاكي" أحد طرفي التشبيه وأراد به الطرف الآخر مدعيا دخول المشبه به.

ويعرفها صاحب "الصناعتين" بأنها "نقل العبارة من موضوع استعمالها في أصل اللغة إلى غيره لغرض"،(5) وفي كلام "العسكري" تجاوز لتوظيف الإستعارة في النصوص والخطابات ذلك الأساس التحسيني الى حدود أوسع تأخذ نصب أعينها تحقيق المقاصد والأغراض التي لا يتلفظ إلّا من أجلها.

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تصحيح محمد عبده، تعليق محمد رشيد رضا، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1994 ص:152

(2) المصدر السابق،ص:41

(3) السكاكي، مفتاح العلوم،ص: 439

(4) المصدر نفسه.ن،ص

(5) أبو هلال العسكري، الصناعتين، ص:240

ففي الإستعارة ينطلق المتكلم مما هو مشترك بينه وبين المتلقي في الحرف اللغوي السائد بينهما، وإمكانية احتمال المعاني الحرفية لمعان تستدعيها المقامات والأحوال وهي تقوم على ما يسمى بقانون الحذف أيْ حذف أحد عناصر التشبيه للوصول إلى الإستعارة.

ومن شواهد الإستعارة في الديوان قول "الأمير"(الطويل) [1]

إلَى الصون مدّت تلمْسان يَداها ولبَّت هذا حُسْن صوت نـَـداها

وقد رَفعْت عَنها الإزار، فلــج به وبرد فُؤادا، من زلاَل نـَـداها

وإذا روْض خــديها، تفتّـق نُوره فَلا ترض من زاهي الرّياض عـداها

هذه الأبيات إجتزأتها من قصيدة تضم أكثر من عشرين بيتا عنوانها **"لبيك تلمسان"** نظمها الشاعر عندما انتصر على الجيش الفرنسي ودخلها فاتحا منتصرا.[2]

والواضح من النص أن الشاعر استعار الكثير من الصفات الإنسانية التي تدل على الفرحة والسرور وكأنّ "تلمسان" عروس قد مدّت يداها وتبث صوت نداها، ورفع عنها الإزار، وروض خضها تفتق نوره، فقد جاءت هذه الاستعارات لتحرك عجلة الإنتقال من المعاني التجريدية(التخييلية) إلى معاني مجسمة تحريكية تدرك عن طريق الحواس من جهة، والإنتقال من المعاني المحسوسة إلى معاني ذات طابع تخييلي من جهة أخرى.

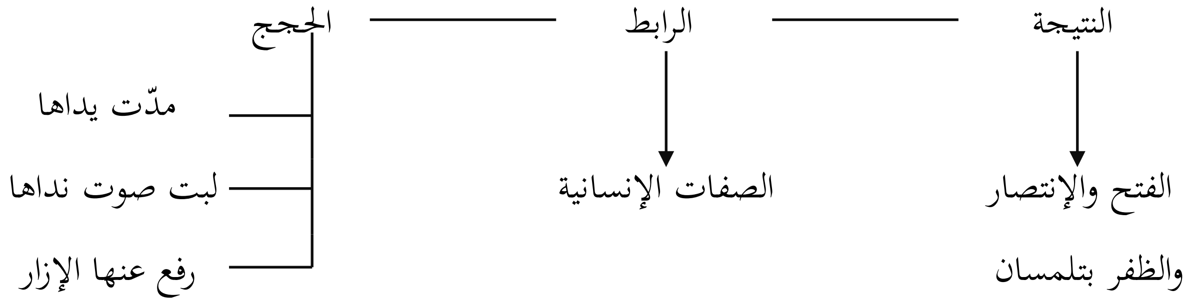
إنّ هذا الإنتقال يقرب الصورة للمتلقي بغية تأسيس تفاعل بين ذهنه وما ورد في النص، فما تفعله الإستعارة في المتلقي يصب تحت مجال أوسع هو مجال الإستراتيجية الحجاجية القائمة على الإثبات بآليات وتراكيب تهز النفس وتنحو نحو الإقناع.

ويمكن تمثيل هذه الإستعارات ودورها الحجاجي في المخطط الآتي:

---

(1) الديوان،ص:47

(2) محمد السيد محمد علي الوزير، الأمير عبد القادر الجزائري، ثقافته وأدبه، مطبعة الشعب للجيش،2007ص:38



كما نلفي في الديوان نصوصا تشمل على الإستعارة الحجاجية نحو قول الشاعر(الطويل)[1]

وقد عِشت أيّاما بِظل جانبكـم فلِله عَيش مَا ألذّ ومَا أمـــــرّا!

إلى أن دَهانا الدهر يوما بِـجدّه بِعادات بيْن ما أخَذ وما أفرى!

ففرّقنا جميعا وكدّر صـَـفْـــوَنا وجَوّعنا جَوْعا فقدنا له الـصبرا

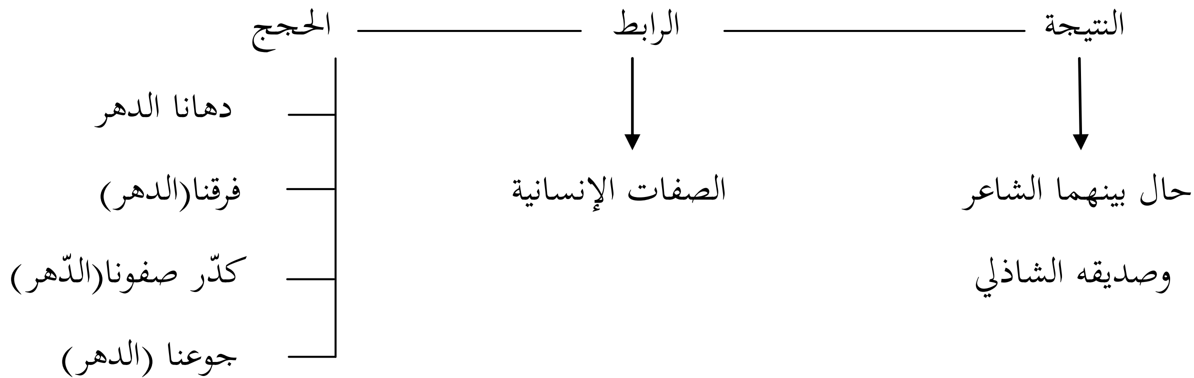
هذا النص إجتزأناه من قصيدة **"الجوع براني"**، ومناسبتها تضامن "الأمير عبد القادر"مع صديقه الشاذلي تخفيفا عنه حين التزم بالحمية طلبا للشفاء، ولما طال الأمر اشتكى الأمير ذلك إلى صديقه "الشاذلي" داعيا له بالشفاء العاجل حتى يحرر من الحمية التي أتعبته.[2]

والشاعر كما يبدو في النص أنّه عاش أياما سعيدة بجانب شيخه "الشاذلي"، ولكن المرض أقعد الخليل، مما حدا الأمير أن يمثل مرحلة المرض (الدهر) على هيئة شخص قاس ظالم فرقهما، وكدر صَفْوَ حياتهما، فالإستعارات (دهانا، فرقنا، كدّر صفوفنا، جوعنا، أخذ، وما أفرى!) التي وظفها الشاعر تتمفصل حول مجالين مختلفين، فالمجال الأول مرتبط بالنظرة السطحية التي تظهر من خلالها هذه العبارات المشتملة على الإستعارات مجرد جمل ذات محتوى إخباري محض، امّا المجال الثاني فهو المسؤول عن المعاينة الفكرية التحليلية الدقيقة التي تغوص في العمق الحقيقي المرتبط بمقاصد الإستعمال، وفي هذا المجال تأخذ تلك العبارات وجهة حجاجية حيث تصبح الجمل المشتملة على هذه الإستعارات أفعالا كلامية تنطوي على طاقات حجاجية، ويأخذ هذا الأخير على عاتقه مهمة إقناع الآخرين وجرهم نحو حقيقة معينة.فالإضافة إلى المحتوى الخبري الذي كان يمكن أن تتضمنه،

(1) الديوان،ص:74

(2) محمد السيد محمد علي الوزير، الأمير عبد القادر الجزائري، ثقافته وأدبه،ص:85

يمكن القول أنّها تنطوي على ذخر حجاجي أساسه إقناع المتلقين أو قلب قناعاتهم باستعمال اليسير من اللفظ مقارنة مع الإستعمال الوضعي القائم على الحقيقة كما أشار عبد القاهر الجرجاني في تنظيراته للإستعارة.[1] ويمكن تمثيل إستعارات النص بالمخطط الآتي:



وفي موضع آخر يتخذ الأمير من تجربة الحب الإنساني وسيلة، أو موضوعا أو معادلا رمزيا على سبيل الإستعارة في تجسيد الحب الإلهي حيث يقول:(الطويل)[2]

تجَلّى له المحبوب من حَيث لا يرى ... فأعْجَبه أراه من حيْثُ لا أرى

وغَيبتي بِه فغاب رقيبَنا ... وزال حِجاب البين وانْحَسم الأَمرا

فَصرت أراه كُلّ حين ولحْظَة ... وقَد كان غائِبا وقد كان حَاضرا

وَواصلني فلا تناكر بعد ذَا ... وقرّبني فَكانَ سَمعا وبَصرا

ولا طفني بقوله الحق مُعْلنا ... أنِّي قد اخْتَرت قد اصْطفيت بلا أمْترا

وكَم من شَهيد مات بالشَّوقِ وألفنا ... محبّ لذلك الحُسن لَو كان قدرا

وكمْ من شَهيد للغَرام مشاهِد ... لبَعض الذي شاهَدت مَات فأقبْرا

وذا قَيس عامر تخيَّل نورنا ... في ليلي فمات والِها متَحيِّرا

لَقد سبَقت بالفضل منَّا عِناية ... إلَيْك فحدّث عن عطاي مُخبْرا

([1]) ينظر: عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة،ص:33 وسمير أبو حمدان، الإبلاغية في البلاغة العربية،ص:156

([2]) الديوان،ص:121

وغنّ ودنـــــدن لا تمـــَـــل لِمفـــــند وكنْ فَرِحا بالوصـــــــْـــل لله شـــَـاكِرا

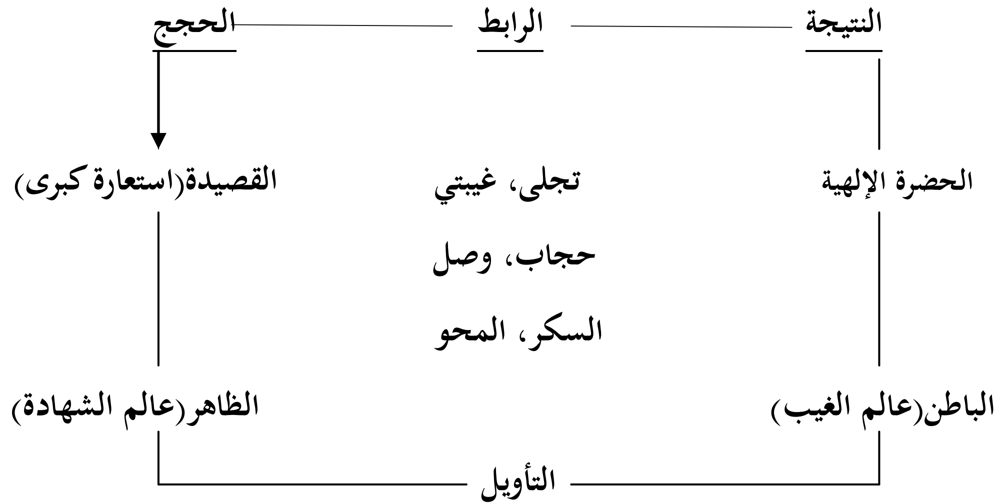
ومَا زال يَسقــِــيني وما زلـت قائـِــلا لهُ زدنـــِــــــي ما ينفكُّ قـــلبي مسـْعِرا

وفي الحَال حال السّكر والمحـوِ والفنَا وصـــــــــلت إلى لا أيـــْـن حقّا ولا ورا

إنّ القراءة الأولية للأبيات، تردنا إلى فضاءات الغزل العذري عند "مجنون ليلى" و"جميل بثينة" و"كثيرة عزة" و"العباس بن الأحنف" بكل ما يشتمل عليه الغزل العذري من خصائص فنية، وعلامات امتاز بها عن غيره من ضروب الغزل، ولكن لو وقفنا مليا عند بعض القرائن الصوفية (تجلى، غيبتي، وصل، السكر، المحو، الفتا)،سنشعر أنّ النص يرتفع إلى أجواء صوفية وخاصة حينما ننسبه إلى قائلة، وتظهر علاقة المشابهة بين النص الشبيه والمعنى الأصلي، لهذا جاءت لغة الشاعر رمزية، فكانت أقدر على التعبير عن عمق التجربة الوجودية الصوفية.*

وشاعرنا لم يجد وسيلة أقوم وأقدر على التعبير غير التي وجدها في استعارة موضوع الغزل، مما يدل على عمق الصلة بين مشاعره – الشاعر- الصادقة والحقيقة بين الناس، ومشاعره المتوجهة نحو الذات الإلهية، وعليه يمكن أن نستشف أنّ مجيء الإستعارة هنا قائم على الربط بين متشابهين منتميين إلى مجالين مختلفين؛ مجال الحب الإنساني ومجال الحب الإلهي، وبذا فإن استعارة الأمير لموضوع "الغزل العذري" ينطوي على بعد حجاجي يرمي بطاقته نحو إقامة واقع جديد يفضي الى التأثير على المتلقي.ويمكن أن نبين استعارة القصيدة بالمخطط الآتي:

* إن مفهوم اللغة في الخطاب الصوفي يتخذ أبعادا جديدة لا نجدها في كتب البلاغة ولا في كتب النقد مما انتهى إلينا من علماء، ونقاد السلف، وفي دراسة قامت بها د. سعاد الحكيم في لغة المتصوفة على لغة ابن عربي بالخصوص تقول: يحول ابن عربي كل اسم لذات جاعلا منه اسما لأخص صفات هذه الذات، فالليل مثلا إن كان دالبا على الوقت المعلوم أصبح ذا على صفته وهي الغيب والأسرار وكذلك مع بقية الأسماء ولا تخص هذه الأسماء فقط بل الأفعال، ينظر: عبد السلام المسدي، الأسلوب والأسلوبية،ص:54 وسعاد الحكيم، إبن عربي ومولد لغة جديدة، بيروت، دندرة للطباعة والنشر، 1991،ص:74



3.2 الكناية ،التلميح ومبدأ التأدب:

ومن مباحث علم البيان "الكناية" فقد حظيت لدى البلاغيين العرب باهتمام ملحوظ نظرا للآثار التي تنتج من استعمالها، فهي من الأساليب الفنية التي يمكن الحكم بواسطتها على مدى امتلاك "المتكلم" قدرة تواصلية أو كفاءة تداولية تتأقلم مع مختلف السياقات والأطر التواصلية المختلفة.

يعرفها صاحب اللسان فيقول:" أنْ تتكلم بشيء وتريد غيره، وكنّى عن الأمر بغيره لا يكنى كناية، وقد تكنى أي تستر، من كنّى عنه إذا ورّى أو من الكنّية".[1]

ويرى صاحب "التعريفات" أن الكناية هي "كلام استتر وإن كان معناه ظاهرا في اللغة".[2]

من خلال التعريفين السابقين يتضح لنا أن "الكناية" لا تعني ظاهر الصياغة أو "المعنى الظاهر المطروح للمتلقي"، وإنّما تعني المعنى الخفي والباطن والقابع في المستوى العميق يصل إليه "المتلقي" من خلال استدلالات ذهنية لأنّه _ المعنى_ هو القصد من المتكلم.

وفي هذا السياق حددها "السكاكي" بأنّها "ترك التصريح بذكر شيء إلى ذكر ما يلزمه لينتقل من المذكور إلى المتروك، كما تقول: فلان طويل النجاد، لينتقل منه إلى ما هو مـــــلزومه وهو طـــــول

(1) ابن منظور، اللسان، ج 6،مادة "كنّى"،ص:188

(2) الشريف الجرجاني، التعريفات،ص:230

القامة". [1]

أمّا صاحب الدلائل فيورد تعريفا لـ "الكناية" في كتابه، فيقول:"أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ والموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى المعنى هو تالية ودقة في الوجود فيومئ به إليه ويجعله دليلا عليه". [2] والمتمعن في كلام "الجرجاني" يلحظ أن الكناية ذكر الشيء بغير لفظه الموضوع له، ومدار الكلام فيها هو العدول عن التصريح إلى التلمـيح، فهي تحمل القيم الدلالية القـائمة على الإيحائية(**Connotation**). [3]

أمّا من الناحية الفنية فهي وسيلة للتفنن والإبداع في إثبات المعنى، وهو مبدأ حجاجي ينبع من استعمال "الكناية" من خلال القيمة البلاغية التأثيرية، وفي هذا الإطار يقول "الجرجاني":"أمّا الكناية فإن السبب في أن كان للإثبات بها مزية، لا يكون للتصريح أن كل عاقل يعلم – إذا رجع إلى نفسه– أن إثبات الصفة بإثبات دليلها وإيجابها بما هو شاهد في وجودها أكد وأبلغ في الدعوى من أنْ تجيء إليها هكذا ساذجا غفْلا". [4]

وقد حفل "الديوان"بهذا النوع من الأساليب البيانية في أكثر من موضع، نحو قول الشاعر:(الطويل) [5]

فشمرت عن ذيلي الإطَار وطار بي　　　جُناح اشتياق، ليس يخشى له كسـر

إلى أن أتخنا بالبــــــطاح ركـابنا　　　وحطت بها رحلي وتم لها البشـــــر

اجتزأنا البيتين من رائيه الأمير المشهورة **"أستاذي الصوفي"** وهي قصيدة قالها بعد انقطع الى العبادة في غار حراء بـ "مكة المكرمة" إلى أن جاءته البشرى بالرتبة الكبرى على عادة المتصوفة. [6]

---

(1) السكاكي،مفتاح العلوم،ص:512

(2) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز،ص:60

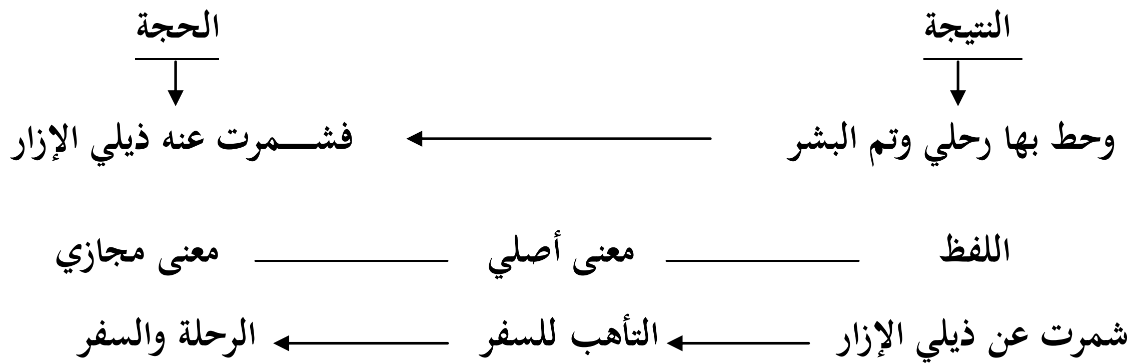
(3) ينظر: عبد المالك مرتاض، بين السمة والسيميائية، مجلة الحداثة، يصدرها معهد اللغة العربية وآداها، جامعة وهران، العدد(2)، 1993،ص:21

(4) ينظر: عبد المالك مرتاض، بين السمة والسيميائية،ص:54

(5) الديوان،ص:108

(6) ينظر: عبد الرزاق بن سبع، الأمير عبد القادر وأدبه،ص:161

أراد الشاعر أن يلقى شيخه ويصله عن طريق الزيارة، لكن الصعاب وتراكم العقبات حالت بينهما، فالرحلة شاقة والسفر طويل ومضني، لقد عدّ الأيام والليالي من أجل اللقاء لذا "شمر عن ذيل الإزار" وهذا في معناه الحقيقي يتحدث عن التأهب للسفر وقد اتخذ استراتيجية تلميحية غير مباشرة اعتمدت على المتلقي واستدلالاته الذهنية لفك شفرات هذا اللفظ عبر خطوات ومحطات ذهنية استدلالية منظمة يمكن أن نبسطها على الشكل التالي:



والمتلقي لعبارة " شمرت عنه ذيلي الإزار" لا يقف عند حدود الكلمات أو البنى الافرادية المشكلة لها، أو المعنى فحسب بل عليه تجاوز ذلك إلى المعنى الخفي أو الباطن وهو القصد من الكلام.

ويقول كذلك: (البسيط) [1]

يا سَيّدي !يَا رسول الله! يا سنَدي!　　　ويا رَجائي! ويا حصني! ويا مَدَدي!

أبغي رِضَاك ولا شـــــيْء أقـدمه　　　سِوى افْتقاري وذلي واصْفِرار يَدي

البيت الشعري مجتزأ من قصيدة"يا سيدي يا رسول الله" وفيها يناجى المصطفى صلى الله عليه وسلم، فهو يرجو رضوانه، ولكن لا شيء يقدمه له سوى فقر وذلٍّ واصفرار يد وهي كناية عن ضعفه وعدم امتلاكه القوة، وقد يألف المتلقي مثل هذه الأساليب في الخطاب الصوفي وخاصة مقام المنجاة حيث يمتح المناجي تقديما وإبرازا للمناجى على نفسه وهذا ليضمن وجود نفع من الخطاب وهو ما يسمى بـ"مبدأ التأدب".

(1) الديوان،ص:89

3.البديع وأبعاده التداولية:

إذا عدنا إلى المدلول المعجمي لكلمة "البديع" وجدناها تدل على الأحداث، والإختراع، و"البديع"، المبدع والبـــديع من أسماء الله تعالى، وإحداثه إياها وهو البديع الأول قبل كـــل شيء، و"البديع الجديد". [1]

قال الله تعالى:﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونْ﴾ [2]

وقال جل من قال:﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنَّى يَكُونَ لَـهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَـهُ صَاحِبَة وَخَلَقِ كُلّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عليم﴾ [3]

أما اصطلاحا: فيذكر "الجاحظ" أنّ أول من أطلق البديع هم الرواة على المستطرف الجديد من الفنون الشعرية، ويراه مقصورا على العرب ومن أجله فاقت لغتهم وأربت على كل لسان.[4]

ويعتبر "إبن المعتز" أول من ألف في البديع كتابا أطلق عليه "البديع"، فكانت دراسته مستفيضة لا سيما من حيث تقسيماته، فيشتمل كتابه أولا على خمسة فنون وهي أصول البديع الكبرى في نظره كالإستعارة، والجناس، والمطابقة، ورد أعجاز الكلام على ما تقدمها، أمّا الباب الخامس من البديع فهو كما يقول:" مذهب سماه عمرو الجاحظ المذهب الكلامي، وهذا باب ما أعلم أني وجدت في القرآن منه شيئا وهو ينسب إلى التكلف، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا".

ثم ذكر بعد محاسن الكلام وعدّ منها ثلاثة عشر فنا وهي: الإلتفات، الإعراض، الرجوع وحسن الخروج، وتأكيد المدح بما يشبه الذم وتجاهل المعارف، والهزل يراد به الجـد وحـسن التضمين، والكناية، والإفراط في الصفة، وحسن التشبيه، وإعانات الشاعر نفسه وحسن الإبتداء.[5]

---

(1) ابن منظور، لسان العرب، مادة (بدع)، ج5،ص:6

(2) سورة البقرة،الآية117

(3) سورة الأنعام، الآية:101

(4) ينظر: الجاحظ، البيان والتبيين، ج4،ص:55

(5) ينظر: عبد العزيز عتيق، علم البديع،ص:15

وأضاف "قدامة بن جعفر" محسنات بديعية أخرى وهي مرتبة في كتابه "نقد الشعر" كالآتي: الترصيع، الغلو، الصحة، التقسيم، صحة المقابلات، صحة التفسير، التتميم، المبالغة، الإشارة، الإرداف وسماها محاسن الكلام ونعوته.(1)

وأما "السكاكي" فسمّاه – البديع- وجوه التحسين وجعله في قسمين:(2)

– قسم يرجعه إلى المعنى، ومن وجوهه؛ المطابقة، والمقابلة، والمشاكلة ومراعاة النظير، وتأكيد المدح بما يشبه الذم، والتوجيه وسوْق المعلوم مساق غيره، والإعتراض، والاتساع، والالتفات وتعليل اللفظ ولا تقليله.

– أمّا القسم الثاني ما يرجع إلى اللفظ كـ: التجنيس، ورد العجز على الصدر، والقلب، والأسجاع، والترصيع.

وعدّه "الزمخشري"ذيلا وهامشا وبيّن أثره في بلاغة القرآن وإعجازه، وأشار إليه إشارة خفيفة إلى ما ورد في بعض الآيات عن بديع مثل الطباق، والمقابلة، والمشاكلة، واللف والنشر والإلتفات، وتأكيد المدح بما يشبه الذم ومراعاة النظير، والتناسب، والتقسيم والإستطراء والتجويد.(3)

حاصل النظر فيما سبق إنّ الدراسات البلاغية القديمة، انحصرت في وضع تسميات وتقسيمات للبديع، ولكنها أهملت جانبا مهما وهو دور المحسنات البديعية من حيث ترابطها مع البنى الأخرى الموجودة في النص؛ أي العلاقات القائمة بين عناصره الشكلية منها والمتمثلة في "السبك"(**Cohésion**) والمعنوية والمتمثلة في "الحبك"(**Cohérence**).

---

(1) ينظر: المرجع نفسه،ص:16

(2) ينظر: السكاكي، مفتاح العلوم،ص:423

(3) الزمخشري،،الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون التقارير في ودود التأويل، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، مكتبة العبيكان، الرياض(ط3)،(ج1)،1988،ص:126

إلا أنّ "القزويني" فقد استدرك أمرا آخر، وهو مطابقة البديع لـ "مقتضى الحال"، فهو يرى أن دور المحسنات البديعية لا تقف إلا عند حدود التنميق والتحسين والتزيين بل تتعدى إلى وظيفة لسانية متغيرة تتطور بتغير حال المتكلم أو النّاص.

فالعبارة التي أتى بها "القزويني" تنطوي على بعد تداولي قوامه الإمتثال للحيثيات السياقية الخارجة عن النسق الداخلي الشكلي للعبارة مثل مراعاة "المتلقي"، فالبديع وخاصة المعنوي —كما قسمه السكاكي- يكون فيه "المتلقي" أكثر نشاطا ومشاركة في توليد المعنى بالتأويل عن طريق العمليات الذهنية التي تنشط في مقام تلقي النص أو الخطاب، وفي هذه الحالة على "البليغ" أن يأخذ بالحسبان كل المعطيات لإنجاح العملية التواصلية؛ أي ان يكون متعاونا ومتآزرا مع المتلقي وأن يحرص على أن يسلم، كلامه أو نصه من الغموض.

ومن أنواع "البديع" التي سجلت حضورا قويا في شعر "الأمير عبد القادر الجزائري" نذكر: الجمع مع التفريق، التضمين، الإقتباس فكلها تحتاج إلى فعالية من المتلقي في إنتاج المعاني المتضمنة فيها عن طريق التأويل أو الإفتراض الذهني.

1.3 الإلــتفات:

يعد "الأصمعي" أول من أطلق عليه هذه التسمية،[1] فقد حكى عن "إسحاق الموصلي" أنّه قال: قال الأصمعي: أتعرف إلتفات يا جرير؟ قلت: وما هو فأنشدني قوله:

أتنسى إذ تــود عنا سليمى بعود بشـــامة؟ سقي الغمام

أما تراه مقبلا على شعره، إذ التفت إلى البشام فذكره فدعا له.

والإلتفات هو أحد الأساليب التي ترتبط بالسامع ومجادلة آرائه بالإنتـقال من مخاطب إلى آخر ومن أسلوب إلى أسلوب، [2] ومن أشكاله في الديوان:

[1] ينظر: عبد العزيز عتيق، علم البديع،ص:143 وأحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها،ج1،ص:295

[2] ينظر: خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، مقاربة بين التداولية والشعر،دراسة تطبيقية

الإلتفات من أسلوب الخطاب إلى أسلوب الغيبة:

يقول "الأمير": (الوافر) [1]

أَلا قل لِلتي سَلَبت فُؤَادِي وَأبْقتني أَهْيم بِكُل وَاد

الشاعر يوجه خطابه بأسلوب الأمر المباشر(قل) إلى أسلوب الغيبة وهو خبري، والغاية منه التعبير عن فظاعة المأساة التي يعيشها الشاعر، وحتى يكون أقرب من المتلقي ومؤثرا يعزز كلامه ليشركه معاناته فقد ضمن كلامه شيء من القرآن الكريم، فقوله أهيم بكل واد مأخوذ من قوله تعالى﴿أَلَمْ تَرَى أَنَّهُم فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُون﴾ [2]

2. **الإلتفات من أسلوب التكلم إلى أسلوب الغيبة:** نحو قول الشاعر: [3]

أُقَاسي الحُب مِنْ قاسي الفُؤاد وأَرْعَاه وَلا يــــــــَرْعى وِدادي

(أُرِيد حَيَاتها وتــــُـــريد قَتْلي) بهَجْر أَو بِصــــَـــــدٍّ أو بعَــاد

وأبْكيها فتَضحَك مــــــلء فيها وأَسْهر وهِي في طيــب الرِّقــاد

نلحظ إلتفاتا من أسلوب المتكلم إلى أسلوب الغائب (أقاسي، أرعاها، أريدها، أبكيها).

3. **الإلتفات من أسلوب الغيبة إلى أسلوب المتكلم:** نحو قوله (من نفس القصيدة "بنت العم)

وتهجرني بلا ذَنْــــــبٍ تَراه فَظُلْمي قَدْ رأت دُون العبـــاد

فانتقالات هذه الأساليب في قصيدة "أبنة العم" تعكس عن حالة أو توتر شعوري داخلي في نفسية الشاعر، التي بلغت رجة عظيمة من التوجع والألم، فلقد جاء الإلتفات لتأدية المعنى وإتيان الشاعر بهذه الإلية البلاغية الإلتفات، وتنويعها واستثمارها في شعره من الأسباب المؤدية إلى تأثر المتلقي حيث يختفي الضجر والملل عنده، ويأخذ به من نشاط إلى آخر، ومن وضع إلى وضع، مجددا في أحوال تلقيه له، [4] والإنتقال من أسلوب إلى آخر لا يكون عشوائيا وإنما عن قصد يبغي المتكلم

([1]) الديوان،ص:57

([2]) سورة الشعراء،الآية:225

([3]) الديوان،ص:58

([4]) ينظر: خليفة بوجادي، في اللسانيات التنداولية،ص:185

منه فائدة وغرضا مما يجعل كلامه مطبوعا بحمولة تداولية بامتياز، أليست التداولية منهجا نابعا من الفلسفة الذرائعية التي تحيل كل شيء أي الفعل والمنفعة.

2.3 الجمع مع التفريق:

ويعرفه علماء البديع بأنه "الجمع بين شيئين في حكم واحد ثم التفريق بينهما في ذلك الحكم".[1]

ومن شواهده في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾، [2] فالمعنى الأول أن الله سبحانه وتعالى جعل الليل والنهار آيتين، أي دليلين على قدرته وحكمته، والمراد بمحو آية خلقها ممحوا ضزءها، أي جعلها مظلمة كما جعل آية النهار مبصرة.على هذا جمع بين الليل والنهار في حكم واحد هو أنهما آيتان ودليلان على القدرة والحكمة، ثم فرق بينهما في ذلك الحكم من جهة أنّ الليل يكون مظلما والنهار يكون مضيئا.

ويعده "عبد الهادي بن ظافر الشهري" من الاستراتيجيات الإقناعية أو الحجاجية والتي يتحقق بها أهداف الخطاب، وهو أن يذكر المتكلم حجته في أول ثم يعود إلى تقسيمها، وتعداد أجزائها ليحافظ على قوتها الحجاجية، فكل جزء منها بمثابة دليل على دعواه.[3]

وجاء الجمع مع التفريق نحو قول الشاعر:[4]

وكَعبة حجاج الجَنابِ الذِي سَما   وَجَل فلا ركن لديه ولا حَــجر

وشتَّان مَا بيْن الحَجِيجين عِندنا!   فَهَذا لَه مُلـــك وهَذا له أجْر!

النص مجزوء من قصيدة مشهورة ومطولة عنوانها " أستاذي الصوفي"، وقالها الأمير بعد أن انقطع إلى العبادة في غار حراء بمكة المكرمة، واختار "الشيخ محمد الفاسي" المجا ور لمكة المكرمة

(1) ينظر: عبد العزيز عتيق، كتاب البديع،ص:160

(2) سورة الإسراء، الآية12:

(3) ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، إستراتيجيات الخطاب،ص:494

(4) الديوان،ص:110

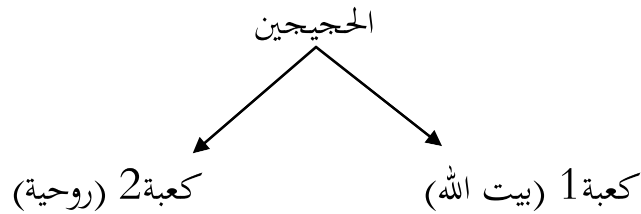
أستاذا له فأخذ عليه الطريق حتى جاءته البشرى بالرتبة الكبرى، ووقع له الفتح الرباني، فكتب من خلوته غلى حضرة أستاذه يصف بدايته ونهايته، وينفي على الله بما أولاه على يده بقوله:(الطويل) [1]

أمَسْعود! جاء السَّعد والخَير واليُسر وَولت جُيوش النَّحس ليس لهَا ذِكر

وصميم موضوع القصيدة هو شيخه، ووصف شمائله التي فاقت كل الأوصاف، فهو المولى، والمستغاث، والطريق والعدة والمآل، حتى أنه شبّهه بالكعبة يحج إليها مريدوه، فيغترفون من بحر علمه ويبددون ركام الجهل عن عقولهم، شأنهم في ذلك شأن حجيج بيت الله يكسبون الأجر والثواب.[2]

لقد جاء الجمع مع التفريق في البيت الأول حيث جمع الأمير بين صنفين من الحجاج، فالصنف الأول له كعبة وأدى مناسكه فله أجر ما أحرم وطاف وسعى ووقف، أما الصّنف الثاني من الحجيج له كعبة لكن لا طواف إفاضة لها ولا قدوم ولا ركن فيها وهنا بقصد الأمير شيخه "الفاسي" فالكعبة روحية، وينال فيها هذا الصنف من الحجيج الملك والسلطان في رحاب القدس الأعلى.

ويمكن تمثيل الصنفين كالآتي:



3.3 الإقتباس:

وهو أن يضمّن المتكلم كلامه شيئا من القرآن والحديث الشريف، على وجه لا يشعر بأنه منهما.[3] وصنّفه "الرازي" (ت:606هـ) كوجه بديعي وميّز نوعين: [4]

([1]) الديوان،ص:102 وعبدالرزاق بن سبع، الأمير عبد القادر الجزائري وأدبه،ص:33

([2]) ينظر: زكريا صيام، ديوان الأمير عبد القادر الجزائري،ص:167

([3]) محمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع،ص:350

([4]) ينظر: عبد العزيز عتيق، كتاب البديع،ص:39

- نوع لا يخرج به المقتبس عن معناه، كقول الحريري:" فلم يكن إلّا كلمح البصر أو هو أقرب حتى أنشد فأغرب" فيعقب الرازي فيقول: إنّ الحريري كنى به من شدة القرب، وكذلك هو في الآية الكريمة.

- ونوع يخرج به المقتبس عن معناه كقوله "ابن الرّومي":

لقـــد أنـــــزلت حاجاتي بواد غيـــــر ذي زرع...

فالشاعر كنى به عن الرجل الذي لا يرجى نفعه والمراد به في الآية أرض مكة، ويدرج "ضياء الدين بن الأثير"(ت:637هـ) ضمن المحسنات البديعية المعنوية وقسمه قسمين: الإقتباس من القرآن الكريم وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو يكسب حسنا وطلاوة، وقسم ثان يجري في الشعر كما يجري في النثر.[1]

ويطلق على المصطلحين "الإقتباس" و"التضمين" في الدراسات الحديثة، "التناص" وأريد به تقاطع النصوص، أو الحوار فيما بينها، وتذهب حركة التناص النقدية إلى أنّ النص المعين (المقروء) لا يمكن فهمه دون الرجوع إلى عشرات النصوص التي سبقته.[2]ومهمة استكشاف واستحضار النص منوطة بالقارئ، حيث يقوم بإضاءة العلاقة التي تربط بين النص الحاضر والغائب وفق مقتضى السياق الذي ورد فيه. وورد هذا الأسلوب البديعي في الديوان في مناسبات كثيرة وكيف لا، والأمير عبد القادر هو القارئ العارف بالقرآن، وما تعلق بالعلوم التابعة له، وقد جاء في مذكرات الأمير أنّه أخذ التفسير والحديث والفقه والنحو وأصول الدين عن والده.[3]

يقول الأمير: (الطويل)[4]

وَبالله أضْحَى عزّنا وجَمَالنا بِتَقوى وعلمّ والتَزودِ بالأُخرى

---

(1) ينظر: المرجع السابق،ص:47

(2) مختار حبار، قراءة تناصية في قصيدة الياقوتة لسيدي الشيخ(1025هـ) مجلة الحداثة، معهد اللغة العربية وآدابها، العدد01، السنة 1992،ص:59

(3) مذكرات الأمير عبد القادر، تحقيق محمد الصغير البناني وآخرون، شركة دار هومة، (ط2)، الجزائر1998،ص:40

(4) الديوان،ص:45

الإقتباس من قوله تعالى ﴿وَتزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُون يَا أُولِي الأَلْبَاب﴾ (1)

كلام الله سبحانه وتعالى	**كلام "الأمير عبد القادر**
وتزودوا	التزود بالأخرى
خير الزاد التقوى	بتقوى

نلحظ تفاعل بين الكلامين في اللفظ والمعنى، إلى حد الانسجام الدلالي والسبك، أما المعنى المضاف فيظهر في عملية تداخل الأسلوبين: المـُقْتبَس والمـُقتبِس، وهنا يكون دور المتلقي حاسما فهو الذي يستكشف النص الغائب ويستحضره وفق مقتضى السياق الذي ورد فيه.

وقد تصرّف الشاعر في موضع آخر بالنص المقتبس حين قال : (البسيط) (2)

فَمَا نَسج داود كَنَسج عَناكب ولَا الغَادة الهَيْفاء تَزْهو بِخَلخَال

يصف الخلخال وهو أسورة تليق في ساق المرأة، والبيت فيه تمثل قوله تعالى ﴿وَعَلّمْنَاه صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُم لِتُحْصِنَكُم مِنْ بـَأْسِكُم﴾ (3)

كلام الله سبحانه وتعالى	**كلام الأمير عبد القادر**
علّمناه(داود) صنعة	نسج داود

يأتي هذا التداخل ليترك تأثيرا في المتلقي، فهو –التداخل- يحتاج إلى إعمال الفكر من طريق التأويل أو من من ميكانزمات فعالة تقوم على تحقيق المقاصد والأغراض التي يتوخاها المتكلم المستخدم لهذا التداخل.

ويقول الشاعر:(البسيط) (4)

(1) سورة البقرة، الآية197

(2) الديوان،ص:63

(3) سورة الأنبياء، الآية:80

(4) الديوان،ص:75

يَا يُوسف! رُدّ لي مِن قربكم نَظرا كَـــردّه بقَميص أَنْت مُهديها

نظّم الأمير قصيدة "زكاة العلم" إجابة لـ "يوسف بدر الدين المغربي" الذي نظم قصيدة شكر فيها الأمير على شرائه دار أوقاف كان قد استوطنها "يوسف" واغتصبت منه من لدن رومي ادعى أنّه مالكها، فاشتراها الأمير، ووقفها من جديد، وسلمها للمغربي "يوسف".[1]

والبيت المعيّن مجتزأ من هذه القصيدة وفيه تمثل قوله تعالى﴿اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوه عَلَى وَجْه أَبِي يَأْتِي بَصِيرًا واتُونِي بِأَهْلِكُم أَجْمَعِين﴾ [2]

كلام الأمير عبد القادر	كلام الله سبحانه وتعالى
كرده بقميص	اذهبوا بقميصي
نظرا	يأتي بصيرا

الملاحظ أنّ "الأمير عبد القادر" قد نقل الآية الكريمة إلى سياق آخر مختلف خصّ به صديقه "يوسف المغربي" لتنسجم ألفاظها مع ألفاظ الشّاعر وتنصهر معا في قالب واحد ليأتي المتلقي ويكتشف معانيها.

4.3 التضمين:"وهو أن يضمن الشاعر كلامه شعرا من شعر الغير مع التنبيه منه".[3]

وهو مقصور على الأدب شعرا ونثرا، كلمة أو مثلا أو معنى يتناسب والكلام متضمن فيه، و"الأمير عبد القادر" مطلع على كتب الأدب ودواوين الشعر وكتب الفكر، كان يقرأها هنا وهناك، لذا نجد قراءته تتضح على كتاباته وتدل عليها دلالة صريحة أو ضمنية، ويحسن اختيار ما يسعف تصوره ووجهة نظره، ويوافق ذوقه الغني ومذهبه الفلسفي.[4]

---

(1) ينظر:الديوان،ن.ص

(2) سورة يوسف، الآية:93

(3) السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع،ص:340

(4) ينظر: محمد السيد محمد علي الوزير، الأمير عبد القادر الجزائري ثقافته وأدبه في أدبه،ص:177

ويعزز هذا المذهب الباحث "عبد الرزاق بن السبع" حيث يقول:" وحين ننتقل غلى دراسة الصورة الشعرية في بقية أغراض الديوان، فإننا نجد أنّ شاعرنا متأثرا إلى أبعد الحدود في تشكيل صوره بالقدامى في صورهم وأخيلتهم يحاكيهم فيها". [1]

ومن نماذج التضمين قول الشاعر: [2]

وَلَوْ نظر النُّدْمان خَتْم إنَائِها　　　لأسْكرهم مِـــن دُونـــها الخَتْم

وهنا ضمّن "الأمير عبد القادر" بيت "ابن الفارض" الذي سبق شاعرنا في وصف الخمرة المعنوية حين قال: [3]

فَلَوْ نَظَر الأملاك ختم إنائها　　　تَخلو عن الأمْلاك طَوعا ولا قَهْرا

سيكتشف المتلقي بعدا صوفيا لشخصية "الأمير"، وخاصة عندما يتعلق الأمر بالخمرة، لأنّها موضوع أساسي في القصيدة الصوفية، والسكر عند الصوفية آخر مقامات التجلي بعد الذوق والشرب والري، و"الأمير" قد "وصل وشرب، وعرف من الأسرار ما يعجز الملوك عن معرفتها". [4]

ويضمّن الشاعر شِعر "أبي نواس" فيقول: (الطويل) [5]

وَيُسْكِرهم ورق الحمائم في الدجى　　　تظُنُّ لهم سِحْرًا وليْس بهِم سحر

ويقول "أبو نواس": [6]

فَجاءت بِه كَالغُصْن يَهـــتزّ درقه　　　تخَال بِه سِحرا ولَيْـــس به سحْر

والظاهر أن الشاعر وظف عجز بيت "أبي نواس" في سياق غير السياق الذي عهدناه عند هذا الأخير والمتمثل في فعل الخمرة المادية، فهي عنده تغشي صاحبها، وتعطل فعل التمييز واستثمار نور العقل، أمّا عند الأمير فهي مرحلة أقرب من الدخول في الحضرة الإلهية، وتوظيف الشاعر

---

(1) عبد الرزاق بن السبع، الأمير عبد القادر وأدبه،ص:319

(2) ابن الفارض عمر بن الحسين، الديوان، شرح وتقديم مهدي محمد ناصر الدين، بيروت،لبنان، دار الكتاب العلمية،2002م،ص:189

(3) الديوان،ص:115

(4) فؤاد سيد صالح، الأمير عبد القادر الجزائري متصوفا وشاعرا، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر (د.ط)1985ص:232

(5) الديوان،ص:112

(6) أبو نواس، الديوان، تحقيق، شرح وتفسير وتحقيق خليل قهوجي، دار الجيل، بيروت، (ط.جديدة) ،2003،ص:145

للتضمين جاء لاستمالة المتلقي والتأثير فيه، وهو ما يصب في خانة الحجاج، بمعنى أن التضمين يطعم البنيات اللغوية بمستويات حجاجية في بعض جوانبها وتمظهراتها.

بالإضافة إلى هذه المحسنات البديعية السالف ذكرها، نلفي أساليب اخرى ضمّنها الديوان، كالتورية، المبالغة وتشابه الأطراف والمذهب الكلامي...، فهي تقوم على أبعاد تداولية قوامها الأثر البالغ الذي يحدثه في المتلقي الذي يكون مشاركا فعالا في إنتاج المعنى، وفق ما صاغه "غرايس" في تنظيراته "مبدأ التعاون" الذي يولي اهتماما بحيثيات السياق المقامي لتحديد المعنى.

خاتـــــــمة

خاتمـــة:

وفي ختام هذه الدراسة يمكن أن نسجّل النتائج التالية:

- يُميّز في مسار اللسانيات الحديثة مرحلتين: **الأولى** ومثلتها مجموعة من التيارات والمناهج النقدية تبنّت جملة من المفاهيم والتّصورات التي وضعها "فردينان دي سوسير"، وكانت سببا في صياغة مشروعه البنيوي، و على رأس هذه التّيارات المدرسة الشكلانية و "الجلوسيماتيكية"، وأُطلق على هذه المرحلة مرحلة "اللسانيات البنيوية"، و**الثانية** بدأت بظهور "النظرية التوليدية التحويلية"، وتيّارات أخرى عكفت على مقاربة النظام اللغوي في سياقه التواصلي كـ "اللسانيات النّصية" و"النحو الوظيفي"، وأطلق على هذه المرحلة مرحلة "اللّسانيّات ما بعد البنيوية".

- شهدت مرحلة خمسينيات القرن الماضي تحوّلا في الدرس اللغوي حينما ظهرت النظرية التوليدية التحويلية على يد اللغوي "نعوم تشومسكي" ، الذي استطاع أن ينقل البحث اللساني من منهج يتوفى معطيات علم النّفس السلوكي إلى منهج عقلي همّه استكشاف القدرة الكامنة وراء الحدث اللساني، والسّعي من أجل تعليله وتفسيره بدلا من وصفه وصفا شكليا.

- استطاع النحو الوظيفي أن يصف اللغات الطبيعية في إطارها من وجهة نظر وظيفية، وأعاد صياغة مفهوم ثنائية (الكفاية/الأداء)، فكفاءة المتكلّم حسب منظور النحو الوظيفي الكفاءة التواصلية التي تمكن من الإنجاز في طبقات مقاميّة محدّدة، وقصد تحقيق أهداف تواصلية محّددة.

- جاءت لسانية النص لتدرس أبنية النصوص ضمن تأثيرات وظائفها، واستندت إلى مفاهيم أهمّها أنّ الخطاب هو كلام تجاوز الجملة الواحدة سواء كان مكتوبا أم ملفوظا إلى تراكيب أو وحدات أكبر من الجملة.

- أعادت الفلسفة التحليلية النظر في الدور الذي تؤديه اللغة، فهي ليست مجرد وسيلة، بل هدفا من أهداف البحث الفسلفي، فالتحليل الفسلفي للغة يضمن بلوغ التفسير الفسلفي للفكر.

- اختلفت رؤى الفلاسفة في التعامل مع اللغة، فعند أصحاب "الإتّجاه الوضعي المنطقي"، اللغة الجديرة بالتحليل هي اللغة المثالية، لأنّ اللغة العادية تنطوي على قصور يجعلها خاطئة، أمّا "الظاهرتيين"، فقد أهملوا الجانب الإستعمالي لها، في حين اهتمّ "فلاسفة اللغة العادية" به ، فكانت مقاصد المتكلم وعلاقته باللغة من أهم محاور الدراسة عندهم.

- تعكس تعاريف التداولية التنوع المعرفي الذي نشأ فيه الفكر التداولي، وتشكِّل محاورها كالأفعال الكلامية ونظرية الإستلزام الحواري ونظرية الملاءمة والإفتراض المسبق، والإشاريات والنظرية الحجاجية شبكة تحليل يعتمدها الدرس التداولي.

- يظهر مفهوم التواصل عند اللسانيين من خلال وقوفهم عند الدور الذي تؤديه اللغة في المجتمع، فهو ضرب من الحدث الإجتماعي في نظر "دي سوسير" يقوم على عنصرين (الباث/المتلقي)، ويصفه "ياكبسون" عند تحديده لوظائف اللغة وإسنادها إلى العناصر المكونة للعملية التواصلية (المرسل، المرسل إليه، الرسالة، السياق، السنن).

- تختلف نظرة "أوريكيشيوني" و"بوتيي" عن سابقيهم بتجاوزهما نموذج "السّنن" إلى نموذج "الإستدلال" الذي يضمّ مختلف عناصر العملية التواصلية لسانية وغير لسانية، أمّا مع "هابرماس" تتبلور نظرية فلسفية جديدة للتواصل، حيث جعل الإفهام والتأثير من الشروط الأساسية لإنجاح العملية التواصلية، ويتوقف نجاح التواصل عند "فان ديك" على تظافر جملة من الأبعاد المختلفة، كالبعد العلاقي والبعد التوجيهي والبعد الإخباري والبعد الإستشاري.

- تختلف رؤى علماء العرب في دراسة التواصل باختلاف انتماءاتهم الفكرية، فمنهم لا تتجاوز دراسته حدود الترجمة الحرفية للدراسات الغربية كما هو الحال عند "عمر مهيبل"، ومنهم من حاول أن يزاوج بين التراث والمعاصرة من مثل دراسات "عبد المالك مرتاض" و"عبد الرحمان حاج صالح" و"طه عبد الرحمان".

- جاءت الكفاية التواصلية لتسدّ ثغرات النظرية التوليدية التحويلية التي اكتفت بالمنظومة النحوية واستبعدت الأنظمة الأخرى، ممّا جعلها عاجزة عن تقديم التفسير الكافي للكفاية أو القدرة الضمنية التي يمتلكها المتكلم، لذا ألحّ الوظيفيّون على إعادة النظر بمضمون هذه النظرية والأخذ بعين الإعتبار العناصر غير اللغوية كالظروف، وملابسات اللغة، أو سياق الموقف، أو حال الأشخاص وطبيعتهم والعلاقة بينهم، وطبيعة الموضوع، والزمن والأفعال المصاحبة للكلام.

- حاول الوظيفيّون تقديم الوصف والتّفسير الكافي للمادة اللّغوية من خلال ثلاث كفايات:

الكفاية التداولية : يحاول الوظيفيون من خلالها استكشاف خصائص العبارة اللغوية المرتبطة بكيفية استعمال هذه العبارات؛ أي لا ينظر إليها على أنّها مجرد موضوعات منعزلة بل على أساس أنّها وسائل يستخدمها المتكلم لإبلاغ معنى معيّن، في إطار سياق تحدده العبارات السابقة.

الكفاية النّفسية : سعيا لإحراز الكفاية النفسيّة انطلق الوظيفيون في معالجة المادة اللغوية، بعكس ثنائية (الإنتاج/الفهم)، أو من القصد إلى النّطق مرورا بالصياغة.

الكفاية النّمطية : يحاول الوظيفيّون من خلالها وصف خصائص أكثر عدد من اللغات على أساس معايير معيّنة، كمعيار الرّتبة، معيار التغليب ومعيار الإنعكاس البنيوي.

- يستحضر الأمير عبد القادر في نصوصه الشعرية الأطراف المتخاطبة، "الأنا" (الشاعر) "الهو" (الزوجة، الصديق، الشيخ، الآخر)، ويربطها بسياقها ممّا يكسب هذه النصوص أبعادا تخاطبية أو تداولية.

- تظهر تداولية اختيار الصيغ الصرفية حينما تُربط بالسياق أو الموقف العام ، وحينما يراعى قصدية المتكلم.

- اختيار المتكلم ألفاظا أو صيغا لتراكيبه اللغوية في نظر علماء اللغة العرب، يأتي عن قصد، وهو مبدأ ركّز عليه التداوليّون حينما ربطوا التراكيب اللغوية بالقصد العام من الكلام.

- ربط الصيغ الصرفية المختارة بمقام وظروف الخطاب، وملابساته لتؤدّي وظيفة تواصلية محددة من التنظيرات الحديثة التي أقرّتها اللسانيات التداولية، والتي تعمل على دراسة اللغة في ضوء الإستعمال .

- يتوقّف نجاح العملية التواصلية على اختيار المتكلم من معاجمه الخاصّة صيغا متّسِقة ومنسجمة في تراكيبه اللغوية مع المفردات الأخرى، ليعبّر بها عن وظيفة تواصلية من أجل إقناع السامع أو المتلقي بأفكاره أو للتعبير عن شعور.

- إنّ اهتمام النّحاة بقصد المتكلم وعلم المخاطب وتسييق الكلام في تقعيداتهم وتوجيهاتهم للمسائل النّحوية لصيغ الكلام لا يختلف عن توجهات الدرس اللغوي الحديث، وخاصة اللسانيات التداولية التي جعلت من هذه العناصر شروطا أساسية لنجاح الملفوظ.

- ظاهرة التقديم والتأخير نابعة من اهتمام وقصد المتكلم وما يريده من إيصال المعنى إلى المخاطب، فقد يكون التقديم للتخصيص أو لتوجيه العناية والإهتمام أو النفي.

- للمتكلم دور مهم في صياغة التراكيب، فتشكيلاته وتلويناته الصوتية تعبّر عن معاني نحوية كثيرة.

- يستخدم المتكلم التوّكيد عن قصد لتقوية كلامه وتثبيته ليدفع الظّن والغفلة عن السّامع.

- عالج النحاة ظاهرة التعريف والتنكير بعلم المخاطب، فالمتكلم يعمد إلى تعريف الأسماء أو تنكيرها، لتوصيل معنى رسالته دون لبس أو غموض.

- يلجأ المتكلم إلى اقتطاع بعض الحروف من الكلمة شريطة أن يعلم السّامع غرض المتكلم ويبقي من الكلمة ما يدلّ عليها.

- يعتمد النحاة في توجيه الحالات الإعرابية على قصد المتكلم الذي يسعى إلى توضيح غرضه وفق قدرة المخاطَب أو مراعاة حاله.

- رعى النحاة السياق بشقيه اللغوي والحالي في توجيهاتهم للمسائل النحوية لإدراكهم أنّ المعنى لا ينكشف إلّا من خلال وضع الكلام في إطاره الزماني والمكاني أو الإجتماعي.

- تتنوع الأفعال الكلامية الإنشائية والخبرية بين الإنجازية المباشرة والإنجازية غير المباشرة، فالأولى تطابق مراد قول المتكلم (الشاعر) أي توافق بين التركيب والوظيفة التواصلية، والثانية تخالف مراده.

- يرتبط التكرار بجوهر النظرية الحجاجية، يوظفه المتكلم (الشاعر) ليلفت انتباه المتلقي، ويأخذ بيده وذهنه نحو الإذعان والتسليم بالحقائق.

- يعمد المتكلم (الشاعر) إلى الفصل بين العبارات أو الجمل من أجل عدم الوقوع في اللبس والغموض، وهو مبدأ تداولي أقرّته تنظيرات "غرايس" وبالضبط في "المسلّمة المناسبة" التي توحي باستخدام عبارات واضحة لا لبس فيها.

- الحذف أو الإيجاز من الآليات البلاغية يستخدمها البليغ (الشاعر) لافتراضه أن للمتلقي كفاءة تداولية (Compétence Pragmatique) تؤهله من إدراك موضع الحذف انطلاقا من استدلالات قائمة على استثمار معطيات السياق وملابسات المقام.

- يستخدم البليغ (الشاعر) صورا شعرية كالتشبيه والإستعارة والكناية لإيصال معنى معيّن:

التشبيه: ويصل المتلقي إلى معناه إلّا من خلال عمليات ذهنية استدلالية يقوم بها لغرض الوصول إلى القصدية: التي حظيت بدروس مستفيضة من الباحثيْن "سيرل" و"غرايس".

الإستعارة: ويستعملها البليغ (الشاعر) لينفي القول أو يثبته ويحمل السامع التّمعن فيها، فهي تنطوي على بعد حجاجي نحو إقامة واقع جديد يفضي إلى التأثير على المتلقي.

الكناية: وتأتي لإثبات المعنى واستخدامها من طرف الشّاعر دليل على امتلاكه قدرة تواصلية أو كفاءة تداولية تتأقلم مع مختلف السياقات والأطر التواصلية المختلفة.

- يوظف البليغ (الشاعر) المحسنات البديعية كالإلتفات والتضمين والإقتباس والجمع والتفريق لاستمالة المتلقي والتأثير فيه وهو ما يصب في خانة الحجاج أو التداولية من الدرجة الثانية .

- تقوم المحسّنات البديعية على أبعاد تداولية قوامها الأثر البالغ الذي يحدثه البليغ (الشاعر) في المتلقي، ويكون هذا الأخير مشاركا في إنتاج المعنى وفق ما صاغه "غرايس" في تنظيراته "مبدأ التعاون".

عيسى بربار

برج بـــوعريريج

فهرس الآيات القرآنيــة

الآية الكريمة	السّورة	الرّقم	الصّفحة
﴿بّدِيعُ السّمّاوّاتِ والارْضِ ۖ وإذا قَضَى أمْرا فإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن ۖ فَيَكُونُ﴾	البقرة	117	233
﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ ۖ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ۖ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ ۖ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى ۖ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ۖ﴾	البقرة	197	240
﴿ لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُومِنُونَ يُومِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ ۖ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُوتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُومِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۖ أُولَئِكَ سَنُوتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ۖ﴾	النساء	162	175
﴿ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍص وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾	الأنعام	101	233
﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَاوِيلَهُ ۖ يَوْمَ يَأْتِي تَاوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ۖ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ۖ﴾	الأعراف	53	206

241	93	يوسف	﴿اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَاتِ بَصِيرًا ۖ وَاتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ۖ﴾
162	91	النحل	﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ ۖ وَلَا تَنْقُضُوا الْايْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۖ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ۖ﴾
237	12	الإسراء	﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ۖ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا ۖ﴾
119	05	الكهف	﴿ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ ۖ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ افْوَاهِهِمْ ۖ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ۖ﴾
240	80	الأنبياء	﴿ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِيُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ انْتُمْ شَاكِرُونَ ۖ﴾
206	102	الشعراء	﴿ فَلَوْ انَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُومِنِينَ ۖ ﴾
206	225	الشعراء	﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ۖ ﴾

﴿ اَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ اشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ ۚ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يسيرا ﴾	الأحزاب	19	181
﴿ وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴾	ص	06	129
﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ ۖ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ۖ ﴾	المنافقون	01	186
﴿ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴾	المسد	04	174

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم: رواية ورش عن نافع

المراجع باللغة العربية:

1.**إبراهيم قلاتي**، قضية الإعراب، دار الهدى، الجزائر،(ط1)،2000.

2. **ابن جني**، المنصف، شرح كتاب التصريف للإمام ابن عثمان المازني النحوي البصري، تحقيق لجنة من الأساتذة، مطبعة مصطفى الباي الجلي وأولاده، مصر، القاهرة،(ط1)1954.

– الخصائص، تحقيق: محمد علي النّجار، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت،لبنان،(ط2)،(د.ت).

3. **ابن عقيل العقيلي**، شرح ابن عقيل، تح حنا فاخوري، دار الجيل، بيروت لبنان، 1998.

4. **ابن فارس**، معجم مقاييس اللغة تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون، دار الجبل (ط1)،1991.

5. **ابن الفارض عمر بن الحسين**، الديوان، شرح وتقديم مهدي محمد ناصر الدين، بيروت،لبنان، دار الكتاب العلمية،2002.

6. **ابن منظور**، لسان العرب، دار صادر، بيروت لبنان تحقيق عامر أحمد حيدر ومراجعة عبد المنعم خليل ابراهيم (ط3) 1999.

7. **ابن مالك**، تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، تح: محمد كامل بركات، دار الكتاب العربي، القاهرة، مصر،(ط1)،1967

8. **ابن هشام**، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (ط2)،2003.

9. **أبو أوس ابراهيم الشمسان**، أبنية الفعل، دلالتها وعلاقاتها، دار المدينة، جدة، المملكة العربية السعودية،(ط1)،1987.

10. **أبو سعيد السيرافي**، شرح كتاب سيبويه، تحقيق أحمد منى مهدي وعلي سيد علي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان،(ط1)،2008.

11. **أبو نواس**، الديوان، تحقيق، شرح وتفسير وتحقيق خليل قهوجي، دار الجيل، بيروت، (ط.جديدة) ،2003

12. **أبو هلال العسكري**، الصناعتين، الكتابة والشعر، تح:علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل، المكتبة العصرية، بيروت، (ط1)،2006.

13. **أحمد خطابي**،لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، (ط1)،1991.

14. **أحمد المتوكل**: دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، دار الثقافة للنشر ، الدار البيضاء، المغرب (ط1) 1986.

– الخطاب، خصائص اللغة العربية، دراسة في الوظيفة والبنية والنمط،،دار العربية للعلوم ناشرون، بيروت،لبنان ومنشورات الإختلاف، الجزائر(ط1) ،2010.

– اللسانيات الوظيفية المقارنة، دراسة في التنميط والتطور، دار العربية للعلوم ناشرون، (ط1) الرباط، المغرب،2012.

– المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي، الأصول والامتداد، دار الإيمان، الرباط المغرب(ط2)،2006.

- الوظائف التداولية في اللغة العربية، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر،(ط1)،1985.

- الوظيفة والبنية، مقاربات وظيفية لبعض قضايا التركيب في اللغة العربية، منشورات عكاظ، الرباط،1993.

- مسائل النحو العربي في قضايا نحو الخطاب الوظيفي،دار الكتاب الجديدة المتحدة،(ط1)،2009.

15. **أحمد الهاشمي**، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع،ضبط وتدقيق: يوسف الصميلي، المكتبة العصرية(ط1) بيروت،1999.

16. **أحمد مطلوب**، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، مطبعة المعجم العلمي العراقي،1983.

17. **أحمد موساوي**، مكانة المنطق في الفلسفة التحليلية المعاصرة سلسلة دراسات منطقية معاصرة، معهد المناهج الجزائر،(ط2)،2007.

18. **أحمد مومن**، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر،(ط2)،2002.

19. **الأستراباذي**، شرح كافية ابن حاجب، ديوان المطبوعات الجامعية، بيروت، لبنان،(د.ط)،1995.

20. **إسماعيل بن كثير الدمشقي**، تحقيق مصطفى السيد محمد ، ومحمد فضل العجماوي، محمد سيد رشاد، وعلي أحمد عبد الباقي، مؤسسة قرطبة، الجبزة مصر،(ط1)،2000.

21. **أمين يوسف عودة**، تأويل الشعر وفلسفته عند الصوفية، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، أربد، الأردن،(ط1)،2008.

22. **بان الخفاجي**، مراعاة المخاطب في النحو العربي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،(ط1)، 2008.

23. **بدوي طبانة**، البيان العربي، دار المنار، جدة ودار الرفعي الرياض،(ط7)،1998.

24. **بديعة الحسن الجزائري** ،الأمير عبد القادر،حقائق ووثائق،دار المعرفة، الجزائر، (د.ط)(د.ت)

25. **تمام حسان**، اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب، القاهرة(ط3)،1998.

- مناهج البحث في اللغة، دار الثقافة، دار البيضاء، المغرب،(ط2)،1974.

26. **توفيق الفيل**، بلاغة التراكيب، دراسة في علم المعاني، القاهرة، مطبعة العمرانية للأوفست،(د.ط)،1991.

27. **جان سيرفوتي**، الملفوظية "دراسة"، ترجمة قاسم مقداد، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق 1998.

28. **الجرجاني الشريف محمد بن علي بن علي**،كتاب التعريفات، مع فهرست التعريفات والمصطلحات اللغوية والفقهية والفلسفية، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ناشرون، 1985

29. **جورج يول**، معرفة اللغة، تر:محمد فراج عبد الحافظ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر،مصر،1993.

30. **جون أوستين**، نظرية أفعال الكلام العامة، ترجمة عبد القادر قنيني، ،الدار البيضاء، إفريقيا الشمالية،(ط1)،1991.

31. **جوناثـــان كلـــر**، الشـــعرية البنيويـــة، ت:ســـيد إمـــام، دار الشـــرقيات للنشـــر، القاهرة، مصر،(ط1)،2000.

32. **جون هرمان وبوخلر جوتساو**، مدخل الى الفلسفة، ترجمة:ملحم قربان، دار العلم للملايين، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، بيروت، لبنان،(د.ط)،1963.

33. **جيلالي دلاش**، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ترجمة محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، (د.ت).

34. **حسام أحمد قاسم**، تحويلات الطلب ومحددات الدلالة، دار الآفاق العربية، القاهرة، مصر،(ط1)،2007.

35. **حمادي صمود**، التفكير البلاغي عند العرب، أسسه وتطوره إلى القرن السادس، منشورات الجامعة التونسية،1981.

36. **خامي خليل**، اللغة والطفل، دراسة في ضوء علم اللغة النفسي، دار النهضة العربية، (ط1)، بيروت، لبنان،1986.

37. **خديجة الحديثي**، أبنية الصرف في كتاب سيبويه، منشورات مكتبة النهضة، بغداد العراق،(ط1)، 1965.

38. **الخطابي أبو سليمان بن محمد إبراهيم**، إعجاز القرآن، تحقيق محمد خلف الله أحمد ومحمد زغلول،دار المعارف (ط3)(د.ت).

39. **خطيب القزويني**، الإيضاح في علوم البلاغة، المعاني والبيان والبديع، وضع حواشيه ابراهيم شمس الدين، دار الكتب القبلية، بيروت،لبنان،(ط1)،2003.

40. **خليفة بوجادي**: في اللسانيات التداولية مقاربة بين التداولية والشعر دراسة تطبيقية، بيت الحكمة، 2012.

– في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، ط1،2009.

41. **الخليل بن أحمد الفراهيدي**، كتاب العين، تحقيق مهدي المخزومي، دار الرشيد، بغداد، 1980.

42. **ذهيبة حمو الحاج**، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع،2005.

43. **رابح بوحوش**، المناهج النقدية وخصائص الخطاب اللساني، دار العلوم الجزائر، (ط1)،2008.

44. **رمضان عبد التواب**، مدخل الى علم اللغة و مناهج البحث، مكتبة الخانجي، القاهرة، (ط3)، 1997.

45. **روبن مارتن**، في سبيل للمعنى، ترجمة وتقديم الطيب بكوش وصالح الماجري، منظمة العربية للترجمة بيروت لبنان(ط1)،2000.

46. **الزركشي**، البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبي الفضل ابراهيم، دار الجيل، بيروت، لبنان،1988.

47. **زكريا صيام**، ديوان الأمير عبد القادر الجزائري، تحقيق وشرح وتعليق، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1998.

48. **زكريا ميشال**، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية) المؤسسة الإجتماعية للدراسات والنشر والتوزيع،(ط1) بيروت لبنان، 1982.

49. **الزمخشري**، أساس البلاغة ، تحقيق عبد الرحيم محمود، عرف به أمين الخولي، دار المعرفة والنشر بيروت، لبنان، 1982.

- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون التقارير في ودود التأويل، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، مكتبة العبيكان، الرياض(ط3)، 1988.

50. **الزواوي بغورة**، الفلسفة واللغة، نقد المنطق اللغوي في الفلسفة المعاصرة، دار الطليعة للطباعة والنشر،(ط1)،بيروت،2005.

51. **سامية دريدي**، الحجاج في الشعر العربي القديم، من الجاهلية الى القرن الثاني هجري، عالم الكتب، دار الحديث، أريد،الأردن(ط1)،2008.

52. **سعاد الحكيم**، ابن عربي ومولد لغة جديدة، بيروت، دندرة للطباعة والنشر،1991.

53. **سعيد توفيق**، دراسة في فلسفة الجمال الظاهرتية المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع،بيروت لبنان،(ط1)،1992.

54. **سعيد بحيري**، دراسات تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، مكتبة الآداب، القاهرة (ط1)،2005.

- مناهج علم اللغة من هرمان باول حتى نعوم تشومسكي، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر،(ط1)،2004

55. **سعيد البحيري**، عناصر النظرية النحوية في كتاب سيبويه، المكتبة الأنجلومصرية،(ط1) القاهرة، مصر،1981.

56. **سعودي أبو زيد**، في تداولية الخطاب الأدبي بيت الحكمة للنشر والتوزيع، العلمة، الجزائر،(ط1)،2009.

57. **السكاكي**، مفتاح العلوم، مطبعة مصطفى بابي الحلبيي وأولاده،(ط2) مصر،1990.

58. **السيوطي،** الإتقان في علوم القرآن، تحقيق:أحمد الزمرلي، دار الكتاب العربي، بيروت،لبنان،(ط1)،2003.

59. **شوقي ضيف الدين،** المدارس النحوية، دار المعارف مصر،(ط2)، 1972.

– البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف، القاهرة، (ط6)،(د.ت).

60. **صابر الحباشة،** التداولية والحجاج، صفحات، دمشق، سوريا،(ط1)، 2006.

61. **صلاح إسماعيل عبد الحق،** نظرية المعنى في فلسفة "بول غرايس" الدار المصرية السعودية للطباعة، القاهرة، مصر، (ط1)،2005.

– التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت لبنان،(ط1)،1993.

– فلسفة العقل، دراسة في فلسفة جون سيرل، دار قباء الحديثة والنشر والتوزيع القاهرة، 2007.

62. **طالب سيد هشام الطبطباني**،نظرية الافعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين، مطبوعات جامعة الكويت، 1994.

63. **طه عبد الرحمان،** تجديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب (ط3)، 2007.

– اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب،(ط1)، 1998.

– في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي،دار البيضاء،المغرب،(ط2)،2000.

64. **الطاهر بومزبر**، التواصل اللساني والشعرية (مقاربة تحليلية رومان جاكبسون)، الدار العربية للعلوم، ناشرون،بيروت، (ط1)،2007.

65. **الطيب دبة** ، مبادئ في اللسانيات البنيوية، جمعية الأدب للأساتذة الباحثين، دار القصبة للنشر الجزائر،2001.

66. **عادل مصطفى**، مدخل إلى الهرمونيطيقا، منشورات دار النهضة العربية،بيروت، لبنان(ط1)، 2003.

67. **عباس حسن**، النحو الواقي، دار المعارف،مصر،(ط3)،(دت).

68. **عبد الباقي مفتاح**، الأمير عبد القادر، المواقف في الوعظ والإرشاد، الجزائر، دار الهدى،(ط1)،2005.

69. **عبد الجليل مرتاض**، اللغة والتواصل، دار هومَة، الجزائر،(ط1)،2003.

70. **عبد الحميد مصطفى السيّد**، دراسات في اللسانيات العربية، بنية الجملة العربية، التراكيب النحوية والتداولية، علم النحو وعلم المعاني،دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان، الأردن،(ط1)2003.

71. **عبد الرزاق بن سبع**، الأمير عبد القادر وأدبه، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري،أوت،(ط1)،2006.

72. **عبد السلام عشير**، عندما نتواصل نغير، مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج،المغرب(ط1)2003.

73. **عبد السلام هارون**، الأساليب الإنشائية في النحو العربي، مكتبة الخانجي،(ط5)،2001 ،

74. **أبو سليمان بن محمد إبراهيم،** إعجاز القرآن، تحقيق محمد خلف الله أحمد ومحمد زغلول،دار المعارف (ط3)(د.ت)

75. **عبد العزيز عتيق،** علم البديع، دار النهضة العربية، بيروت لبنان (د.ط) (د.ت).

– علم المعاني، دار النهضة العربية،بيروت،1985.

76. **عبد القادر الفاسي الفهري،** اللسانيات واللغة العربية نماذج تركيبية دلالية، دار توبقال للنشر، الرباط المغرب، 2008.

77. **عبد القاهر الجرجاني،** أسرار البلاغة في علم البيان، تصحيح محمد عبده، تعليق محمد رشيد رضا، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان،(د.ت).

– دلائل الإعجاز، تصحيح محمد عبده، تعليق محمد رشيد رضا، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1994.

– المفتاح في الصرف، تحقيق علي أحمد، مؤسسة الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، 1981.

78. **عبد الكريم غريب وعبد الكريم فليو،** التعلم والإكتساب، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء،(ط1)،2001.

79. **عبد الله صولة،** الحجاج في القرآن خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي، بيروت،لبنان،(ط2)،2002.

80. **عبد المتعال الصعيدي،** البلاغة العالية، القاهرة،مصر،(د.ت).

81. **عبد الهادي الفضلي،** مختصر الصرف، دار القلم، بيروت، لبنان (د.ط)(د.ت).

82. **عثمان موافي،** دراسات في النقد العربي، دار المعرفة، الإسكندرية، مصر،2000.

83. **عطا محمد الموسى**، مناهج الدرس النحوي في العالم العربي في القرن العشرين، دار الإسراء للنشر والتوزيع، الأردن،(ط1)، 2002.

84. **علي محمود حجي الصراف**، في البراجماتية، الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة،دراسة دلالية ومعجم سياقي، مكتبة الآداب، القاهرة،(ط1) ،2010.

85. **عمر بلخير**، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، منشورات الاختلاف، الطبعة(1)،2003.

86. **عمر مهيبل**، إشكالية التواصل في الفلسفة الغربية المعاصرة، الدار العربية للعلوم بيروت،2005.

87. **عبد الهادي بن ظافر الشهري**، استراتيجات الخطاب، مقاربة لغوية تدولية، دار الكتاب الجديدة، بيروت، لبنان،(ط1)،2004.

88. **الفارض، عمر بن الحسين**، الديوان، شرح وتقديم مهدي محمد ناصر الدين، بيروت، لبنان، دار الكتاب العلمية،(ط3)،2002.

89. **فاطمة الطّبال بركة** ، الأنظرية الألسنية عند رومان جاكبسون – دراسة ونصوص- المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، (ط1)،1993.

90. **فان ديك**، المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي الأصول والإمتداد، دار الأمان،الرباط، المغرب،(ط1)،2005.

- النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي،تر:عبد القادر قنيني، افريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب،(ط1)،2000.

91. **فرانسواز أرمينكو**، المقاربة التداولية، ترجمة سعيد علوش، المؤسسة الحديثة للنشر والتوزيع، سوريا، (ط1)،1997.

92. .

93. **فرديناد دي سويسر**، محاضرات في الألسنية العامة، تر. يوسف غازي نصر، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر،1986.

94. **فولف نجهاتيه ودتير فيهفيج**، مدخل إلى علم اللغة النصي، ت/د فالح العجمي،النشر العالمي والمطابع، جامعة الملك سغود،السعودية،(د.ط)،1999

95. **صلاح فضل**، البنائية في النقد الأدبي، دار الشروق، القاهرة (ط1)،1998.

– بلاغة وخطاب وعلم النص، الشركة المصرية العالمية، لونجمان، القاهرة، مصر،(ط1)،1996.

96. **فريد عوض حيدر**، علم الدلالة، دراسة نظرية وتطبيقية القاهرة، (ط1) 2005.

97. **فؤاد سيد صالح**، الأمير عبد القادر الجزائري متصوفا وشاعرا، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،(د.ط)،1985.

98. **قدور رحماني**، أوراق حول الشعر والتصوف، البديع للنشر والخدمات الإعلامية، الجزائر،(ط1)، 2008.

99. **كلاوس برينكر**، التحليل اللغوي للنص، مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج ت سعيد بحيري، مؤسسة المختار للنشر، القاهرة (ط1)،2005.

100. **كلاوس هيشن**، القضايا الأساسية في علم اللغة،ت:سعيد بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع القاهرة،(ط1)،2003.

101. **المبرد أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الأطردي**، المقتضب، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت،(د.ط)،(د.ت).

102. **مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي**، قاموس المحيط، ضبط و توثيق محمد البقاعي، دار الفكر للطباعة و النشر والتوزيع، بيروت، لبنان،(د.ط)2005، .

103. **محمد أبو موسى**، دلالات التركيب، دراسة بلاغية مكتبة وهبة، القاهرة، (ط2)،1987.

104. **محمد السيد محمد علي الوزير**، الأمير عبد القادر الجزائري، ثقافته وأدبه، مطبعة الشعب للجيش،(ط2)،2007.

105. **محمد الصغير البناني**، مذكرات الأمير عبد القادر، شركة دار هومة، (ط2)، الجزائر،1998.

106. **محمد بلخير**، تحليل الخطاب السردي في ضوء نظرية التداولية، منشورات الاختلاف في الجزائر،(ط1)،2003.

107. **محمد بن صالح العثيمين**، شرح المقدمة الأجرومية، لأبي عبد الله بن محمد داود الصنهاجي المعروف بابن أجروم، دار الإمام مالك للكتاب،(ط2)، 2010.

108. **محمد عبد الغني الشيخ**، النثر الفني في العصر العبّاسي الأول، اتجاهاته وتطوره،ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر،(ط1)،1983.

109. **محمد عطا موسى**، مناهج الدرس النحوي، دار الاسراء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن(ط1)،2002.

110. **محمد العمري**، البلاغة العربية، أصولها وامتدادها، إفريقيا الشرق، المغرب،1999.

111. **محمد محمد يونس علي**، المعنى وظلال المعنى، أنظمة الدلالة العربية، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان،(ط2)،2007.

- مدخل إلى اللسانيات، دار الكتاب الجديد، بيروت(ط1)2004.

112. **محمد نظيف**، الحوار وخصائص التفاعل التواصلي، إفريقيا الشرق، المغرب،(ط1)،2009.

113. **محمد ولد مختار ولد أباه**، تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب، ، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان،(ط2)، 2008.

114. **محمود أحمد نحلة**، آفاق جديدية في البحث اللغوي المنعاصر، دار المعرفة الجامعية،مصر،(د.ط)،2002.

- التعريف والتنكير بين الدلالة والشكل،دار التوني للطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر،(ط1)،1997.

115. **محمود سليمان ياقوت**، النحو التعليمي والتطبيق في القرآن الكريم، ، كلية الآداب، جامعة الكويت، مكتبة المنار الإسلامية،(ط1)،1996.

116. **مسعود صحراوي**، التداولية عند العلماء العرب ،دراسة تداولية لظاهرة الافعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار التنوير للنشر والتوزيع، الجزائر،(ط1)،2008.

117. **مصطفى الغلاييني**، جامع الدروس العربية، ت:أحمد زهوة، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان،(ط1) ،2009.

118. **مصطفى المراغي**، علوم البلاغة، بيروت، لبنان(د.ط)(د.ت).

119. **مكي درّار**، المجمل في المباحث الصوتية من الآثار العربية، دار الغرب للنشر، وهران،الجزائر،(ط1)،2008.

120. **ميجان الرويلي وسعد البازعي**، دليل الناقد الأدبي، مركز الثقافة العربي،دار البيضاء، المغرب،(ط3)،2002.

121. **نايف خرما**، أضواء على الدراسات اللغوية، سلسلة عالم المعرفة، الكويت (ط1)، 2000.

122. **نور الدين إقاية**، الحداثة والتواصل، بيروت،لبنان،(ط1)،1991.

123. **هادي نهر**، الصرف الوافي، مطابع التعليم العالي، الجامعة المستنصرية،(ط1)1889.

124. **يحيى بن شرف الدين النووي**، شرح متن الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية، مكتبة دار الفتح، دمشق، سوريا،(ط4)،1984.

125. **يحيى بوعزيز**، الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري، سيرته الذاتية وجهاده، دار ابن خلدون للنشر، تلمسان،(ط2)، 2002.

126. **يوسف أبو العدوس** ، مدخل إلى البلاغة العربية، علم المعاني علم البيان، علم البديع، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن،(ط1)،1999.

المراجع باللغة الفرنسية:

1. N.chomsky aspects de la théorie syntaxique paris 1973
2. Charles Worth, m, J Philosophy and linguistic.analyse 1999.
3. Dictionnaire de la langue philosophie. PuF.1974 Paris
4. George Mounin, Linguistique et philosophie, PUF. Paris 1975.
5. R. Jakobson : Essais de Linguistique générale. Les Fondements du Language Ed. Minuit, 1963.
6. C. Kerbar Oreochioni : L'enonciation de la subjectivité dans Language Ed : Armand colin, 1986.
7. J. Harbermas, theorie de Lagir communicationnel. Trad. J. M. Ferry, Paris. T1.
8. J. Habermas. Vérité et justification, trad Rainer Rolshit Paris 2001.
9. Dell Hymes, Vers La Compétence De Communication H.France Mugler –Didier- Paris,1991

المجلات

1. **أحمد حساني** ، البنية التركيبية في رحاب اللسانيات التوليدية التحويلية، مجلة الحداثة، معهد اللغة العربية وآدابها ، جامعة أحمد بن بلة ، السانيا سابقا ،وهران، العدد الأول،1992.

2. **إدريس مقبول،** البعد التداولي عند سيبويه، مجلة عالم الفكر، العدد والمجلد 33 سبتمبر، جويلية،2009.

3. **إسماعيل بن كثير الدمشقي،** تحقيق مصطفى السيد، محمد، ومحمد فضل العجماوي، محمد سيد رشاد، وعلي أحمد عبد الباقي،مجلد12، مؤسسة قرطبة، الجبزة مصر،(ط1)،2000

4. **حبيب ألمان،** الحجاج والاستدلال الحجاجي، مجلة عالم الفكر المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت ،ع 1 ،المجلد30،2001.

5. **صالح الكوشو،** الوضع الابستمولوجي للسانيات، مجلة المعرفة، عدد266، أفريل، 1984.

6. **عبد الرحمان حاج صالح،** التحليل العلمي للنصوص بين علم الأسلوب وعلم الدلالة والبلاغة العربية، مجلة المبرز، عدد06، الجزائر،1995،

7. **عبد المالك مرتاض،** بين السمة والسيميائية، مجلة الحداثة، يصدرها معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة وهران، العدد2 ، 1993.

- نظرية التبليغ بين الحداثة الغربية والتراث العربي، مجلة تجليات الحداثة، معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة وهران، العدد1، 1992.

8. **لخضر روبحي**،جهود المتوكل في الدراسات اللغوية، مجلة الممارسات اللغوية في الجزائر، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر،العدد 10،2012.

9. **محمد ملياني**، وظيفة الحذف النصيّة، مجلة أبحاث، العدد2، مختبر اللسانيات وتحليل الخطاب، جامعة أحمد بن بلة، وهران،2014.

10. **محمد برونة**، الوصف في شعر الأمير عبد القادر، مجلة دراسات جزائرية، العدد المزدوج8/7، مختبر الخطاب الأدبي في الجزائر، جامعة أحمد بن بلة، وهران،2011.

11. **محمد سالم ومحمد الأمين**، مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة، ،مجلة علم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكوييت، مجلد28،عدد03، 2000.

12. **مختار حبّار**، سيميائية الخطاب الشعري عند الصوفية، مجلة تجليات الحداثة، معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة وهران، العدد الثاني، جوان،1993.

- قراءة تناصية في قصيدة الياقوتة لسيدي الشيخ(1025هـ) مجلة الحداثة، معهد اللغة العربية وآدابها، العدد1، 1992.

13. **مفلاح بن عبد الله**، حجاجية القرآن الكريم، مجلة القلم، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة السانيا، وهران،العدد21 ،2011.

الأطروحات والرسائل الجامعية

1. **أحمد واضح**، الخطاب التداولي في الموروث البلاغي العربي من القرن الثالث هجري إلى القرن السابع هجري، رسالة دكتوراه مخطوطة،قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة أحمد بن بلة، السانيا سابقا، وهران،2013.

2. **مسعود صحراوي**، الافعال المتضمنة في القول بين الفكر المعاصر والتراث العربي، رسالة دكتوراه مخطوطة، قسم اللغة العربية وأدابها، جامعة الحاج لخضر باتنة، الجزائر، 2004.

3. **يحي بعيطيش**، نحو نظرية وظيفية للنحو العربي، رسالة دكتوراه مخطوطة مقدمة لكلية الآداب واللغات، جامعة منثوري، قسنطينة 2005.2006.

4. **محمد ملياني**، ظاهرة الحذف في الدراسات اللسانية الحديثة، أطروحة دكتوراه مخطوطة، معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة أحمد بن بلة، السانيا سابقا، وهران،2004.

5. **ظاهر كاظم عبد الرزاق**، الجملة العربية في ضوء اللسانيات العربية، رسالة دكتوراه مخطوطة مقدمة لكلية الآداب، جامعة البصرة، العراق،2011.

فهـــــرس

الفهرس

الفصل الثاني: العملية التواصلية، المفاهيم،العناصر والأعلام والكفايات

المبحث الأول: العملية التواصلية، المفاهيم،العناصر والأعلام.

المبحث الثاني: الكـــفايات

الفصل الثالث: الأبعاد التداولية بين الإختيار الصرفي للصيغ ومعيارية المسائل النحوية

المبحث الأول: الأبعاد التداولية من خلال اختيار الصيغ الصرفية

المبحث الثاني: الأبعاد التداولية من خلال التوجيه و التقعيد النحوي

الفصل الرابع: الأبعاد التداولية في العملية التواصلية من خلال الآليات البلاغية

المبحث الأول: الأبعاد التداولية في علم المعاني

المبحث الثانـي: البعد التداولي في علم البيان والبديع

جزاك الله خيرا